

روايه

أ

ع

ط

م

حقوق الطبع محفوظة للناشر ©

لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الخليج

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان -
العبدلي - شارع الملك حسين بالقرب من
دوار الداخلية - مجمع شيكاغو - ط (٢) -
مكتب (٢).

تلفاكس: +962 6 4647559

daralkhalij@gmail.com
daralkhalij@hotmail.com
salesalkhalij@gmail.com

دار الخليج للصحافة والنشر



الطبعة الأولى: ٢٠١٩

أعلام

رواية

ضرغام علاوي

دار الخلد

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٨ / ١١ / ٥٧٦٣)

٨١٣.٠٣

صالح، ندى جمال

عندما تبتسم الشمس / ندى جمال صالح

الواصفات: / الأدب العربي // الرويات العربية / العصر الحديث

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه

ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي

جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-615-91-8

تعاليح نعام العاشقين المحب وممنح لشفتينا فرصت العناق

فتحت أحلام عينيها الجميلتين وراحت تتفحص غرفتها الجميلة نسيبا،
والمختارة بفخامة السيدات الكبيرات في العائلة؛ فحين التجهيز لزواجها كان
الحياء وقوة شخصية خالتها الحاجة سعاد عاملين حاسمين لجعلها في وضع
الصمت الدائم.

وجدت تلك المرأة الجميلة نفسها تضع رأسها على ذراع زوجها الذي لا
يميل ولا يتعب من النوم على جهة واحدة طوال الليل إكراما لنوم أنثاه وحببته
على ذراعه لأنه يتلذذ بتطويقها لصدرة بذراعها الطويلة الرشيقة مع بعض
الامتلاء فيها، والبيضاء كالقشطة العراقية، وتخفي رأسها تحت إبطه لتتعم بأمان
الزوج المحب والحبيب الذي ما أحببت قبله يوما.

كالعادة استفاقت أحلام من نومها على الوضعية اليومية فقد كانت تنام على
ذراع بطلها بينما كانت تطوق صدره العريض بذراعها، اعتصرت صدر زوجها
حبا وكأنها مفارقة له منذ دهور لا تنام بجانبه وتقاسمه السرير الكبير، ولكن رغم
سعة السرير كان الزوجان لا يشغلان إلا ربه من شدة التصاق بعضهما ببعض، فتح
هشام عينيها الصغيرتين نسيبا على اعتصار زوجته له وقال مخاطبا أحلام...

صباح الخير أحلام...

صباح الخير حبيبي هشام...

عندي رغبة عجيبة للأكل. أحلام...

سأعد لك الآن كل ما تريد، وهمت بالنهوض.

لكن هشام سحبها بقوة حتى إنها سقطت عليه وقال: ... فهمتني خطأ...
أحتاج أكل شيء حي ينبض جمالا وإثارة.
فقلت أحلام وهي تضحك.
يبدو أنك من آكلي لحوم البشر... هشام...
نعم... وأنا أختص بلحم واحد من البشر دون الأنام. أحلام...
وأنا البشر الوحيد الذي يستمتع بافتراسك له.

اقتربت الشفاه لتعلن بداية التقاء مشاعر زوجين تحابا حد الامتزاج، حب عفوي بسيط لا يحمل من العمق الكثير لكنه كان الأجمل لقلوب لا تملك لغير الحب فيها مكان.

انقطعت تلك اللحظة الرومانسية على صوت الحاجة سعاد وهي تنادي من الممر في الطابق العلوي الذي يحتوي جناحها والمتكون من غرفتين إحداهما لهشام و أحلام، والثانية لأطفالهما الثلاثة، مع غرفتين إحداهما لأحمد أخيه في أول الممر والثانية معدة للضيوف.

الحاجة سعاد:

أحلام تعالي وأعدي الفطور.

هشام ممتعضا:

وهل هذا الوقت المناسب يا حاجة؟

ضحكت أحلام وقالت وهي تهم بالنهوض:

أوامر الخالة لا تناقش يا حبيبي.

هشام وهو يعيدها إلى ما كانت عليه من قرب:

ربما هذه المرة علينا كسر تلك الأوامر لا مناقشتها فقط.

أحلام وهي تحاول التملص ثانية منه:
أنا متأكدة أن عمي في طريقه لإحضار الكاهي و القيمر، وعليّ إعداد كل
شيء قبل وصوله.

هشام:

أراك تهتمين بوالدي أكثر من اهتمامك بي!!!

أحلام:

مستحيل...أنا أحب البيت ومن فيه من حبي لك. ولكن عمي الآن أكيد
جائع، وأنت تعرف حرصه على المواعيد.

هشام وهو يعيدها لوضعها الأول جاعلا إياها ترتمي عليه:

وأنا الأكثر منه جوعا ورغبة أيتها الماكرة.

أحلام وهي تتملص من ذراعي زوجها:

بل أنا الأكثر حاجة بينكم جميعا، قم واغتسل أيها الضابط الكسول.

هشام:

وعواظفي التي تصرخ جوعا وهلفة؟

أحلام:

بعد عودتك من المسجد سأكون بانتظارك حبيبي؛ لأشبع تلك العواطف

حد التخمة.

احترام الرجل في البيت تصنعه زوجة أتقنت احترام بيتها و عائلتها

دخل الحاج أبو هشام وهو يحمل أكياس الصمون الحار و القيمر و الكاهي وهو نوع من المعجنات العراقية تكون عبارة عن شرائح محلاة بالقليل من السكر توضع فوق بعضها بعضاً و تُسوى في فرن خاص فتكتسب هشاشة، تُقدّم بعد وضع العسل فوقها، تكون رائعة مع القيمر العراقي، وهي أكلة اعتاد العراقيون تقديمها في يوم الجمعة؛ إذ تكون العائلة مجتمعة كلها.

لاحظ الحاج أن كل شيء مُعدّ سلفاً على المنضدة الكبيرة الذهبية اللون: أبريق الشاي و أبريق آخر للماء المغلي، ونوعان من الجبن الأبيض والأصفر والمربيات والبيض المسلوق والمقلي؛ فعرف أن أحلام قد استيقظت؛ فقد كان الحاج شديد الملاحظة؛ فشكل ترتيب المنضدة يحمل بصمتها الرائعة، والاهتمام بوضع كل شيء في الثلاجة هو أسلوبها دون عجز أو تكاسل؛ فقد كانت تفرغ محتويات العلب في صحن صغيرة وأخرى كبيرة لتمنح المنضدة صورة من الجمال، وكان المنضدة وجه امرأة، وأحلام قد زيتها في يوم عرسها.

كان كل ما وضع من طعام مع ما أحضر الحاج انعكاس واضح لحالة البجوحة التي تعيشها العائلة ومستوى ترفها المادي.

استقبلته الحاجة سعاد وهي تأخذ الأكياس منه وتقول له:

الحمد لله على سلامتك (حجي)

الحاج عبد الرزاق وبصوته الخشن الرجولي وهيبته الكبيرة:

الله يحفظك.

الحاجة سعاد:

الله يديمك (حجي)

الحاج عبد الرزاق:

أما زال الكل نائمين؟ قاربت الساعة على الثامنة.

الحاجة:

اليوم جمعة، والكل يريد الاستمتاع بالعطلة.

الحاج عبد الرزاق:

ومتى يستيقظون برأيك؟... عند صلاة المغرب؟

بدأت الحاجة بالتلعثم وحاولت ترتيب بعض الكلمات كإجابة تنقذها من

عيني الحاج.

ظهرت أحلام وهي تسلم على زوج خالتها وأبو زوجها وهي تقول:

صباح الخير عماء،

واتجهت ليده تقبلها، فسحب الحاج يده من أحلام وقبلها من رأسها وقال:

حفظك الله يا ابنتي.

أعطتها الحاجة الأكياس، ورمقتها بغمزة عين، وكأنها تقول لها: أيقظي

الجميع وبسرعة.

دخلت أحلام المطبخ بحجة إفراغ محتويات الأكياس بالصحون، لكن في

الحقيقة كانت قد اتجهت إلى الطابق العلوي وهي تركض برشاقة طفلة، وابتدأت

بابن خالتها وأخي زوجها أحمد، فدخلت عليه حتى دون أن تطرق الباب لدرجة

أنه ارتعب وهي تقول له: وصل عمي وهو يريدك الآن،

اتجهت بعدها إلى زوجها هشام؛ ففتحت الباب وارتمت عليه توقظه
كالمجنونة.

فقال هشام:

أخيراً أتى بك الشوق إليّ صاغرة.

أحلام:

بل أتى بي وصول عمي هاربة، قم قبل أن تنال حصتك من التوبيخ.

قفز هشام واتجه إلى الحمام في الطابق العلوي فوجده قد شغل من قبل أحمد
فصار يستعجله ويوبخه لتأخره في النهوض.

خرج أحمد وهو يريد أن يرد على أخيه، لكنّ هشامًا دخل الحمام دون كلام؛
فرد عليه أحمد من خلف الباب:

أنا رجل مدني وقليل الانضباط، فما بالك أنت أيها الضابط تنام لهذا
الوقت؟!؟

استدركت الحاجة سعاد الموقف مع الحاج عبد الرزاق بالحديث لتمنح
أحلام الوقت لإيقاظ الجميع...

تأخرت حاج، يبدو أن أحدهم صادفك في الطريق...

الحاج عبد الرزاق:

أبدأ، لكنني مررت على بيتين من الجيران أعطيتهم حصتهم من القيمر والكاهي.
الحاجة:

أدام الله عليك الرزق لتكون عوناً للأرامل والأيتام.

الحاج:

هم يتزايدون يا أم هشام، وكأن مَلَك الموت لا يعرف بلدا غير بلدنا يمارس فيه مهنته.

الحاجة سعاد:

إنا لله وأنا إليه راجعون.

كان أول الواصلين أحفاد الحاج الذين يعرفون أن لهم مكافأة من جدهم الحنون، فيجيء سامر السريع دائها، ويلحق به رامي، وهو ابن خمس سنوات يحمل أخته شمس ابنة السنة

راح الجد ينهال عليهم تقبيلا بعدما قبل الأطفال يد جدهم وجدتهم حتى تلك الطفلة شمس فهي تقلد أخويها بكل شيء.

نزل أحمد المشاكس، وسلم على الحاج والحاجة وقبل يديهما وجلس.

طلب الحاج من رامي الكبير أن يحضر كيسا وأشار إليه بأصبعه.

أحضر الكيس رامي لجدته الذي بدأ يوزع المشتريات لأحفاده كل حسب عمره وما يحب ويشتهي؛ فقد خبر الجد أمزجتهم كما لم ينس حصة أحلام؛ فهو يعرف جيدا أنها ما زالت طفلة في داخلها.

علق أحمد المشاكس قائلا:

ها قد بدأ حفل توزيع جوائز الأوسكار

رشقه الحاج بنظر حادة وقال:

وكعادتك لم تحصل على شيء.

ضحك الجميع بما فيهم أحمد عدا الحاج اكتفى بابتسامة النصر فقط.

أحمد:

ليتني أعود صغيرا فأنال من هذا الدلال يا حاج.

الحاجة سعاد:

لقد نلت أنت وهشام وأختكم ما يكفي من الدلال فلا تزاحم الصغار على حنان ورعاية جدهم حفظهم الله له وحفظ جدهم لهم.

أحمد:

أي حنان يا حاجة في زمننا لم نكن نعرف كل هذه الألوان والحلويات. نزل هشام وأحلام وهما مبتسمان لأن هاشمًا كان لا يترك مشاكسة أحلام في كل لحظة. سلم على الجميع بينما اختص والديه بتقبيل أيديهم.

الحاج عبد الرزاق:

كيف لك أن تنام إلى هذا الوقت يا ولدي؟! عليك استثمار إجازتك لأقصى حد.

هشام وأنا استشرها بالنوم يا والدي؛ فيسنا والنوم في جبهة القتال عداوة وخصام. الحاج عبد الرزاق:

كنت أتمنى لو أنك اتخذت من عملنا التجاري مهنة وكنت الامتداد لي؛ فالعمل التجاري آمن وأربح يا ولدي.

الحاجة مقاطعة لهذا الحديث المتكرر والتي تعرف أن نهايته غضب الحاج من هشام:

بَرَدَ شايبك حاج وأنت لم تأكل شيئًا.

فهم الحاج مغزى مداخلة زوجته فقال بحسرة المنهزم: نعم صدقت.

أنتِ ألوانكِ بيّتي أنتِ ألوانكِ قوس قزح

في تمام الساعة الحادية عشرة صباحا ارتدى كل من هشام وأولاده الاثنان ملابسها الخاصة بصلاة الجمعة، والتي تكون عبارة عن (دشداشة) بيضاء وكوفية توضع على الرأس تسمى باللهجة البغدادية (عرقجين) واتجه الأربعة إلى المسجد الذي يبعد عنهم حوالي كيلو متر واحد، بينما راح أحمد يغط بنوم عميق كعادته.

نظرت أحلام إلى خالتها التي كانت متوجهة للقبلة لأداء صلاتها؛ فبقيت عند الباب منتظرة أن تشيح بوجهها عن القبلة وهي تسلم على الملكين فقالت حينها:

تقبل الله صلاتك خالتي.

التفتت إليها الحاجة سعاد وقالت لها مع وجه كله احترام ودون ابتسامة:

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

هل أنهيت الطبخ؟

أحلام:

نعم يا خالة، وأروم الدخول للحمام قبل عودة عمي وهشام من المسجد.

الحاجة سعاد...

قبل أن تدخل الحمام أيقظني ذلك الكسول أحمد.

أحلام:

أيقظته ثلاث مرات وفي كل مرة يدعي النهوض لكنه يعاود النوم

الحاجة سعاد:

لو وصل عمك (سيتعصب عليه)؛ أيقظيه للمرة الأخيرة إكراماً لي، وإن لم ينهض فعليه تحمل العواقب.

صعدت أحلام السلم الواسع والكبير ذا السياج الذهبي واتجهت إلى الغرفة الأولى في الممر الطويل حيث غرفة أخي زوجها أحمد.

طرقت الباب مرة تلو الأخرى إلى أن أجاب أحمد بصوت شبه الفاقد للوعي:

ادخل،

دخلت وقالت بصوت هادئ لكنه كمن يفشي سرا أو يحذر أحدا:

انهض يا أحمد؛ فعمي وهشام على وشك الوصول؛ فقد انتهت صلاة

الجمعة وهم الآن في الطريق إلى البيت.

أحمد:

وهل أنا الملاك المسؤول عن تسجيل حسناتهم؟!!

ضحكت أحلام الطيبة القلب والرائعة الخلق وبصوت عالٍ وطويلاً...

أنت لا تتوقف عن إلقاء النكات بعد كل تلك التوبيخات من عمي ومن

هشام؛ بل أنت تطلق القفشات حتى وأنت نائم كما أنت الآن.

أحمد:

أخرجني وأغلقي الباب، اليوم عطلة، وأريد الاستمتاع بيوم أخصصه للنوم فقط.

أحلام:

أنت تضيع وقتي، وهشام في طريقه للبيت.

أحمد:

أنت من أضعت متعتي بالنوم بتكرارك إيقاظي.

أحلام وهي تضحك ساخرة:
أتمنى أن تبقى على موقفك هذا عندما تسمع جرس الباب.
أدار أحمد وجهه للجهة المعاكسة وأشار لها بيده أن (اخرجي).
ضحكت أحلام وضربت بكفيها وخرجت تاركة أحمد يستمتع بنومه.

لطمع انظارك لذة استنشاق الأمل وسط دنيا الحلم

دخلت أحلام إلى الحمام وهي تغني بأغاني خفيفة وشبابية تتناسب مع طبيعة شخصيتها البسيطة؛ حيث كانت ترى الحياة ملونة في ظل رجلها الرائع هشام، ذلك الشاب الوسيم طويل القامة، ذو الخلق العالي، والودود مع الجميع.

كان الحمام متعة لأحلام؛ لأنه المرحلة الأولى في التهيؤ لاستقبال زوجها؛ فرغم أنها وهشام لم يتزوجا عن طريق علاقة حب، وأن الحاجة سعاد هي من اختارتها زوجة لابنها؛ فهي ابنة أخت الحاجة سعاد؛ إلا أنها اليوم الأسعد بين النساء.

أحلام فتاة أنهت الدراسة الإعدادية بمعدل جيد نوعا ما، لكنها لم تكمل الدراسة الجامعية؛ لأن خالتها الحاجة سعاد أقدمت على خطبتها مخافة أن يسبقهم إليها أحد من الأقارب أو الجيران؛ فقد كان لطولها الجميل وبياضها اللافت، وشعرها الأسود الطويل جدا، والملامح الفخمة الرائعة تأثير السحر على كل من يراها؛ لذلك عندما عرضت الحاجة سعاد فكرة خطبتها لهشام وافق على الفور دون تردد، حيث سبق والتقى بها في أحد الأعراس التي جمعت العائلتين.

كانت عفوية أحلام وبساطة فكرها سببا جوهريا لقبولها بهشام زوجا دون التفكير بالاستمرار في دراستها الجامعية؛ حيث راحت تحلم بزواج وعائلة، فهي لا تبتغي شيئا أكثر من بيت هادئ وجميل، وزوج طيب يملأ كل دنياها.

وبالفعل تم الزواج دون أية عراقيل، وكان كل من هشام وأحلام في غاية السرور، ورزقا بطفلهم الأول رامي بعد عشرة شهور من زواجهما، فكان الحفيد

الأول للعائلتين؛ فانهالت عليه الهدايا وكأن السماء أمطرتها، لا أن البشر هم من قدموها؛ وكأن الأعجوبة الثامنة قد تحققت بمقدم ذلك الطفل.

لم تلامس أقدام رامي الأرض في المناسبات أو الزيارات فالكل كان يتسابق لحمله؛ لأنه كان كثير الضحك والابتسامة وذا شخصية فكاهية؛ لذلك راح الجميع يشبهه بعمه أحمد الذي لا يمل من الضحك حتى في أشد المواقف وأحزنها.

وبعد سنة تقريبا وصل ابنها الثاني سامر، وهو لا يقل عن رامي بشيء من ناحية الحضور، وبعدها بثلاث سنوات فتحت شمس عينيها لتعلن أنها المولود الثالث والحفيد الثالث للعائلتين.

أنهت أحلام تبرجها اللافت، فقد ارتدت الأحمر فصارت الألوان الثلاثة بياض البشرة وسواد الشعر والثوب الأحمر يعلنان أن الأنوثة اختزلت في امرأة واحدة هي أحلام،

نظرت إلى الساعة فعرفت أن موعد قدوم زوجها وطفليها قد اقترب؛ فخرجت تحمل ابنتها.

وهي تهم بنزول الدرج تذكرت أحمد الكسول؛ فعادت أدراجها وطرقت الباب وقالت له:

أحمد عاد عمي من المسجد وهو يطلبك.

انفض أحمد من السرير واتجه إلى الحمام مباشرة وأحلام تكاد تخنق من الضحك، واتجهت إلى الدرج فوجدت طفليها قد دلفا من الباب كصولة الخيول في ساحة الحرب، واتجها إلى جدتها مباشرة ليقصا عليها كل ما مر بهما أثناء الصلاة والطريق إلى المسجد والعودة منها، وكلاهما يتسابق في سرد الحكاية؛ فهذا يقاطع هذا تارة، وذاك يقاطع هذا تارة أخرى.

أتجهت أحلام إلى زوجها والتقيا في وسط باحة الدار الكبيرة ذات الأرض
المرمرية والتي هي الموزع بين أجزاء الدار وراحت تسلم على هشام وتقبله كأنهما
لم يلتقيا منذ زمن .

قال الحاج عبد الرزاق وهو ينظر نظرة إعجاب بهذين الرائعين:
حفظكما الرحمن من عين كل حاسد.

واستدرك الحاج قائلاً بعد أن تحولت ملامحه من السعادة والإعجاب إلى
(التعصب):

أين ذلك الأحق؟ أعتقد أنه عاد للنوم مثل كل مرة...

صاح أحمد من على الدرج الكبير:

تقبل الله صلاتك يا حاج.

الحاج بنبرة خفيفة:

هل ستنهي حياتك بالنوم؟

أحمد لم أكن نائماً إنما كنت أقرأ محاضراتي، و لك أن تسأل أحلام.

ضحكت أحلام بكل براءة وهي تنظر لأحمد وعيناه توحيان بنوم حد التخممة .

ووسط صمت الجميع المنتظرين لتوبيخ شديد من الحاج عبد الرزاق،

جعلت تلك الضحكة الساذجة والبريئة الجميع يضحكون بعد أن فقدوا

السيطرة بما فيهم الحاج عبد الرزاق.

استغلت الحاجة سعاد الذكية الضحك لتغير الموضوع قبل أن يعود الحاج

لغضبه وقالت:

أحلام قدمي الغداء معي.

قالت أحلام وهي تخاطب عمها:

عشر دقائق ويكون الطعام جاهزاً يا عمي.

وبالفعل راحت تنقل أحلام وخالتها الحاجة سعاد الصحون وترصهما بنفس مستوى الإبداع عند الفطور.

راح هشام يرمق بنظراته المشاكسة أحلام وهي تقدم الصحون على الطاولة وهي تبتسم وتبادلته نظرات الحب والدلال، فانسحب هاشم إلى الحمام بحجة غسل يديه، ومن هناك نادى على أحلام، وما إن وصلت تبحث عنه ظهر من خلف الباب وراح ينهال عليها تقبيلاً واندمجت معه هي بكل سعادة فقد كانت تحب رغبة زوجها بها، وتتلذذ بتلك الرغبة.

صاح الحاج عبد الرزاق منادياً هشام ومشاكساً إياه:

ليس هذا وقته، تعال فالطعام سيرد نحن ننتظر منذ عشر دقائق.

تملصت أحلام من هشام وقالت:

انظر ما فعلت بنا شقاوتك أيها المتسع.

هشام:

وكأن المتعة كانت لي وحدي يا ناكرة الجميل.

جاء الاثنان وجلس كل بمكانه المعتاد وقال هشام:

أعتذر عن التأخير جعلتكم تنتظروني.

الحاجة كعادتها وبلا ابتسامة راحت تغمز كتتها، لكن أحلام لم تفهم من تلك الإيحاءات شيئاً، فاضطرت للنهوض والدوران حول المائدة ووضعت أذنها عند فم خالتها مستفهمة عما تريده؟ فهمست في أذنها دون أن تلتفت:

أمسحي احمر شفاهك؛ فقد لوث نصف وجهك بالحمار، وأخو زوجك جالس أمامك؛ وذلك لا يليق يا ابنتي.

وكعادتها أحلام البريئة والطفلة ضحكت ضحكة خجولة وغادرت المكان
باتجاه الحمام وهي متفاجئة من هول الحماز الذي ملأ خديها بل لاح بعضه على
وجنتيها.

مزناً عبيتي يقتلني ألف مرة؛
أحتاج ابتسامتة تمنحني قوة للوداع

في تمام الساعة الخامسة فجرا نهضت أحلام من الفراش يعلو محياها حزن
والم؛ فامسك بيدها هشام وقال سائلا:

إلى أين؟

أحلام:

أهيم لك الفطور قبل توجهك لوحدةك العسكرية، أما الحقيبة فقد هيئتها
من ليلة البارحة.

هشام مازحا إياها:

أحتاج فطورا من نوع آخر

أحلام وهي ترد بثقل:

لا مزاج لي للمزاح.

سحبها هشام كعادته بقوة فارتمت على صدره مثل كل مرة وقال:

أتعرفين أنك بحزنك هذا تقتليني ألف مرة، أحتاج ابتسامتة تمنحني قوة
للفراق.

سقطت دمعة أحلام من عينها لتسقط على وجه هشام.

هشام مستغربا:

مالك يا أحلام تبدين حزينة جدا؟

أحلام:

في كل مرة تغادرنا أكون حزينة على فراقك، فبعدك كلاب الخوف وضباع
القلق تهش روعي بكل حسنة، وأضف لذلك وجع فراقك لي، وأنا التي اشتاق
لك إن غفوت، وأتمنى أحياناً إيقاظك كي لا يأخذك النوم مني.

هشام وهو يقبل جبين زوجته:

لا تخافي عليّ يا حبيبتي كل شيء سيكون على ما يرام.

قبل هشام أطفاله الثلاثة وراح يتأمل البراءة بأعينهم الجميلة وهم نائمون
في أسرهم؛ فعاد يقبلهم ثانية، واستدار حتى وصل الباب، ثم عاد بسرعة
يقبلهم ويشمهم بقوة لدرجة أنه أيقظ شمس من نومها؛ فتحول الأطفال إلى
قطع دومينو التي تُصَفُّ على التوالي فيكفي دفع قطعة لتسقط باقي القطع كلها.
استيقظ جميع من في المنزل حتى ذلك الكسول أحمد والكل صار يودع
هشامًا، حتى إن هشامًا صار في وسط دائرة، كلما قبل أحدهم واستدار لآخر
دون شعور عاد يقبل الشخص الذي ودعه قبل لحظات.

عند الباب الكبير وقف الحاج عبد الرزاق مهيباً يراقب منظر الوداع،
وهشام الذي توسط الصالة الكبيرة والتي هي مركز الدار والمفتوحة بلا جدران
وترفعها أعمدة المرمر الطويلة.

لاحظ هشام والده يقف عند الباب وكله شوق لضمه لكن كبرياء الرجل
الشامخ والمعروف بصلابته يأبى أن يدخل في منافسة الصغار وزوجته وحتى الوالدة.
حمل هشام حقييته واتجه إلى حيث يقف الحاج عبد الرزاق فمد يده الحاج
ليصافح ولده مثل كل مرة؛ وبعد أن تصافحا اتجه هشام إلى الباب ليغادر
فاستدار خلفه الحاج خلافا لكل مرة، وفتح ذراعيه الطويلتين دون كلام، فعاد
هشام وارتمى بين أحضان والده وراح يشم صدره ويقبله، وأما الحاج فقد أخذ
يقبل رأس ولده ويقول:

حافظ على وطنك بقدر حفاظك على نفسك يا ولدي ولا تنس أنك عيني
التي بها أرى.

هشام: أعدك أن أبقى رأسك مرفوعا يا حاج
الحاج عبد الرزاق وهو يعيد احتضان ولده:
احتاج أن تنادينني بما كنت تنادينني وأنت صغير... (بابا)
هشام:

أراك غير كل مرة يا... بابا.
الحاج عبد الرزاق محاولا إخفاء عواطفه بالسخرية:
وأنا أيضا مستغرب يبدو إني قاربت على الخرف.
هشام:

أستغفر الله يا حاج... أقصد... بابا.
أحمد قاطعا تلك اللوحة التراجيدية لينتهي عذاب التوديع:
كل هذا الحب لهشام ولم يفكر أحد يوما أن يحضني، أتراني ابن الجيران وأنا
لا أدري؟! !!!

ضحك الجميع بما فيهم الحاج عبد الرزاق؛ لأنه كان هو نفسه يريد الهرب
من سجن العاطفة التي يراها ضعفا لا يليق بكبير قومه وأهله.
أحمد وهو يسترسل في كلامه:
سأتأخر أنا على كليتي وأنال حصّة من التوبيخ ثمننا لحبكم لهشام؛ تلك
قسمة ضيزى.

الحاجة وهي تحمل أناء فيه ماء تقول داعية لولديها:
أعادكم الله لي سالمين وغانمين.

مشاكساتك ترهقني ولكن...
قلبي الأعمق... يعشقها ويعشقك

طرق باب القاعة فقال الدكتور خالد:

تفضل.

دخل أحمد وكأنه عصفور غط في الماء خجلاً وقال:

صباح الخير،

استدار الدكتور خالد وقال: اذهب إلى نادي الجامعة وتناول فطورك.

ضحك من في القاعة على رد الدكتور.

فأجابه أحمد بعد أن خف زخم الضحك بطريقة يدعي بها السذاجة:

شكراً دكتور قد أفطرت والحمد لله.

عاد زخم الضحك من جديد.

دكتور خالد:

قلت لك ما قلت بمعنى غادر .

أحمد:

وهل أنا في المطار يا دكتور أم في قاعة المحاضرات؟

قال الدكتور وبدا عليه (التعصيب):

(اطلع برة)

أحمد وهو يدعي الغباء كعادته:

لن أترك العراق ما حييت فأنا أعشقه وابتغي خدمته على أكمل وجه.

ضحك هذه المرة الدكتور خالد نفسه وقال:

أضعت عشر دقائق من وقت المحاضرة لكن خفة دمك تشفع لك.
تغيرت ملامح أحمد نحو الدهشة وقال:

وهل قامت القيامة اليوم.

هز دكتور خالد رأسه متسججا واتجه إلى أحمد وصار يدفعه إلى أن أخرجه
من القاعة وأغلق الباب وراءه وأحكم قفله.

بعد دقيقة دُق الباب ثانية فتجاهل الدكتور الطرق واستمر بالتدريس؛ لكن
الطرق ازداد حدة وقوة؛ فاستشاط خالد واتجه للباب وفتحته بقوة وهو يريد أن
يفعل ما يفعل؛ فإذا برئيس القسم الدكتور صابر وقد بدا عليه الغضب
والاستغراب من تأخر فتح الباب بله قفل الباب.

د.خالد:

أهلا دكتور صباح الخير.

د.صابر:

تأخرت في فتح الباب، والأغرب أنك كنت تحكم غلقه بإقفاله من الداخل.
شعر دكتور خالد بالإحراج أمام الطلاب فطلب من رئيس القسم أن
يناقش الأمر خارج القاعة. وما إن أدار الاثنان ظهرهما للباب حتى دخل أحمد
خلسة واتجه مباشرة إلى مكانه المحجوز دائما بجانب حبيبته غيد.

غيد منفعلة:

لا أحب فيك استهتارك في كل شيء وخصوصا المواعيد.

أحمد:

أنا غائب عنك منذ ثلاثة أيام وتستقبليني بهذه الصورة، أقسم أنني لن
أكلمك لعشر دقائق كاملة.

أشاح أحمد بوجهه عن غيد التي تغيرت ملامحها فجأة من الحدة للتوسل
وقالت:

اشتقت لك.

أحمد مصرا على عدم الكلام ومتجاهلا إياها.

غيد:

اقسم أي أخاف عليك فأنت بهذه الطريقة لن تكمل دراستك والمفترض أنك
تتقدمني بستتين وها نحن في المرحلة الرابعة. أرجوك أنه دراستك لتتزوج
فالعشرات ينتظرون تخرجي كي يسقط عذري لعدم قبولهم.

استدار أحمد إلى غيد:

وهل أنت وظيفة ليتقدم لك العشرات؟

ضحكت كل من ميار وشهد الجالستان خلفهما من كلام أحمد

فأكمل أحمد ضحكه وقال:

ممكن أعرف طريقة التقديم: مباشرة أم عبر الإنترنت؟

فغضبت غيد وقالت بعد أن رفعت رأسها تعاليا:

أقسم أنني لن أكلمك عشر دقائق كاملة.

علقت شهد ضاحكة:

ما أكثر ما بدمتكم من كفارات قسم!!!

فضحك الأربعة دون شعور فرصدهم الدكتور خالد وهو يدخل القاعة

فقال:

أنتم الأربعة إلى الخارج فورا وبلا أي كلام.

انسلت الفتيات الثلاث يتبعهن أحمد، وعندما وصل أحمد إلى باب القاعة
استدار إلى الدكتور وقال:

وكيف سنذهب إلى الخارج ولا نملك تأشيرات سفر؟
دكتور خالد بكل برود - لكنه يغلي من داخله-:
بل سأمنحك بإذن الله بطاقة انتساب لهذه الجامعة لسنة أخرى.

أخذت الفتيات الثلاث يلومان أحمد الذي لم يبال بكل ما قلنه، بل أخذ يمشي
باتجاه نادي الجامعة، والفتيات يتبعنه بلا شعور.

دخل الأربعة النادي فارتمى أحمد بوضع المترحلق على الكرسي، وفتح
رجليه وكأنه قد نال قسطا من الراحة بعد عمل شاق
قال أحمد مخاطبا الفتيات:

أريد شطيرة (شاورما) وكوب شاي وبسرعة.

ردت ميار:

أنت تستحق الضرب يا رجل،

شهد:

لم أعرف في حياتي شخصا بهذا البرود.

أما غيد فقد قالت:

أتريدها بلحم الدجاج أم بلحم البقر؟

استشاطت الفتاتان غضبا، وقالت شهد:

أنت من أتلفت أخلاق هذا الشاب بتدليلك إياه.

ضحك شامتا في وجه الاثنتين، وقال مخاطبا غيد:

شطيرتين وكوبين من الشاي.

شهد:

ألم تقل شطيرة وكوب شاي؟

أحمد:

كانت حبيبتى من ستدفع، والآن أنتما من سيدفع، فلم أرحم جيبيكما

أيتها...؟

نظرت شهد و ميار إليه بغضب.

فأكمل أحمد جملة:

...الرائعتان.

شهد:

سأحضر لك ما طلبت، ولكن أخبرني: ربما أتقبل فكرة أن تأكل شطيرتين،

ولكن كيف ستشرب الكوبين من الشاي معا؟

أحمد وهو يضحك:

كوب شاي و شطيرة لي، وكوب شاي و شطيرة لحبيبتى غيد.

تلفيني... رنة هاتفك لتخبرني أنك ما زلت حيا

رن هاتف أحلام في المساء فركضت تبحث عنه في أرجاء المنزل الكبير
كالمجنونة لأن أطفالها يعبثون به طوال الوقت بعد أن ملأوه ألعاباً.
وجدته أخيراً، وكان المتصل هشاماً؛ فاختلطت ملامح أحلام لدرجة أن
الفرح والحزن صارا يتصارعان على الفوز بتلك الملامح المسكينة.
فتحت الخط وقالت بصوت مرتجف وخائف:

أرجوك طمئني عنك يا روعي؟

هشام:

أنا بألف خير يا مجنونة؛ دائماً مرعوبة وبلا سبب.

أحلام:

أنا مرعوبة وكأنك في ملهى ليلي.

هشام:

ويحك يا وقحة كيف تصفين الجبهة بملهى؟

أحلام:

وما الفرق فالرجال تتقاذف القنابل والرصاص في الجبهة، وفي الملهى الليلي
يتقاذف الرجال القُبلات مع المومسات، وفي الحالتين نحن الزوجات هن
الخاسرات فقط.

هشام:

تقولين فلسفة يا زوجتي.

أحلام:

بل أنا أعبّر عن مخاوفي يا هشام، هل تأكل جيدا؟

هشام:

الأكل موجود وبكثرة لا تخافي، لكنني أعاني نقصا حادا في القُبل.

أحلام وقد سألت دمعتان اثنتين من عينيها:

عد سالما أمنيحك شفاهي، لا القبل، فقط عد سالما أرجوك.

هشام:

أعدك أني لن أتأخر عن مواعدي.

أحلام:

سأنتظرك بعد ثمانية أيام وعشر ساعات.

صمتت قليلا ثم أكملت بعد أن حسبت ما تبقى من الدقائق وقالت:

وسبع عشرة دقيقة، أرجوك ألا تتأخر؛ فسننتظرك أنا ومجموعتي كلها.

هشام:

مجموعتك؟ أريد الاختلاء بك أيتها الذكية.

أحلام:

ولا يحلو الاختلاء بي إلا مع مجموعتي.

ضحك هشام وقال مستفهما:

عرفيني إليهم يا فيلسوفة؛ فقد تشوقت للتعرف إليهم.

أحلام - وهي تقطع الكلمات بفواصل زمنية كي تمنحها قيمتها المعنوية -:

أنا... وقلبي... وروحي... وشوقي... ولهفتي... ورغبتني... وحاجتي.

أطلق هشام حسرة وصلت حرارتها عبر أثير الهاتف وأحست بها أحلام

وقال:

كم أنا محظوظ بك حبيبتى، سآتي ولن أتاأخر، تصبحين على خير.

أحلام:

وأنت بألف خير، عندما تصحو أنتظر منك اتصالا.

هشام:

ومن سيدفع تكاليف الاتصالات يا ذكية؟

يكفينى منك ولو رنة على هاتفى تجربنى أنك بخير.

لأذني أحببت وطني...عبد العشق...أحببتك أنتِ

أكمل هشام إعداد حقييته متهيئا للنزول في إجازة غدا، وراح يجري أكثر من اتصال لينطلق قبل الجميع، خالقا فرقا زمنيا لمفاجئة أحلام ووصوله قبل الموعد ولو بساعات؛ وبالفعل جاءت اتصالاته بفائدة، وحصل على إذن بمغادرة مقر اللواء من الفجر، وتسليم مهمة قيادة سرية المغاوير التي يأمrote لضابط بديل.

في الفجر تهيأ هشام لمغادرة مقر اللواء مع سائق يوصله إلى أقرب مرآب لسيارات الأجرة المتوجهة إلى بغداد.

وصل الملازم علي نجبر هشامًا أن عليه الإسراع بالمغادرة فقد جاءت برقية بالتوجه بسرية المغاوير التابعة للوائهم لواجب مهم جدا وفي منطقة خطيرة ضمن قاطع مهمات اللواء، لكنّ هشام كونه أمر السرية الحقيقي والفعل رفض أن يتوجه مقاتلوه إلى تلك المنطقة دون أن يكون معهم؛ لأنه يعرف خطورة المنطقة وحساسيتها.

انطلقت سيارات سرية المغاوير باتجاه الهدف المهم، وبعد حوالي ربع ساعة كانت تقف على بعد ثلاثة كيلو مترات من الهدف، فاقترح هشام أن تتقدم مجموعة راجلة وتباغت العدو دون استخدام العجلات.

عرض هشام الأمر على المقاتلين وأخبرهم أن من يرد مرافقته باختياره فليلحق به؛ فهو لن يجبر أحدا على التضحية بنفسه بعد أن أوضح لهم خطورة الموقف.

بعد ربع ساعة كان هشام يسير عبر الأراضي الزراعية ومعه عشرة من رجاله متوجهين للهدف عبر طرق غير متوقع الوصول منها إلى البيت الهدف، متجنبيا كل الفخاخ التي كان يحكم صنعها أولئك الإرهابيون.

قبل أن يصل المنزل المذكور انفجر لغم أرضي بأربعة من المقاتلين مما أدى إلى استشهاد اثنين وإصابة اثنين آخرين بجروح خطيرة.

كان صوت الانفجار كافياً لتحذير العدو الذي فتح نيران أسلحته بكثافة على هشام ورفاقه الذين كانوا بلا ساتر يوجب عنهم وابل رصاص العدو. اتصل هشام بباقي القوة وأمرهم بالتقدم ودعم المجموعة، وبالفعل تحركت السيارات بسرعة لدعم أمر سريتهم ورفاقهم، ولكن قبل أن يصلوا إليهم انفجر لغم أرضي تحت إحدى السيارات المقاتلة مما أدى إلى تعطيل الرتل كله.

اضطر هشام للتراجع بعد أن أصيب اثنان آخران؛ ما جعل الانسحاب خياره الأوحده للحفاظ على أرواح مقاتليه الجرحى. بعد أن أيقن أن العربات المسلحة لن تصله في وقت قريب، وخصوصاً أن ذخيرتهم قد شارفت على النفاد.

الانظار ... جلدٌ لقلبي العائق بسوط الوقت.

في الساعة السابعة صباحا وكعادته استيقظ الحاج عبد الرزاق يروم التوجه إلى شركة الاستيراد والتصدير الخاصة به؛ فوجد أحلام قد أعدت الفطور له وهي تعمل مسرعة لتنظيف البيت.

الحاج عبد الرزاق بصوته الوقور:

صباح الخير.

أحلام بوجهٍ كله سعادة:

صباح الخير عماء.

الحاج عبد الرزاق:

أراك مبكرة جدا اليوم، وها أنت بدأت بتنظيف البيت.

أحلام:

أنا مستيقظة من السادسة لأنني أعرف أن هشامًا ربما يخدمني فيأتي مبكرا

لذلك أنا أريد إنهاء أعمال المنزل لأهين نفسي لاستقباله.

الحاج عبد الرزاق ضاحكا:

لكنك بذلك تتلفين مفاجأته...

أحلام:

ليت الأمر بيدي يا عماء، لكن اشتياقي له جعلني لا أطيق صبرا على غيابه.

الحاج:

أدام الله الود بينكما، إذن لن أذهب للعمل اليوم وسأعتبره إجازة، ولنتعاون

على إتلاف مفاجأته معا.

أحلام وهي تسكب الشاي لعمها الحاج:
نعم أنا متأكدة أن هشامًا سيأتي اليوم وقبل أن يحل وقت الغداء، فأنا أتقنت
فهم الأعيبه.

الحاج عبد الرزاق وهو يرتشف بعض الشاي:
وما الذي جعلك متيقنة من استنتاجك؟
أحلام وقد جلست أمام عمها مباشرة وهي تنظر إليه بعينها، وكأنها
تحولت كلها إلى عينين:

هشام أكد لي الموعد وأنا أعرفه جيدا؛ ليس ممن يخلفون موعدا.

الحاج عبد الرزاق:

هذا الولد له (وحشة) في البيت كبيرة لا يسدها أحد.

في الثانية عشر كانت أحلام قد أنهت كل أعمال المنزل وأعدت الطعام الذي
يجه هشام، وهو مرق اللحم والرز العمبر العراقي، والكثير من أصناف الطعام
والمقبلات وكأنها تعد وليمة.

أسرعت وارتدت ثوبا أحمر لظالما أعجب به هشام، وراحت ترسم على
عينها بالكحل كي تزيدهما سحرا فوق سحرهما، ووضعت الكثير من الزينة
ومساحيق التجميل وكأنها عروس في ليلة زفافها.

نزلت الدرج الكبير مع أطفالها وكان الجميع يعيش حالة العيد بانتظار هشام.

قالت الحاجة سعاد بوجهها الفخم والذي لا يبتسم إلا مجاملة أحيانا:

أحلام، أنا أتصل بهشام وهو لا يجيب؟

أحلام وهي تضحك:

ألا تعرفين ألاعيب ولدك؟ يريد شغل بالننا عليه حتى يكون للقائنا سعادة
مضاعفة.

الحاجة سعاد:

سأوبخه إن كان يتلاعب بي، ألا يعرف أنني أم، وقلب الأم لا احتمال له
للقلق وسخافات المقالب.

أحلام مترجية الحاجة سعاد:

لا، أرجوك يا خالة، لا تفسدي متعة اللقاء.

في الثانية ظهرا دخل أحمد وهو يغني بصوت عالٍ ويصفر مثل كل مرة، إذ
كان يعتقد أن والده في العمل، وهو لا يعود إلا بعد الخامسة عصرا؛ لكنه صمت
فجأة، فقد وجد الحاج عبد الرزاق والعائلة كلهم يجلسون على مائدة الطعام
وهم في وجوم.

تغير شكل أحمد كلياً وتحول للرسميات؛ فسلم على الحاج والحاجة وقبل
يديهما، ثم سلم على أحلام وجلس فوراً وقال مندهشاً:
أرى اليوم وليمة عامرة، هل تنتظرون ضيوف؟
فلم يجبه أحد.

مد أحمد يده وراح يأكل أول قطعة من الدجاج المقرمش وهو يقول:
سلمت يمينك يا أحلام.

ازدادت دهشة أحمد بسبب عدم رد أحلام، فلم يعتد منها إلا أنها مجاملة،
وأكثر ما يسعدها مديح طبخها.

هز أحمد يديه ورأسه متعجباً؛ لكنه انهال على الطعام كالمفجوع دون النظر
لأحد.

قال الحاج عبد الرزاق مخاطبا أحلام:
دعي أطفالك يأكلون يا بنتي ما ذنبهم كي ينتظروا أباهم؛ إن كان الأكبر
منهم قد باشر بالأكل دون انتظار أخيه.
غص أحمد باللقمة واحتق؛ لأنه عرف أن الحاج قد قصده بهذا الكلام،
فناولته والدته كوب ماء.

نهض أحمد واستأذن من الحاج بمغادرة المائدة.
لكن الحاج قال لأحلام بنوع من الخوف والقلق والتشنج:
هل اتصل هشام بك اليوم؟
أحلام وهي بالكاد تتكلم:
لا يا عمها.

تدخلت الحاجة سعاد مخاطبة أحلام:
جربي الاتصال به الآن.
أخذت أحلام الهاتف الذي كان بجانب يدها واتصلت بزوجها لكن
-وكل مرة - يرن دون إجابة.

وضعت الهاتف وهي تقول: اووووف
قال الحاج عبد الرزاق بعصبية:
أقسم إن كان ذلك السخيف يلاعبنا ألا أكلمه أبدا.
اتجه أحمد نحو غرفته، وبدأ بتسلق الدرج حتى وصل إلى منتصفه، فرن
جرس الباب؛ فنهض الجميع، وأولهم أحلام، لدرجة أنها راحت تركض باتجاه
الباب الذي يبعد عنها حوالي الخمسة أمتار، وفتحت الباب بسرعة وبقيت
صامتة دون كلام.

نزل أحمد من الدرج بسرعة واتجه إلى الباب حيث كان الدرج بمواجهة
الباب الكبير للمنزل، وكأنه رأى شيئاً أروع به.
نهض كل من الحاج عبد الرزاق والحاجة سعاد بعد أن رأوا تصرف أحمد
لأنهم كانوا يجلسون على يمين الباب ولا يمكن لهما أن يريا ما خلف الباب،
فاتجها إلى الباب أيضاً.

كيفه ليه أنه أحيا بدونك وأنتو نبضيه وأنفاسيه

نهض الحاج عبد الرزاق بعد أن رأى أحلام اختبأت خلف الباب؛ لأنها كانت ترتدي ملابس خاصة بالبيت ولا تليق باستقبال أغراب، فعرف أن الطارق غريب وليس ابنه هشام، فلحق بولده أحمد الذي سبقه إلى الباب بعد ابتعاد أحلام عنه.

كان بالباب ضابطان يرتديان زيا رسميا.

أحمد:

تفضلا أخواي، بمه يمكن أن أخدمكم؟

أمتلاً وجههما حزناً، وكل منهما أخذ ينظر إلى وجه الآخر وكأنه يقول: أنا لا أستطيع الكلام، أنت من عليه المبادرة. فقدم أحدهما نفسه قائلاً:
أنا الملازم أول علي.

الحاج عبد الرزاق مخاطباً أحد الضابطين:

أنت زميل هشام، سبق وزرتنا في البيت قبل عامين، تفضل يا بني فالغداء جاهز، وسيصل هشام في أي لحظة؛ فنحن ننتظره منذ الصباح.

سقطت دمعة حارة مع شهقة لم يستطع عليّ تحملها، وكلمات اختنق بها ولا يستطيع التفوه بها، فلم يجد إلا الدمع وسيلة للهرب من احتقان مشاعره.

فهم الحاج عبد الرزاق معنى تلك الدموع التي سقطت؛ فشعر بدوار وكأن الأرض دارت به دورة سريعة لكنه أبى أن يسقط، فليس هو الرجل الذي يسقط على الأرض ولو بسبب خبر فقدانه لولده الأحب إلى قلبه، فتمسك بالباب بيد وانكأ على ابنه أحمد بيده الأخرى، واستدار إلى الحاجة سعاد وقال لها بصوت متحشرج:

زغردي يا أم البطل.

فأصاب الكلام الحاجة سعاد بالصمت، وكأنها لم تسمع قول زوجها. فأعاد عليها الأمر بعد أن استجمع قوته وصاح:
زغردي بأعلى صوتك يا امرأة.

زغردت الحاجة سعاد وهي تعلم أن ابنها استشهد، ولكن أمر الحاج لا مناص من تنفيذه، فاختلطت الزغاريد بدموع الفقد واللهفة والألم،
أحمد وهو يمسك بأبيه بكلتا يديه من خصرته؛ لأنه كان أقصر منه بكثير:
أرجوكم، أنا لم أفهم شيئاً.

كل هذا وأحلام البسيطة التفكير كأحمد، فكلاهما لم يفهم ما الذي يجري سوى زغاريد ودموع، وعمها المتناسك عن السقوط، وأحمد الممسك بوالده، كل هذه أشياء لم تفهمها، كانت تتمنى لو تستطيع أن ترى من خلف الباب الملازم أول علياً لتسأله سؤالاً واحداً كان يجول بخاطرها - فكل ما حولها كان غير ذي أهمية بالنسبة لانتظارها زوجها هشام - فاستدارت وصارت أمام الملازم أول علي وسألته سؤالاً ساذجاً:

ممكن تخبرني يا أخي متى يصل هشام؟

ظن علي أنها فهمت ما دار من كلام بالعيون، وما كان بينه وبين عمها، فلبس عليه ما أرادته أحلام؛ فدفع ببطء زميله الملازم أول الذي كان معه، وتنحى هو بدوره لتظهر أمامها سيارة عسكرية كبيرة وفيها العديد من الرجال وقد ارتدوا زي الانضباط العسكري وهم يحيطون بتابوت يحمل العلم العراقي.
استدارت بقوة إلى عمها وقالت له بخوف وهي ترتجف:

ما هذا يا عم ما هذا؟!!!!!!!

لم يكن من الحاج إلا أن احتضن أحلام وراح يبكي.
تملصت أحلام من عمها ودفعته واتجهت تركض باتجاه التابوت بثوبها
الأحمر وهي تصرخ:
هشام... هشام.

لم تستطع أحلام صعود السيارة لأنها كانت عالية جدا بالنسبة إليها؛ فبقيت
تدور باحثة عن مكان تحاول منه الصعود، وكأنها جنت. فها هي تدور حول
السيارة راكضة.

أنزل الجنود التابوت على الأرض إكراما لها؛ فأزاحت العلم وهي تريد
إزالة الغطاء لإظهار وجه زوجها. حاول أحد الجنود منعها، لكنه لم يستطع،
فظهر لها هشام وكأنه نائم بلا أي خدش أو جرح في وجهه فأخذت تحاطبه وهي
تبكي وتضحك بوقت واحد:

لم أتوقع أن يصل بك الأمر أن تبرع بألاعيبك لهذه الدرجة، لكن قد
كشفتك أيها الماكر، انهض وكفى حيلة فقد أعددت كل ما تحب من طعام وأول
تلك الأصناف (مرق اللحم) قم هيا، وقد نهضت بطول قامتها هيا يا هشام قم.
عادت وانحنى عليه وهي تبكي كطفلة:

قم أرجوك قم فقد أوجعتني، وهذه أول مرة توجعني بها في حياتك،
سأعطي الطعام كله لهؤلاء الرجال وسأحرمك من الطعام كعقوبة لك.
راحت تصرخ بحرقة:

قم أرجوك قم أرجوك. أولادك ينتظروك، ألا تريد ملاعبة شمس؟ ألا
تريد أن تضحك على نكات رامي؟ ألا تريد أن تتصارع مع سامر؟
أخذ الجميع يبكي وأحلام مازالت مستغربة من صمت هشام وعدم الرد عليها.

كيفه للموت أنه يأخذك منه وأنت في قلبه ساكنه

ثالث أيام العزاء مر وأحلام صامتة ولا تتكلم؛ فهي لم تغير ثوبها الأحمر،
والجميع خائف على تلك الفتاة من صمتها، احتضنتها أمها وقالت لها:

ابنتي... حبيبتي... ابكي ولو قليلا.

أحلام وكأن عينها لا تتحرك كالعمياء...

علام أبكي؟

احتارت أمها بمه تحيها، لكن كان يجب عليها الرد.

على أي شيء تريد البكاء عليه.

أحلام:

هشام مثلا؟

أم أحلام:

نعم يا ابنتي، لا تخفي القهر بداخلك.

قاطعتها أحلام وقالت:

لم يخلف هشام وعدا وعدنيه، وأنا متأكدة أنه لن يخلف اليوم وعده.

أدارت وجهها إلى أمها وهي تبكي:

أنا أنتظره لأنني أؤمن به إلى حد أنني أكذبكم جميعا.

نهضت أحلام من مكانها وقالت بصوت عال: أجبر الجميع على الصمت،

نهضت من مكانها وقالت بصوت عال للحضور:

اتجه الحاج إلى غرفة أحلام وطرق الباب عدة مرات فلم تجبه أحلام، فقال الحاج:
أنا أبو هشام يا ابنتي،

فتحت الباب أحلام بما بقي لديها من قوة وهي بالكاد تحملها أقدامها، فهي
لم تأكل طوال ثلاثة أيام قط؛ فظهر الحاج عبد الرزاق ومعه أطفالها الثلاثة الذين
اندفعوا باتجاه أمهم، إلا شمس فإنها أخذت تركض بدموعها لا بساقيها عندما
رأت أحلام؛ لأن جدها كان يحملها على ذراعه.

جثت أحلام على ركبتيها وقبلت أطفالها وقالت لهم:
إياكم أن تصدقوا إن أباكم مات.

لأول مرة يجلس الحاج عبد الرزاق على سرير أحلام وبالقرب منها وقال لها:
يا بنيتي، زوجك كان رجلاً حقيقياً، عاش رافعاً رأسه ومات ميتة الأبطال،
زوجك نال الشهادة، وهو عند ربنا في عليين.

أحلام:

لكنه وعدني يا عم.

الموت أكبر من قدرة هشام ووعدته. تعالي يا ابنتي.
وضعت أحلام رأسها على فخذ عمها بينما راحت عيناها الدامعتان بغزارة
تسقي ثوبه الأبيض الناصع قال لها:...

إن كنت تحبين هشاماً فعليك برعاية أطفاله وإنشائهم كما كان يريدكم وكما
نريدكم نحن.

أحلام:

يعني لن أراه بعد الآن؟

الحاج عبد الرزاق وقد أجهش بالبكاء:...

لن نراه بعد الآن يا ابنتي.

روحی تشاطرك قبرك وما جسدي إلا جثث بلا قبر

وقف الحاج عبد الرزاق قرب الدرج الكبير للمنزل وصاح بصوت عال:...

أحلام... أحلام، أسرع يا بنيتي فقد تأخرنا على موعد المدرسة.
نزلت أحلام الدرج ببطء على غير عاداتها وهي تمسك بيد رامي أكبر أولادها حتى وصلت إلى عمها لتترك حينها يد ابنها ولتمسك يد عمها لتقبلها احتراماً، ومثل كل مرة سحب الحاج يده منها، وأمسك برأسها وقبلها من فوق جبينها وقال لها داعياً:...

حفظك الرحمن من كل سوء.

ردت أحلام بدمعة صغيرة تخبره أن الأسوأ قد حصل.
فهم الحاج ما أرسلته تلك الدمعة من رسالة؛ فأراد تغيير مجرى الحديث؛ فتوجه بنظره إلى رامي الصغير وقال:...

ها قد أصبحت رجلاً، واليوم أول يوم لك في المدرسة، أريدك أن تكون متفوقاً كي تصبح مهندساً أو طبيباً.

قال رامي بصوت كله إصرار وعزيمة:...

بل سأكون ضابطاً مثل أبي.

صعقت أحلام الواقعة فجثت على ركبتيها، وقالت وهي تمسك به من كتفيه بكلتا يديها وراحت تهزه وهي فاتحة عينيها الكبيرتين:...

إلا الضابط، أريدك أن تكون طبيباً تشفي الناس أو مهندساً تبني البلاد، لا أريدك محارباً، يكفيني ما أخذه أبوك معه من روحي وقلبي.

تدخل الحاج عبد الرزاق ثانية وبأسلوبه الراقى: ...
أحلام... لا تتعبي تفكير الصبي فهو ما زال صغيراً.
وأمسك بيده وأخذه من أمه وهو يخاطبه: ...
عندما تكبر كن كما تشاء، المهم عليك الآن أن تتعلم القراءة والكتابة.
جلست أحلام على الدرج، حيث بدت شاحبة اللون رافضة للأكل إلا ما
يسد رمقها وما تحتاجه طاقة للحركة.
نزل أحمد من الدرج ماراً بأحلام فسلم عليها وقال: ...
ألا يوجد فطور اليوم؟
أحلام: ...

ليس من عاداتك أن تنهض مبكراً، وخصوصاً أن اليوم هو عطلة بالنسبة
إليك.
أحمد: ...

وعدت غيد بنزهة طوال اليوم.
أحس أحمد أنه ارتكب خطأ بإخبار أحلام بنزهته مع غيد حبيبته، والتي
هي شبه خطيبة له؛ فربما فيه جرح لمشاعر أنثى فقدت قبل شهر رجلها وحبيبها
وكل دنياها.

أراد أحمد أن يصلح الأمر فقال: ...
ما رأيك يا أحلام أن تأتي معنا؟
أحلام مع ابتسامة حزينة: ...
أسعدكم الله يا أخي وأتم عليكم فرحته، وشكراً على دعوتك لي، وسأليها
في المرة القادمة، لكن اليوم أنا مشغولة بالأطفال.

حاولت أحلام النهوض؛ فلم تعد تتمتع بالحياة السابقة، فقفز أحمد إليها
وسحبها من يدها وقال لها:...

عليك الاهتمام بصحتك يا أحلام، فما أراه أبعد ما تكون عن أحلام التي أعرف.
أحلام:....

ومن قال إني أحلام يا أحمد؟ أحلام التي تقصد دفنت مع هشام يوم تقبلت
فكرة أنه قد مات، ما تراها الآن جثة بلا قبر، وعذاب مستمر، وشوق ماله حل،
ولطفة تستعمر، لكن عندي صغارا أخدمهم؛ لذلك أنا أتنفس من أجلهم فقط.

انسحبت أحلام واتجهت إلى المطبخ ببطء فسألها أحمد مخاطبا:....
إلى أين؟ عليك أن ترتاحي قليلا.

أحلام:....

لأعد لك الفطور، فأنت أحد الصغار الذين عليّ رعايتهم.
ضحك أحمد من كل قلبه، ولحق بأحلام وأعادها لتجلس على الطاولة
التي أصبحت قريبة منها، وقال:....

اهاا أنت تطلقين النكات، سأثبت أنني لست صغيرا يحتاج الرعاية وسأعد
لك الفطور أنا وسأقدمه.

أحلام:....

أنت تعد الفطور؟؟؟!!!

أرجوك فأنت بالكاد تعرف كيف تغسل وجهك.

ضحك أحمد ثانية وكله دهشة:....

يا ملعونة من أين لك كل خفة الدم، بالأمس كنت طفلة واليوم أنت شيء
مختلف.

أحلام:...

قد كبرت مئة عام يا أحمد.

أحمد وهو يتجه إلى المطبخ:...

انتظري فقط.

بعد ثوانٍ صاح أحمد:...

أين أجد الشاي؟

أحلام:

في الباب الثالث من الدولاب العلوي.

أحمد:...

أين أجد الزيت؟...

أحلام في الباب الأول من الدولاب الأرضي.

بعد دقائق بدأت رائحة احتراق الزيت وأشياء أخرى لدرجة أن الحاجة

سعاد جاءت تسأل ما الذي يجري؟

قالت أحلام:...

أحمد يعد الفطور اليوم.

الحاجة سعاد:...

وكيف سمحت لهذا الأحمق بذلك؟

أحلام وهي تضع رأسها على يدها:...

أقسم أنه كبير بشكل كاف ليعد الفطور.

قطع حديثها صوت أحمد وهو يستغيث:...

أحلام... أحلام؛ أنجديني سأحترق وسيحترق البيت كله.

هرعت الحاجة سعاد وأحلام من ورائها فوجدا مقلاة الزيت تحترق بنار عالية، وأحمد لا يعرف ماذا يفعل.

وصلت الحاجة فأسرعت بإخراج أحد أغطية القدور وغطت بها المقلاة فخدمت النار في لحظة.

أصيب أحمد بالذهول وقال:...

بهذه البساطة ... كنت أتوقع أن علينا الاتصال بالمطافئ.

أحلام متشمتة وكأنها كسبت الرهان:...

الم أقل لك إنك مازلت صغيرا تحتاج الاهتمام، اذهب وانتظر عند منضدة الطعام وسأتيك بالإفطار يااااااا طباخ.

رمى أحمد صدرية المطبخ، وخرج وجلس كطفل إلى مائدة الطعام، وبعد دقائق كان كل شيء مُعداً أمامه وأمام الحاجة سعاد؛ لتركهم وتغادر أحلام المكان.

أحمد وهو ينادي أحلام:...

تعالى افطري معنا.

ردت بيدها مشيرة إليه دون أن تلتفت ب: (لا). وصعدت الدرج باتجاه غرفة أطفالها.

أحمد:...

أمي، إن بقيت على هذا الحال ستصاب بسوء التغذية.

الحاجة سعاد:...

أحبت هشامًا إلى حد الجنون؛ ستعود غيابه تدريجيًا، فمثلها بلغ عددهم الملايين يا ولدي، والرقم في تصاعد، في بلد صار الموت إيقاعه اليومي، ومع ذلك فإن عجلة الحياة لا تتوقف.

أحمد وهو ينهض من عند الطاولة: ...
مع السلامة ولا تنتظروني على الغداء.
الحاجة سعاد وهي تنادي أحمد: ...
والفطور يا ولدي.
أحمد: ...

بعد كل جرعة التراجيديا هذه والتعب في المطبخ سيكون الفطور في مطعم
أرخص وأريح.

آه من طفلة يصيدني بالأرق متى في... علمي

كانت تلك الأصابع التي تداعب جبين أحلام تحمل الحركات نفسها التي كان هشام يداعب وجهها بها عندما كان يروم إيقاظها صباحاً، تمددت شفتنا أحلام لتتفاعل مع شعورها بالارتخاء واللذة؛ فهي كانت أحوج ما تكون للمسة حنان.

فتحت أحلام عينيها فوجدت أن هشاماً ينظر إليها بحب ولهفة؛ نهضت أحلام بنصف جسدها، وليتها لم تنهض، فقد اكتشفت أن ما رآته كان حلماً جميلاً، فاستبدلت بالضحكة دمعة حارة، وعادت لسريها ونظرت إلى الوسادة التي كان يضع عليها هشام رأسه، وراحت تتخيل وجهه وهو مقابل لها وهو يتسم كما تعودت أن تراه، بصمت أخذت الدمعة تقفز من عينيها اليسار فتزلق لتسقط في العين اليمنى فتمترج الدمعتان كعناق حبيبين سينزعان من بعض بعد ثوان.

انفجرت أحلام باكية بصوت عال وبحرقة، فلم تجد إلا الوسادة لتملاً فراغ حضنها الخالي؛ لأنها كانت تحتاج لصدر يلامس صدرها المحترق شوقاً لزوجها الغائب حد الجنون.

طُرق الباب فقالت أحلام مستغربة:...

من؟

ردت نجلاء أخت هشام التي تتوسط بولادتها بين هشام وأحمد والتي كانت تكبر أحلام بسنة واحدة بصوت رقيق:...

أنا نجلاء.

عرفت أحلام نجلاء من صوتها الرقيق والحنون فقد كان ذلك ما يميزها دون الآخرين، فقالت أحلام:...

تفضلي نجلاء الباب مفتوح.

دخلت نجلاء وأنارت الضوء واتجهت إلى السرير الذي كانت تنام عليه أحلام حيث كانت تنام على جهتها اليمنى وتحتضن وسادة هشام وهي تحاول التصبر عن البكاء وإخفائه عن نجلاء التي جلست خلف ظهرها ومدت يدها تداعب رأسها بصمت.

بعد لحظات من الصمت قالت نجلاء:...

على المرء أن يتعود الفشل في حياته كما يتعود النجاح، والفقد كما يشتهي اللقاء، والخسارة كما يرغب بالربح.

أحلام:...

وأأي خسارة تلك التي تجعلك بلا روح؟

نجلاء:...

اعلم حجم خسارتك يا أحلام.

أحلام:...

لا... لا تعرفين وأتمنى ألا تعرفي يوماً ما أشعر به.

نجلاء:...

كيف لا أشعر وأنت صديقتي؟ عرفنا بعضنا ونحن أطفال.

أحلام:...

أتعرفين معنى أن تكون أنفاسي عبثاً علي؟ فما بها من أوكسجين يشعل براكين نار رتبي، وألا يكون لعزاء قلبي أمد، وأن يتحول الموت لأمنية، أن أخير بين الموت للقاء من أحب وبين العيش لرعاية أطفال في أمس الحاجة إليّ، وفي الخيارين أنا لا أمارس الحياة، بل أمارس موتا يعصر الروح كل لحظة.

نجلاء وهي تطلق حسرة طويلة: ...
ما قلت من كلام أعلى وأكبر من سد مأرب، أوقف سيل كلماتي التي أريد
مواساتك بها، أعلن لك استسلامي.

أحلام: ...

وأنا أعترف لك أنني لست زوجة وفيه.

نجلاء بصوتها الهادئ والرقيق: ...

كل هذا الحزن وأنت لست بوفية؟ ربما على الوفاء أن يغير اسمه إلى أحلام
كي يعطي لنفسه قيمة وعمقا أكبر .

أحلام: ...

غدا اليوم الأربعين على رحيل هشام، كنت أتوقع الموت فور سماع خبر
جرحه، واليوم أنا ما زلت أكل وأشرب وأسير وأعمل، فما أقسى قلبي !!!
ساد الصمت المكان؛ فلغة الكلمات قد احترقت في غرفة الأحزان، وبقيت
المرأتان على حالهما، أحلام تدير ظهرها محتضنة وسادة زوجها، فيما أجهشت
بالبكاء، ونجلاء تمشط شعر صديقتها دون أن تنس بينت شفة.

كَسْبِيَّحَ بَعْدَكَ رَاعِ يَتَقَاسِمُونِ كُلُّ مَنْزِلٍ هُوَ لِي

في الصباح تحول البيت إلى خلية نحل من كل نساء العائلة بمن فيهن نجلاء. فاليوم ذكرى أربعينية هشام، وسيأتي الكثير من أفراد العائلة والأصدقاء والجيران؛ لاستذكار ذكرى الاستشهاد، وبالتالي يجب إعداد وليمة كبيرة للضيوف؛ حيث يعكس جودة الطعام وكثرته كرم البيت واهتمام العائلة بضيوفها وذكرى فقيدها.

عند المساء رُصت الكراسي في حديقة البيت الكبيرة على شكل أرتال متوازية حتى بلغ عددها أكثر من الثلاثمائة كرسي، ووضعت بين كل خطين متقابلين طاولات خفيفة من البلاستيك، وغطيت بأغطية بلاستيكية، وراحت تُرُصُّ عليها صواني الطعام؛ حيث يوضع الرز في تلك الصينية ويوضع فوقه صلصة الخضار ومن ثمَّ ما يقارب الكيلو من اللحم المطبوخ وأحيانا يفوق الكيلو حسب إمكانية أهل العزاء المادية.

بقي الحاج عبد الرزاق وإخوته واقفين لاستقبال ضيوفهم حتى مغادرة الجميع؛ حيث كانوا يعبرون عن فرحتهم بقدوم الضيوف ويظهرون رباطة جأشهم بعدم التأثر بفقد ولدهم، وأنهم رجال حقيقيون لا يؤثر فيهم الموت أو الفقد، فمن عادة العراقيين إكرام ضيوفهم بالترحيب بهم وتقديرهم والابتسام في وجوههم، وإن كانت المناسبة حزينة مثل الموت.

في البيت كان الحال يختلف تماما عن الخارج؛ فقد علا البكاء والعويل بين النساء، خصوصا أن من عادة السيدات اللاتي يقدمن بوصفهن ضيفات أن يجلبن معهن: (الملاية)، وهي سيدة ذات صوت شجي تجيد استشارة مشاعر الحضور

بقراءتها ما يسمى (النعاوي)، وهي عبارة عن أشعار حزينة تلحن بألحان أكثر حزنا، وكانت المفاضلة بينهما بقدرتهن على الإيحاء أكثر.

بعدها يُحْتَم البكاء بقراءة القران والدعاء للفقيد بالرحمة ومن ثم يقدم الطعام، وبنفس الطريقة التي قدم بها للرجال ولكن بالجلوس على الأرض.

في المساء وبعد أن غادر كل الضيوف جلس في الصالة الكبيرة للمنزل، ذات الأربعة أطقم من الأرائك الكبيرة والفخمة، الحاج عبد الرزاق وبعض المقربين جدا من إخوته وأبو أحلام وأخويه؛ بينما راح أحمد وأحد أبناء عمه يقدمون الشاي للجالسين.

عرف الحاج عبد الرزاق بحصافته وذكائه المعروف به بين التجار أن أبا أحلام يحمل بداخله كلاما لكنه محتار كيف يبدأ به؛ فهو ينظر لأخويه كل فترة، وكان أخواه يثثانه على البدء بالحديث، وهو يماطل بالتأخير لئلا يجله.

بادر الحاج عبد الرزاق أبو أحلام وقال:...

أجد في عينيك كلاما يا أخي، فلا تتردد بالبوح به فنحن أخوة منذ سنوات طويلة.

أبو أحلام:...

ولأننا أخوة أجد حرجا كبيرا من الكلام الذي بداخلي؛ ولكنها الأعراف والشريعة يا أخي، ولولا ضغط الناس من حولي ومنهم إخواني ما تجرأت على البوح بكلمة واحدة.

الحاج عبد الرزاق وقد بدا عليه الاستغراب:

مستحيل أن أضعك بموقف محرج! فما بيننا من أخوة تحتم عليّ مساعدتك ومساندتك، تكلم وكل طلباتك مجابة، وكل ما أملك تحت أمرك يا أخي.

أبو أحلام وهو يفرك يديه: ...
ليت الموضوع موضوع مال لهان أمره، لكنه موضوع عرض وشرف.
نهض الحاج من مكانه وقال: ...
أقلقنتني يا أخي أرجوك تكلم.
تدخل عم أحلام الكبير وقال: ...
اجلس يا حاج؛ ليس الأمر بهذه الخطورة دعني أوضح لك الأمر .
جلس الحاج عبد الرزاق وكله أذان صاغية.
عم أحلام الكبير: ...
يا حاج عاشت أحلام في بيت أهلها أعواما حتى طلبتها أنت للزواج من
ابنك هشام رحمه الله، ولم تدخل هذا المنزل إلا بعد أن تم عقد قرانها وفق الشرع
والعرف، أليس هذا صحيحا؟
الحاج عبد الرزاق: ...
كلامك صحيح وهو ما حصل بالفعل.
عم أحلام: ...
وبعد وفاة هشام رحمه الله سقط العقد الشرعي بينهما، وبالتالي إلغاء الحجة
الشرعية التي تسمح ببقاء أحلام في هذا المنزل.
صمت الحاج طويلا؛ فقد فهم ما يقصد والد وأعمام أحلام بهذا الكلام،
وبعد وقت خرج عن صمته وقال مخاطبا والدها: ...
أحلام ابنتي كما هي ابنتك يا أخي، وستبقى معززة مكرمة ترعى أطفالها، والمنزل
كله لها وتحت أمرها، وأنت تعرف جيدا ألا ضيم ينالها وأنا على قيد الحياة.
عم أحلام: ...

نعرف كرمك يا حاج وإنسانيتك؛ فأنت تكرم الكل غريبهم وقريبهم
وتلك سجيتك التي عرفتَ بها بين الناس؛ لكن لا تنس أن الشرع واضح في هذا
الأمر، ومن ناحية أخرى هناك شاب في المنزل، ووجودهما معا محرم شرعا.
انتفض أحمد وقال بصوت شبه عالٍ:...

يا (عم)،... أحلام أختي؛ فهي من توقظني صباحا، وتغسل ملابسي،
وتقدم لي الطعام، أقسم أنها أقرب إلي حتى من أختي نجلاء، والكل يعرف
خليقي، فكيف تخاف عليها مني؟
عم أحلام:...

كان هذا عندما كانت زوجة أخيك وأنت محرم عليها، أما اليوم فأنت حلُّ
عليها بعد أن تقضي عدتها يا بني؛ هناك أشياء تغيرت علينا تقبلها والتعامل معها.
أحمد:...

وهل يكفي حدث واحد ليحول الأخت إلى غريبة بلحظة؟
عم أحلام: ...

كما لحدث واحد أن يجعل من أحلام أختنا لك وأعطى الشرعية لسكنها
هنا، فإن نفس الشرع اليوم يحرم أن تسكن ابنتنا في هذا المنزل بعد الآن، كان على
والدها أن ينقلها إلى بيته بعد اليوم الثالث على استشهاد زوجها، لكن تراخي
والدها وترجيه لنا جعلنا ننتظر حتى أربعينية المرحوم .
تدخل والد أحلام ليخفف الاحتقان الذي بدا جليا على وجه الحاج عبد
الرزاق وقال:...

يا حاج أنت تعرف الشرع وما يمليه علينا من أحكام، وطاعته واجبة، ترى
ما كنت تفعل لو كنت مكاني؟

هز الحاج رأسه وهو مطأطأ، معلنا استسلامه لطلب أبي أحلام فقد أيقن أن حجته قوية، وقال لأحمد:...

أبلغ أحلام أن تعد ملابسها للمغادرة مع أبيها...

أحمد - وهو يرتعش ويحرك يديه بعشوائية فهو نفسه لا يفهم معناها:...

يا حاج، أنت تفرغ هذا المنزل من روحه، وتوافق على مصادرة زرقة سائنا؟

الحاج بصوت هادئ ووقور:...

أفعل ما أخبرتك به.

سار أحمد باتجاه الباب وهو غاضب ويرمق زوج خالته وإخوته بغضب،

وقبل أن يصل إلى الباب صاح عليه الحاج عبد الرزاق:...

أغراضها فقط... أما الأطفال، فليس لوالدها أخذهم؛ فهم أبناؤنا، ولا

سلطة لهم عليهم.

قال أبو أحلام متوسلا:...

يا حاج أنت تقتل أحلام.

الحاج عبد الرزاق دون أن ينظر بوجهه:...

أنت من قتل ابنته، وعليك تحمل عواقب قرارك، فكما تطالب بابتك،

فنحن لنا الحق أن نطالب بأبنائنا، كما أن من حق أبنائنا التمتع بخير جدهم.

أبو أحلام:...

يا حاج،.....

قاطع الحاج عبد الرزاق:...

لكم ما لكم... ولنا مالنا.

غاسر لا محالض...

في صراع مع من يعرفه نقاط ضعفه

كانت أحلام تغسل الصحون الكثيرة جدا مع باقي الفتيات؛ فطلبت منها والدتها أن تكلمها على انفراد، وبعد أن سحبتها من بين جمع الفتيات قالت لها هامة:...

أعدي أغراضك وملابسك، فسترافقينا للمنزل.

عبرت أحلام بوجهها بعلامات الاستغراب وقالت:...

كيف أترك كل هذا الصخب يا أمي!!! لن أستطيع الذهاب معكم الآن فلا مزاج عندي للزيارات ولا الوضع يسمح بذلك.

أم أحلام:

ليس الأمر محل اختيار، أبلغني والدك بالأمر، وعليك التنفيذ فقط.

أحلام:

سأسأل عمي الحاج عبد الرزاق التأثير عليه.

انطلقت أحلام باتجاه الصلاة التي جلس فيها أعمامها والحاج عبد الرزاق وأحمد،

وبعد أن تأكدت ألا غريب موجود دخلت وسلمت على الجميع وقالت لوالدها:

أبلغتني والدتي بأن علي مرافقتكم للمنزل، وأنت تعرف يا والدي أن البيت

صاخب، وسيحتاج ليومين من التنظيف على الأقل ليعود مثلما كان؛ أعدك بأن أزوركم خلال الأسبوع القادم.

أطرق أبو أحلام رأسه إلى الأرض، فلم يجد الرجل ما يُعينه من كلمات

ليخبر ابنته بما اتفق عليه الرجال.

انبرى عم أحلام الكبير، فقال لها بصوت صارم: ...
لم يعد هذا المنزل منزلك، منذ الآن عليك العيش في بيت والدك.
صعقت أحلام وهي غير مصدقة ما تسمع، فقالت لوالدها:
ما الذي أسمع؟ كيف لم يعد هذا المنزل منزلي؟!!!!
أبو أحلام بأسلوبه الطيب:
هذا العرف يا ابنتي وما تمليه الشريعة.
استدارت أحلام بسرعة واتجهت إلى الحاج عبد الرزاق ووقفت خلف
كرسيه وكأنها تريد الاختباء عنده والاحتباء به وقالت:
مستحيل... مستحيل.
أبو أحلام وقد نهض واقترب منها وهو يحاول مسك يدها برفق، لكنها كانت
تهرب منه، فراح الاثنان يدوران حول الكرسي الذي يجلس عليه الحاج عبد الرزاق
وهو صامت خافضاً رأسه إلى أرض الغرفة محاولاً التصبر على ما يجري.
جلست أحلام عند قدمي الحاج وتمسكت برجله وصارت تقول له:
أرجوك يا عم، لا أريد مغادرة هذا المنزل، فهو منزلي وفيه كل من أحب،
أرجوك لا تسمح لأحد أن يجبرني على المغادرة.
صار أبو أحلام وأخوها مجيد يسحبانها، والحاج لا يحرك ساكناً، حتى أجبرها على
النهوض والجلوس على الكرسي القريب من الحاج، وراح عمها الأكبر يوضح
الأسباب التي تمنع أحلام من البقاء في هذا المنزل، وبعد أن تيقنت بأن التوسلات لا
تجدي أسرع بالهرب باتجاه غرفتها وأغلقتها بالمفتاح، محاولة منها للتمرد على الجميع.
اقترح عم أحلام على الحاج عبد الرزاق أن يمنحهم فرصة أخذ الأطفال
معهم؛ لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي ستجبرها على الإذعان للأمر.

رفض الحاج رفضاً قاطعاً الأمر، لكن إلهام أبي أحلام وتوسلاته جعلت الحاج يلين بموقفه وقال:

بشرط أن تتعهد بإعادتهم لهذا المنزل عند نهاية الأسبوع.
وافق أبو أحلام، وبعد خمس عشر دقيقة صعدت أم أحلام تجربتها بأنهم مغادرون ومعهم أطفالها، فجن جنونها وفتحت الباب واتجهت إلى المرآب الكبير؛ فوجدت أطفالها في سيارة والدها، والحاجة سعاد جالسة على السلم الخارجي المكون من خمس درجات، والمطل على المرآب وهي تبكي وتقول:
اليوم قد مات ولدي فعلاً... اليوم قد مات ولدي.

اتجهت أحلام إلى السيارة التي بدأت بالتحرك كي يثبت أخوها جديّة الأمر. نظرت أحلام من خلال زجاج السيارة المتحرك وهي تهزول معها حيث كان الأولاد فرحين ويصفقون فقد أقنعهم خالهم بأن هناك ألعاباً بانتظارهم في بيت جدهم.

أسرع أخو أحلام بالسيارة وخرج من المرآب الطويل فجثت أحلام على ركبتيها وهي مستسلمة وقد بدا عليها الانكسار والشعور بالخذلان من أعز الناس وأحنهم عليها الحاج عبد الرزاق؛ والذي بقي صامتاً طوال مدة كل تلك الأحداث. وقفت سيارة عم أحلام الكبير، ونزل منها والدها وأخذ بيدها حتى نهضت وأركبها السيارة وانطلقت بلا وداع لكل من في المنزل.

أخذ الحاج وضع القرفصاء، وكانت تلك المرة الأولى الذي يرى فيها أحمد والده يجلس تلك الجلسة المنكسرة؛ فقد كان الموقف أكبر من احتمال عمره الكبير، بينما الحاجة سعاد تبكي وتكرر:

الآن قد مات ولدي حقاً.

هتجّ ذكرياتي معاً حرموها علي
فتبت أيديهن من يقتلونه الحب

وصلت السيارتان إلى بيت أبي أحلام البسيط والمتواضع، ونزل الجميع؛
فاحتضنت الأم أطفالها؛ فقد غابوا عنها حوالي الساعة، مسافة الطريق للوصول
إلى إحدى ضواحي بغداد الفقيرة.
دخل الجميع البيت وكانت أحلام ما تزال تحتضن أطفالها بقوة ولا تقبل أن
يفارقها أحد منهم.

قال أخوها بصوت صارم:

مالك تعامليننا وكأننا وحوش نريد التهامك أو أطفالك؟!!!

لم تجبه بأي حرف، بل ظلت تنظر إليه بخوف.

اقترب والدها منها وقال:

يا بنيتي من اليوم سيكون هذا منزلك وستكونين هنا معززة مكرمة.

لم تجد أحلام إلا الدمع جواباً لوالدها.

تدخلت الأم وقالت:

ليتك سهلت الأمر لكُنَّا جلبنا معنا ملابسكم وحاجياتكم، ترى كيف

ستقضون ليلتكم وأنتم لا تملكون إلا الملابس التي عليكم؟!!

هنا انفجرت أحلام باكياً وقالت:

لقد اختطفتموني وأولادي من منزلي... من غرفتي... من فراشي من

ذكرياتي.

أين سأجد هشامًا؟ وكيف سأشم عطره؟ حرام عليكم.

أخفض أبوها رأسه، وأدارت أمها وجهها عنها لأنها لم تحتمل منظرها،
لكن أخوها قال:

ستعودين يا أحلام... ستعودين.

باتت أحلام ليلتها على فراش وضع على الأرض في الصالة الصغيرة نسيبا
ذات الأثاث المتواضع والبسيط.

استغربت كيف كان لزيارة عائلتها سعادة وهي برفقة هشام، وكيف كانت
تترجاه أن يياتوا ليلتهم هنا، وكان يرفض حتى تقنعه أحلام بتدليله تارة،
وآدعائها الخصام تارة أخرى، وهبت تحدث نفسها:

تيقنت الآن أن السعادة بالأشخاص وليست بالمكان، كيف تراني يا هشام
بعذك؟ امرأة ضعيفة لا حول لي ولا قوة، وبدون رجل يحميني ممن حولي،
أترضى غيرتك يا هشام؟!!!! كلهم تخلوا عني، حتى عمي الحاج عبد الرزاق لم
يحرك ساكنا وهو ينظر إليهم وهم يخطفون أولادي، ترى كيف سيذهب
للمسجد غدا بدون رامي وسامر؟!!!! أقسم أني أخاف عليه من الحزن.

عصر يوم السبت توقفت سيارة الدفع الرباعي الغالية نوع لاندكروزر
والتي كان يقودها أحمد في باب بيت أبو أحلام وترجل منها الحاج عبد الرزاق
ومعه الحاجة سعاد.

لم تستطع أحلام المشي عندما سمعت صوت الحاج عبد الرزاق في بيتهم بل
أخذت تهول باتجاهه حتى احتضنته بقوة وهي ترفض تركه من شدة البكاء،
حتى إن الدمع صار يظهر جليا على ثوبه، وهي تقول:

لم أتوقع أن تتخلي عني يا عماء.

كل هذا والحاج لا يجد إلا الصمت ملاذا من كل تلك الأسئلة التي
تطرحها أحلام معاتبه.

أحلام:

كنت متأكدة أنك ستأتي من أجلي، ولن تحتمل ألا تُصبح على طعم فطوري الذي أعده لك.

دخل الأطفال، سامر راكضا، أما رامي فحاملا شمس، وارتقوا في حضن جدتهم وجدهم، كان يظهر جليا آثار التعب والتأثر عليهم وعلى أمهم، فالبيت الصغير لا مجال فيه لغرفة خاصة بأحلام وأطفالها، بل كانوا يسكنون الصالة الصغيرة التي كانت مساحتها: ثلاثة أمتار ونصف عرضا وأربعة أمتار طولاً .

كانت أحلام الأسعد بين الجميع؛ فرغم شحوب وجهها إلا أن بعض شجيرات الفرح كانت تلوح في وسط صحراء وجهها الحزين.

قال أبو أحلام مخاطبا ابنته:

جاء الحاج والحاجة لأخذ الأطفال لأن غدا هو الأحد وهو الدوام الرسمي.

أحلام:

أكد يجب علينا الذهاب فغدا دوام مدرسة رامي وبالكاد ألحق إدخاله الحمام وأهيته ليوم غد؛ أنا جاهزة منذ الآن.

ساد الصمت الغرفة الصغيرة فاستغربت أحلام من ذلك السكون وكأن الموت قادم ليختطف أحدهم، نظرت لعمها الحاج عبد الرزاق فهو لم يرفع رأسه ولا لحظة، استدارت بنظرها إلى خالتها سعاد التي كانت تنظر إليها وما إن رأتها حتى أشاحت نظرها عنها بألم.

الكل صامت إلا العيون كانت تحمل حزنا يبوح بالأسوأ، ولكن هل هناك أسوء مما حصل؟!!!! راحت تسأل نفسها هذه الأسئلة وأكثر حتى قالت والدتها:

الجماعة هنا لأخذ أطفالهم.

أحلام:

أطفالهم؟

وأنا؟

ألستُ ابنتك يا حاج؟

ألستُ ابنتك يا خالة؟

في لحظة أصبحت أنا غريبة عن الجميع؟؟؟! يا ترى أنا ما زلت أم أطفالي أم لم أعد كذلك؟ أنا من أنجب وربى أم لم أعد كذلك؟

في لحظة...تحولت من زوجة إلى أرملة؛ فتحولت كل حياتي في لحظة واحدة، وبدل أن يستमित الكل ليواسيني بفقداني لروحي التي غادرت بمغادرة زوجي، صار الجميع يملأ سلال الألم ويرمي بها علي؟؟؟! وكأني نبي الله إبراهيم حين جمع الكل الحطب لحرقه. لكن حتى النبي قام بتحطيم أصنامهم، أما أنا فلم أحطم لكم شيئاً، حتى أنت يا عم تريد سلبي أطفالي!! وأنا التي كنت أرى فيك الحامي، أنا لم أخاصم أحدا منكم أبداً في حياتي، ولم أغضب أحداً. لم أعد أعرف من هم أهلي، فكلكم سلبتموني شيئاً أحبه، أبي سلبنى بيتي، وعمي سلبنى أطفالي الذين هم السبب الوحيد لي كي أبقى على قيد الحياة.

نهضت أحلام من مكانها وتوجهت نحو باب الغرفة لمغادرتها وعند وصولها الباب التفتت وقالت:

لن أقاومكم لأني أعرف إنني أضعف من أن أقاوم مجتمعا كاملا وأعرافا دقت أوتادها منذ ألف سنة، ولن تكون أنت أرحم من أبي الذي استخدم أطفالي كقطعم كي يختطفني من بيتي ومن مكان يمتلئ بعطر ذكريات زوجي، ولكن تأكد يا عم أنه بعد مغادرتك لن يكون هناك سبب لدي كي أستمر في هذه الحياة.

غادرت أحلام الغرفة، واتجهت لتجلس عند الممر الصغير عند الباب الخارجي وهي ترأب خروج الحاج عبد الرزاق وهو يمسك بيدي سامر ورامي وهما فرحان، وبعده الحاجة سعاد تحمل شمس، التي راحت تمد يديها لأمها، وكأنها تقول أريدك أمي، وبعدهم أبوها وأمها وهم يودعونهم كأنهم ضيوف أعزاء.

نظر أحمد من خلال الباب الصغير الخارجي إلى أحلام وهي في شدة الانكسار فقال يخاطب أهله وأهل أحلام:

إن كان ما يجري بسبب وجودي في المنزل فأنا سأغادر المنزل ولن أعود إليه، ولتعد أحلام لبيت زوجها وأنها هذه الجريمة.

قالت الحاجة سعاد مرعوبة:

ويلك أتريدني أن أفقد ولديّ في شهرين؟

أحمد:

لكن أحلام تفقد الآن أطفالها كلهم في لحظة.

قال أبو أحلام مهدئا الموقف:

سترضخ للأمر الواقع مع الزمن وستعتاد حياتها الجديدة، فلا تقلق عليها،

نحن أعرف بطريقة التعامل معها.

أمتاع أمي ولا لفة لي لقولك ذلك إلا بالبكاء

ظلت شمس تكرر كلمة (ماما) طوال الطريق حيث كان من الصعب خداعها؛ فقد يكون خداع العاقل أسهل أحيانا من خداع من يتعامل بإحساسه لا بعقله، وفي المقابل كانت الحاجة سعاد تردد الإجابة نفسها للأطفال بعد أن يسألوها عن أمهم: (إن أمهم ستلحق بهم في أي وقت بعد أن تنتهي بعض الأعمال في بيت أهلها)، لكن المهمة كانت صعبة للغاية مع شمس التي راحت تشكو بعد أمها دمعا وصراخا؛ فقد تعودت النوم على صدرها؛ حيث كانت شديدة التعلق بها؛ لأنها فطمت قبل أربعة أشهر؛ فقد كانت ترضع من ثدي أحلام.

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل جلس أحمد بباب غرفة الأطفال على الأرض وهو يصم أذنيه كي لا يسمع بكاء الصغيرة شمس والتي ما تركت البكاء لحظة واحدة منذ قدومهم للبيت؛ فنهض من مكانه ودخل الغرفة وقال مخاطبا أمه:

ما يحدث هنا وفي بيت أحلام جريمة لا تقبل بها الإنسانية، فكيف تدعون أن هذه شريعة الساء؟ ومدّ يده وانتزع شمس من أمه الجالسة على السرير وقال:

سأعيد الطفلة إلى أحلام الآن.

وخرج من الغرفة فإذا بالحاج يقف أمامه مباشرة وجها لوجه وهو مقطب حاجبيه وقال:

ما الذي تروم فعله؟

أحمد:

أريد إرجاع الطفلة إلى أمها.

واستدرك أحمد كلامه بدبلوماسية أراد التخفيف من غضب والده:

بعد إذنك طبعاً يا حاج.

الحاج:

أعطي الصغيرة لأمك وتعال أكلمك.

وجد أحمد نفسه يعطي الصغيرة لأمه دون شعور؛ فشخصية الحاج القوية

تحمل سحر الأمر المطاع ودون تفكير.

جلس الحاج وبقى أحمد واقفا احتراماً لوالده كالعادة، فقال الحاج له:

أتقبل أن يعيش أبناء أخيك تحت رحمة زوج الأم؟

أحمد:

وهل أحلام ستتزوج؟

الحاج:

ستتزوج عاجلاً أم أجلاً، ونحن بأخذنا للأطفال نحمي أبناءنا، ومن ناحية

أخرى نمنحها فرصة للبدء بحياة جديدة.

أحمد وقد تغيرت ملامحه لعدم الاقتناع والاستغراب:

مستحيل أن أصدق أن أحلام ستقبل بغير هشام زوجا، فهي التي قاربت

على الجنون بعد موته.

الحاج:

فتاة جميلة وذات خلق عالٍ، ألف رجل سيتمنى أن تكون زوجة له.

أحمد:

أنت أعرف يا حاج، لكن ما ذنب الطفلة؟ أليس هناك طريقة أخرى أقل

إيلاما من هذه؟ فهي تصرخ وتستغيث منذ خمس ساعات.

الحاج:

ألم ساعة أهون من ألم العمر كله.

أحمد:

لا قدرة لي على مجاراتك يا حاج، تبقى أنت الأمر في هذا البيت وعلينا
السمع والطاعة لك.

الحاج:

بارك الله بك يا ولدي وحفظك الله لنا من كل سوء، وجعلك لنا خير
عوض عن فقداننا لأخيكَ.

فجأة سمع الاثنان صوت الحاجة سعاد وهي تستغيث وتنادي:
يا حاج... يا حاج.

هرع أحمد سابقا والده إذ وصل منتصف الدرج بينما لحقه والده وفي
منتصف الباحة الكبيرة للمنزل فقد كان لفرق العمر ميزة لأحمد.
كانت الحاجة تقف أعلى الدرج وهي تحمل شمس وتلطم على خدها
وتقول:

لقد انتحرت أحلام... لقد انتحرت أحلام.

صار أحمد يضرب رأسه ويقول:

هذا ما توقعته بعد ما فعلناه بها، نحن من قتل المسكينة.

صرخ الحاج عبد الرزاق به وقال:

اسكت ولتتحرّ صحة الخبر، وأنت يا حاجة كيف عرفت؟

الحاجة وهي تبكي:

اتصلت بي أمها وهي تصرخ وهم في طريقهم للمستشفى القريب منهم.

أحمد:

سأذهب الآن إذن.

الحاج وأنا معك انتظري.

هرع الاثنان وكلاهما يرتدي ملابس البيت العادية؛ حيث كان يقود أحمد السيارة بسرعة جنونية للوصول إلى المستشفى بأسرع وقت وهو يبكي ويولول كالأطفال، والحاج ينهره فيسكت لمدة دقيقة ثم يعود لينفجر بعدها باكيا مرة أخرى.

كالمجنون راح أحمد يركض باتجاه قسم الطوارئ حيث وجد أهل أحلام يعلو وجههم الوجوم وراح يصرخ عليهم:

كيف ستواجهون الله!!!!؟؟؟؟!! كيف ستواجهون الله!!!!؟؟؟؟!!

قال مجيد أخو أحلام الكبير:

اهدأ يا رجل، أحلام لم تمت ما زالت على قيد الحياة وما زال هناك أمل بإنقاذها.

أحمد:

أريد أن أراها أرجوكم.

رد أبو أحلام وهو يفرك يديه:

هي في صالة العمليات ليعيدوا ربط أوردة وشرابين معصمها.

عاد أحمد يضرب رأسه ثانية.

دخلت الممرضة وقالت:

نحتاج دما حارا وبسرعة من نوع (+0)

احتار الجميع فكل الموجودين لا يحملون هذا الصنف من الدم، وهنا صاح

الحاج عبد الرزاق:

أنا أعطيها فأنا صنف دمي (+0).

قالت الممرضة:

لكنك رجل كبير ونحن نحتاج لزجاجتين من الدم. وهذه الكمية كبيرة جدا عليك.

الحاج:

خذي دمي كله وأنقذي ابنتي أرجوك، بل أنقذيني أنا من تأنيب الضمير.
المرضة:

لا يمكن أن أوافقك يا عم.

لحق الحاج بالمرضة وقال: أقبل يدك لا تقتليني برفضك.

اندهش الجميع من تصرف الحاج وهو من هو بشخصه واحترامه وصلابته.

قالت الممرضة:

أستغفر الله يا عم، ولكن...

الحاج:

ليت المال ينجيها فأنا أملك منه الكثير، ولكن شاء القدر أن تحيا وأنا أموت أرجوك.
المرضة:

لا أعتقد أن الأمر يصل للموت، لكننا نخاف على صحتك، فمن في عمرك لا يمكن التكهن بالأعراض الجانبية لتبرعهم بزجاجتي دم.

الحاج:

أوقع على ورقة أتحمل بها كامل المسؤولية القانونية، وهؤلاء أهلي كلهم شاهدون على رغبتى بنقل الدم لأحلام.

المرضة:

إذن أسرع يا عم، فالمریضة تصارع الموت، وقد تفارق الحياة في أي لحظة.

موتہ الجسد طریقہ للخلاص لمن سلب الآخريين منهم أرواحهم

فتحت أحلام عينيها بصعوبة وراحت تنظر لمن حولها بصعوبة أكبر، فكل شئ يبدو هلاميا وشفافا حولها، فعاتت وأغمضت عينيها. بعد ساعة تقريبا استفاقت ثانية فوجدت أحمد وأهلها يقفون قرب رأسها وهم يتسمون ويقولون: الحمد لله.

تكلمت أحلام بكلام لم يفهمه أحد، قَرَبَ أحمد أذنه من رأس أحلام وقال لها: مري يا أختي، وأقسم أنني أنفذه ولو دفعت حياتي ثمنًا له. بكت أحلام وهي تستجمع قوتها وقالت هامسة: أريد رؤية أطفالي.

أحمد:

لا تشغلي بالك، ساعة وسيكونون عندك، ها أنا مغادر لأجلهم لك. بعد ساعة كانت الحاجة سعاد والأطفال عند أحلام. أدارت أحلام نظرها بين الحضور وقالت:

لا أجد عمي الحاج عبد الرزاق، ألهذه الدرجة ما عدت أهمه؟ ردت أم أحلام:

كيف يا أحلام لا أهمية لك عنده وهو الراقد بجانبك في الردهة المجاورة لأنه فقد الكثير من دمه كي يعوض ما فقدت من دمك منقذا إياك من موت محقق؟؟؟

أغمضت عينيها وقالت:

لطالما آمنت أن هذا الرجل هو ملاكي الحارس؛ حتى عندما أخذ أطفالي لم
أصدق أنه عمي الحاج عبد الرزاق، وكان قلبي يُكذّب عيني وعقلي.
حاولت أحلام النهوض لكنها لم تستطع فسألها أحمد:
سليني ما شئت وأنا أحضره لك.
أحلام:

أردت فقط تقبيل يد الحاج عبد الرزاق فمنذ سبع سنوات وأنا أدمنت
تقبيلها كل يوم.
أحمد:

عندما يتمكن من الوقوف سيحضر بنفسه إليك.
انقطع صوت أحمد عند سماع صوت ابن خالته وهو يقول: أصيب والدك
بنوبة قلبية وعلينا نقله إلى غرفة العناية المركزة فوراً.
ركض أحمد وتبعته الحاجة سعاد باتجاه ردهة الطوارئ فوجدوا الحاج فاقدا
للوعي ويتنفس بصعوبة.

خلال دقائق كان الحاج في غرفة العناية المركزة وأحمد يفرك يديه ويحدث نفسه:
ما الذي حصل يا ربي؟ فجأة تحولت حياتنا لمأساة دون سابق إنذار، أيعقل أن
استشهاد هشام جعل كل شيء يتحول من كل تلك الألوان إلى السواد بلحظة، ترى
لو مات أبي ما الذي سأفعله؟؟ وكيف سأدير العمل وأنا لا أعرف عنه أي شيء.

كانت أحلام تلوم حظها العاثر لما حصل وتحدث نفسها:
حتى الموت أبي أن يستقبلني!! فأين ألوذ منك يا قدرتي؟؟؟!! وإلى أي
أرض أغادرك؟؟؟ وبدل أن أريحهم مني ها أنا أربك الكل بمرضي، وزيادة على
ذلك بمرض عمي أو ربما موته بسببي.

كانت الحاجة سعاد تجلس على أرض الردهة حيث رفضت الخروج وأصرت على البقاء مع الحاج، فتارة تقف، وعندما تصاب بالتعب لكبر سنها تجلس قليلا على الأرض، ثم تنهض بعد دقائق وهي تفرك يديها وتلطم وجهها صامتا أحيانا، ثم أخذت تبكي وهي ترى منظر الحاج المهيب وهو نائم وهي تقول:

حتى وأنت تحتضر تبدو لي قويا يا حاج، أريدك أن تبقى قويا وأن ترعب الموت عندما يقترب منك، إياك أن تستسلم، فكر بي وما سيحصل لي من بعدك، بل ما سيحصل لنا كلنا بعدك يا سيدي وتاج راسي.

المواقف الصعبة تخلق الرجال الحقيقيين في لحظة

أُتصل مساعد الحاج من مكتب الشركة يسأل أحمد عما سيفعلونه بالبضاعة الواصلة إليهم، وأحمد لا يجير جوابا لكل الأسئلة التي لم تخطر يوما في باله؛ فطلب المساعد حضور أحمد لمكتب الشركة للضرورة الملحة.

اتجه أحمد للمكتب واجتمع بالعمال وأبلغهم بما آل إليه الحاج عبد الرزاق وأكمل قائلا:

علينا اليوم أن نثبت ولاءنا للحاج عن طريق الوفاء لهذه الشركة، قد أكون غير عارف بكل شيء حولي، لكن أنا على يقين كامل بأن والدي ما اختاركم اعتباطا؛ لأنه كان يعرف كيف يزن الرجال، فلا تخيخوا ظنه يا أخوتي.

التفت إلى المساعد وقال له:

عليك تعليمي كل شيء يا عم، وأعدك إنني سأكون تلميذا مطيعا.

رد المساعد بحماس:

بارك الله بك يا ولدي، أعدك أنني لن أبخل عليك بأي شيء مما أعرفه في السوق، ومن ناحية أخرى: هذه الشركة هي مصدر رزق لعشرات العاملين وأسرهم، وخسارتها تعني خسارة للجميع.

أحمد:

كيف سنتعامل مع البضاعة الواصلة يا عم؟

المساعد:

تم التعامل معها بالفعل يا أستاذ أحمد وهي الآن داخل مخازن الشركة.

فرح أحمد بلقب أستاذ فهذه أول مرة يسمعه في حياته وكانت فرحته أكبر
كون المساعد قد تصرف وأنهى أمر البضاعة؛ فقال له:
الحمد لله أرحمتي يا عم، أعتقد أن عليّ الذهاب بعد أن حلت المشكلة.
المساعد:

أي حل يا أستاذ... ما زال أماننا التوزيع والترويج للبضاعة ومن بعده
تحصيل المبالغ من الوكلاء، بمعنى أننا لم نقطع من الطريق إلا عشرة في المئة.
وضع أحمد رأسه على المكتب وقال:
ليتني رافقتك يا أبي لأعرف كل هذه التفاصيل.
المساعد وهو يغادر الغرفة:

سأزودك بكراس يوضح لك تسلسل العمليات والمشاكل المرافقة لها، نعدده
لمندوبي الشركة المبتدئين، وطريقة التعامل مع المشاكل التي تصاحب كل عملية.
استدار المساعد لأحمد، وغمز له بعينه وأكمل:

طبعا هذا سيقى سرا بيننا، عليك الإيحاء للجميع بأنك عارف بكل صغيرة
وكبيرة كي تتمكن من قيادتهم.
أحمد:

ولكني لا أعرف أي شيء.

المساعد:

اقرأ الكراس وستعرف الكثير، وإن سُئلت عن أي قرار وأنت لا تعرف
الإجابة سأكون قريبا منك سأتابعك خطوه بخطوة.
أحمد:

يا عم إن خسرت الشركة سيموت أبي الفور، وخفض رأسه حزنا وألما
وأكمل :

هذا إن عاش أصلا .

عاد المساعد الذي وصل الباب إلى أحمد وقال له مشجعا:
الأمر كله متوقف عليك يا ولدي. لحظات وسيكون الكرّاس بين يديك
وغدا سأعد اختبارا لك.
أحمد:

في العادة، كم يحتاج المدرب كي يصل لمرحلة الاختبار؟
المساعد:

مدة الدورة شهر ومن يخفق تمدد الدورة التدريبية شهرا آخر.
أحمد ساخرا:

وتريد اختباري غدا !!

المساعد:

غدا اختبارك، وأنا على يقين أنك ستجتاز الاختبار، طبعاً إن أردت أنت
ذلك.

بعد دقائق كان الكرّاس بين يدي أحمد، والذي يحتوي أكثر من ستين
صفحة مع الرسوم والبيانات والأرقام، فراح أحمد يتصفح الكرّاس وملاحظ
وجهه تدل على اليأس، فجأة وضع المحاسب يده على الكرّاس كي يوقف
تصفح أحمد الكرّاس، ومن ثم سحبه منه وقلب أول صفحة ووضعها أمامه
وقال ابداً الآن وسأوصي لك بفنجان قهوة كل ساعة.

أهذا عذرك؟... ليتك لم تعتذر

رن هاتف أحمد وكان المتصل حبيته غيد التي سألته غاضبة ودون سلام:
يومين لم تتصل بي.

أحمد:

اعتذر يا حبيتي لكن حصل الكثير في اليومين مما جعلني أنسى كل من حولي.
غيد:

أهذا عذرك؟... ليتك لم تعتذر

أغلقت غيد الخط ودون وداع وهي غاضبة، تمنى أحمد الاتصال بها لكن الكراس الذي بيده يحتاج كل دقيقة من وقته. حيث كان بين خيارين أحلاهما مر بالنسبة لشاب تعود أن يتبع هواه.

صفع أحمد وجهه وهو يكلم نفسه:

- أكمل عملك وغيد تصالحها غدا.

- ولكن غيد حبيتي لا احتمال لها على الخصام

- كل هذه الناس مرهونة بقراراتك أيها الغبي عفو أيها المدير.

دخل المساعد من أول الاتصال لكن أحمد لم يشعر به، وراقب الحديث ومن

ثم صفع أحمد لنفسه وبعدها الحوار مع نفسه بصوت عالٍ فقال ضاحكا:

سلامتك يا أستاذ أحمد.

أحمد وهو يضحك:

أتمنى أن أحتفظ ببعض العقل حتى الاختبار غدا.

في المساء وعند باب العناية المركزة كان أحمد يقرأ في الكراس، فلا عمل

يؤديه هناك سوى الانتظار وتمني الشفاء لوالده، سألته لحاجة سعاد:

ألدريك اختبار غدا؟

أحمد:

نعم يا أمي وآمل أن أنجح فيه؛ فهو تحد لي ولقدرتي على أن أكون قائدا في هذه الحياة.

الحاجة وهي تعب جداً:

وفقك الله يا ولدي.

أحمد مترجيا والدته:

أرجوك: اذهبي للبيت وارتاحي فأنت على وشك الانهيار من التعب.

الحاجة سعاد:

مستحيل أن أترك والدك في هذا الظرف، تعودنا أن نجتاز كل الصعاب معا ، ويذا بيد، حتى غدونا ما نحن عليه اليوم من خير كثير.

أحمد:

عائلة مجبولة على العناد، هشام عاند أبي واختار المهنة العسكرية على التجارة، والنتيجة ترميل زوجته وتيتم أطفاله، ووادي اختار أن يتبرع بالدم لأحلام رغم تحذيرات الممرضة، والنتيجة أنه الآن مصاب بأزمة قلبية حادة، وها أنت تكررين أخطاء من قبلك بالعناد، أرجوك لا احتمال لي أن أراك وأنت على فراش المرض.

الحاجة:

كل قوى العالم لن تبعدي عن الحاج عبد الرزاق... أكمل قراءتك واطركني بحالي. نهض أحمد، الذي كان ينام على أريكة من الحديد لانتظار المراجعين في المستشفى بعد أن تلقى اتصالا من غيد، وقال:

عرفت أنك لن تنجحي بتمثيل دور الغاضبة.

غيد:

وأنت أتقنت دور القاسي يا أحمد.

أحمد:

منذ يومين وأنا أبات في المستشفى ولا أفارقها إلا للذهاب إلى الشركة لتفقدتها.

غيد:

معقول! كيف لم تجربني يا أحمد؟؟؟؟!!! سلامتك،،،،

أحمد: لست أنا من دخل المستشفى، بل كانت زوجة أخي، فقد حاولت

الانتحار بعد أن فارقت أطفالها، وبعدها أصيب والدي بنوبة قلبية حادة.

غيد:

أستحق العقوبة وبكل جدارة؛ لأني بدل أن أقف معك كنت أقف ضدك

بسوء ظنوني.

أحمد:

على قلب المحب أن يسامح يا غيد؛ وإلا فإنه مدعٍ وأفاق، والحب بريء منه.

غيد:

يا الله... تبدو أنك كبرت كثيرا خلال اليومين الماضيين.

أحمد:

قد نبقي عشر سنوات ونحن لا نكبر، وأحيانا نكبر عشر سنوات بلحظة.

قاربت الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل، فتوقفت عجلات الكرسي

المتحرك أمام أحمد الذي وضع سترته الجلدية تحت رأسه وقد نام من شدة التعب

على المقعد المعدني المعد للانتظار.

نظرت أحلام إلى أحمد بتأمل فهبي وحدها تعرف معنى أن ينام أحمد المدلل
بهذه الطريقة المتعبة.

فتح أحمد عينيه بصعوبة ففوجئ بأحلام بالقرب منه ففزع واستقام بظهره
وهو جالس على ذلك المقعد وقال بتعجب:

أحلام!! كيف تركت سريرك وجئت إلى هنا؟؟؟؟!!!!!!

تمكنت من الإفلات من أبراج مراقبة أمي وأخي وجئت لرؤية عمي الحاج
عبد الرزاق والاطمئنان عليه.

أحمد:

سأعيدك إلى السرير يا مشاكسة.

أحلام:

لم أتوقع إلا أن تكون مستترا على خروفي للنظام في المستشفى كما تسترت
أنا قبل اليوم على كل خروقاتك لنظام البيت.

أحمد:

بهذه غلبتني يا أختي، تعالي أريك وجه الحاج وأعود بك دون علم أحد،
يبدو أننا سنمتهن الخداع من الآن وصاعداً.

نهض أحمد بعد أن انتعل حذاءه ووقف خلف أحلام ممسكا مقبضي
الكرسي وهو يقول مازحا:

دعي لي القيادة وتمتعي بالرحلة.

أخذ أحمد يدفع العربة بسرعة وهو يستدير بها يمينا ويسارا ويطلق من فمه
صوت كصوت سيارات السباق، تمسكت أحلام بالكرسي بينما راح رأسها
يتهايل عكس اتجاه حركة الكرسي المسرع يمنا ويسرة؛ ولأن الفكرة أعجبت أحمد

وأحلام أخذوا يدوران في الممر ذهابا وإيابا، ودون شعور ضحكت أحلام من تصرف أحمد الصبياني، وراحت تقول: إن لم تتوقف سأصرخ وأوقظ من في المستشفى، وأحمد لا يبالي بتهديدات أحلام لأنه متأكد أنها لن تسي به.

أوقف أحمد أخيرا الكرسي أمام جدار ربه الأسفل من المرمر والجزء العلوي من الزجاج السميكة، وقال أحمد:

هنا يسكن عمك... عفوا هنا يرقد عمك الحاج عبد الرزاق.

كانت أحلام ما زالت تعيش نوبة الضحك وبعد لحظات قالت له ضاحكة:

يا ذكي، كيف سأرى عمي وبيننا جدار من الإسمنت؟؟؟.

أحمد: أعتذر يا مولاتي، ومد يديه وأنهض أحلام وهو يقول مازحا:

أخشى أن تتعودي الدلال، فتلك مصيبة أخرى تقع على رأسي المثقل بالمصائب.

نظرت أحلام إلى عمها الراقد وخالتها الحاجة سعاد وهي تجلس على الأرض تحت أقدام زوجها وشريك عمرها الطويل.

قالت أحلام وهي تحدث نفسها:

كم أنت وفية يا حالة!!!.

أحمد:

كفى... حان وقت النوم كي تكوني أكثر قوة غدا لتأتي لرؤية عمك ووحده ودون مساعدة.

أوصل أحمد أحلام حتى السرير، واتكأت على يديه وبعد أن توسدت السرير غطاها ببطانيتها وقال لها بصوت كأنه الهمس:

تصبحين على خير.

استفاق أحمد على صوت المنظف وهو يقول له: ممكن تترك المكان لأننا نريد تنظيفه؟؟؟.

اعتذر أحمد من المنظف وارتدى حذائه وتوجه للحمام وغسل وجهه بالماء البارد مع أن الطقس به بعض البرودة، ومن ثم أطمأن على والده ووالدته، ومر بأحلام التي كانت وأهلها يعدون العدة لمغادرة المستشفى بعد أن سمح لهم بالمغادرة بعد تحسن حالة أحلام.

فرح أحمد كثيرا بسلامة أحلام وقال لها هامسا في أذنها مازحا:
أخوك ووالداك يتابعانك بدقة يبدو أنك صرتِ ترعين الكل.
ضحكت أحلام فاستغرب الجميع من ضحكتها الجميلة التي نورت وجهها ولكنها سرعان ما ختمت تلك الضحكة بتنهيدة حارقة.

أحمد:

سأغادر الآن فأنا عندي اختبار مهم اليوم.

أحلام:

أتمنى لك التوفيق من كل قلبي.

وصل أحمد الشركة في تمام الثامنة فوجد المساعد عند الباب يوجه هذا ويعنف ذاك لتأخره. فسلم عليه وقال:

ممكن أن تؤجل الامتحان ليوم غد؟؟ فقد كنت في المستشفى مع الحاج.

التفت إليه المساعد وكأنه استقطع ثواني من وقته الصباحي الثمين:

ورقة الاختبار على مكتبك أستاذ أحمد وسأسحبها في تمام الثانية عشر ظهرا، بالمناسبة تستطيع الاستعانة بالكراس أيضا.

ضحك أحمد وقال له ساخرا:

معقول أنك تراني بهذا الغباء يا عم؟؟ أفتح الكراس ومدة الاختبار أربع ساعات؟؟؟ ليت أساتذتي في الجامعة لديهم مثل مرونتك لكنت الأول حينها. لم يعلق المساعد على كلام أحمد وكأن أحمد كان يكلم نفسه حيث عاد المساعد لمتابعة العاملين.

شعر أحمد بالإحراج لأنه عرف أن هذا وقت الذروة وأنه يعطل الرجل وأن هذا الوقت ليس بوقت للكلام أو الثثرة. دخل أحمد لمكتبه، فوجد خمس أوراق؛ فأخذت عيناه بالاتساع مع كل ورقة وهو يحسب عدد الأسئلة حتى وصل الرقم إلى المائة. قال أحمد محدثا نفسه:

أقسم أن أساتذتي هم الأرحم عالميا مقارنة بهذا العجوز المجنون، كيف سأجيب عن كل هذه الأسئلة؟؟؟.

طرفت السكرتيرة الباب وكانت امرأة في الثالثة والثلاثين، وهي جميلة وأنيقة جدا وذات جسم رشيق وهي تحمل فنجان قهوة، وضعته أمام أحمد وهمت بالخروج.

فقال لها أحمد مستغربا:

لم أطلب القهوة.

السكرتيرة:

المساعد طلبها بالنيابة عنك أستاذ، وقال: إنك ستكون بأمس الحاجة لها كما أمرني بعدم السماح لأحد بالدخول إلى مكتبك لأنك تعد دراسة مهمة لزيادة أرباح الشركة.

كان أحمد ينظر إلى السكرتيرة بنظرة الغبي حتى أكملت كلامها فانتفض
واتكأ على الكرسي الفخم وقال بنوع من الغرور وكأنه استفاق من نوبة الغباء
التي أصابته:

نعم أحتاج للهدوء كي أكمل الدراسة، شكرا لك.

أنا مسجونة في نزانة خانقة يسمها الآخرون (بيتنا)

دخلت أحلام مع والديها وأخيها إلى منزلهم البسيط؛ ولأن المنزل لا يحتوي غير ثلاث غرف نوم، الأولى لوالديها والثانية لأخيها المتزوج مع أطفاله الأربعة، والثالثة لأخويها غير المتزوجين، اضطرت والدتها إلى أن تمنحها غرفتها حتى إشعار آخر.

كانت الغرفة الصغيرة ذات الثلاثة أمتار في أربعة مكتظة بالأثاث البسيط والمتواضع الذي رص رصا، حيث تم استغلال كل سنتيمتر في الغرفة لضيقها. ألفت أحلام جسدها الطويل والذي اكتسب نحولا وصفرة بعد أن تركت الطعام لمدة أسبوع من يوم تركها لبيتها، إضافة إلى خسارتها الكثير من الدماء بعد أن قطعت شريان يدها ووريدها،

كان أكثر الفرحين بقدوم أحلام ابنتها شمس التي أخفت رأسها بين نهدتها وراحت تستمتع بشم رائحة أمها التي افتقدتها لخمسة أيام، حيث لم تترك البكاء خلالها إلا حين يفقدها البكاء قواها لتنام من شدة التعب.

أما أكثر الحانقين فقد كانت زوجة أخيها المتدمرة أصلا من العيش في هذا المنزل، حيث لا تترك لمشاجرة لحظة واحدة؛ فراحت توجه سهام كلماتها إلى الجميع دون خجل، وخصوصا إلى أحلام وأطفالها ومعاناتها معهم، وهي التي لا تطيق أطفالها، فما بالك بأطفال الآخرين؟

احتضن رامي وسامر أمهم وهم يطالبونها بالعودة لبيتهم، فهم لا يريدون العيش في هذا البيت الصغير، والذي لا يحتوي على حديقة كبيرة، ومن ناحية

أخرى أخذوا يشكون من معاملة زوجة خالهم لهم طوال الفترة التي قضتها أمهم في المستشفى.

قالت أحلام تخاطب أطفالها:

أعدكم أني لن أترككم تحت رحمة أي شخص.

في الثانية عشرة تماما دخل المساعد على أحمد دون سلام وأخذ منه الأوراق وجلس يصحح أوراق الاختبار.

قال أحمد متذمرا:

لم تكن الأسئلة كلها من الكراس.

كان المساعد مشغولا بالتصحيح ولم يجبه.

أحمد:

مئة سؤال يا عم؟؟؟؟ حرام عليك.

كان أحمد كمن يكلم نفسه.

أحمد:

لقد خدعتني يا عم.

أنهى المساعد التصحيح ودفع الأوراق إلى أحمد فقرأ أحمد النتيجة التي

كانت: ثلاثة وثلاثين من مائة.

قال أحمد متشائما:

كثيرا ما كرر والدي كلمة: فاشل لي، اعترف أني فاشل مع مرتبة الشرف.

قال المساعد موضحا لأحمد:

بل أنت إنسان متميز يا أستاذ.

أحمد:

أكيد، فلا أحد في هذا الكون يحمل غبائي.

المساعد: بالعكس يا ولدي أنت قائد بالفطرة، وكل ما كتبت من أسئلة هي في غاية الصعوبة، وهي عبارة عن قرارات مهمة، بعضها قد يؤدي لخسارة الشركة خلال ثوان، لكنك اجتزت ثلثها وبدون خبرة، وأنت لم تطلع إلا على كراس للمندوبين المبتدئين، أما الأسئلة فقد كانت على مستوى مديري شركات محترفين، أجزم أنك خلال شهر ستكون مدير شركة ناجحا جدا.

نهض أحمد من مكانه وتوجه للمساعد، ومد يده إليه يصفحه وهو يقول:
شكرا لك يا عم، هذه أول مرة في حياتي يمنحني شخص ما كل هذه الثقة بالنفس.

المساعد وقد قطع الموقف الدرامي لأحمد:
حان الآن وقت العمل. واتجه إلى الباب وطلب من السكرتيرة أن تحضر البريد المتراكم منذ ثلاثة أيام.

المساعد:

توكلنا على الله .

قاطعه أحمد وبطريقة طفولية:

لكني بلا فطور.

لم يجبه المساعد وأكمل شرح أول ورقة.

قاطعه أحمد وقال وهو يمسك بطنه ويكاد يبكي:

وبلا عشاء أيضا.

ضحك المساعد الذي لم يضحك في حياته. فاستبشر أحمد وقال :

دعنا نرَ وجهك المبتسم ياعم.

المساعد وهو ينظر في عيني أحمد:

ما بأعناقنا من مسؤولية لا تسمح لنا بالتهاون يا ولدي، دعنا نكمل واجبنا
وبعدها أنت حر حتى الغد.

عاد أحمد إلى وضع الجذ وكأنه يتهياً وقال:

هيا يا عم توكل على الله.

أشاح المساعد بنظره عن أحمد ونظر في الورق الذي في يده وقبل أن يبدأ
بالكلام سمع الاثنان قرقرة بطن أحمد القوية؛ فضحك الاثنان بقوة لدرجة أن
أحمد أصيب بالاستغراب من شدة ضحك المساعد الكبير بالسن.

قال المساعد:

اذهب وكل ثم تعال يا ولدي، سأنتظر كي نكمل الأوراق؛ فقد انتظرت
أكثر من ثلاثة أيام، ولا ضير في أن تنتظر ساعة أخرى.

رد أحمد وكله إصرار:

بل سنكمل العمل أيها المعلم.

ابتسم المساعد ابتسامة إعجاب مع نظرة احترام وقال:

حفظك الرحمن يا بني، توكلنا على الله.

عند الواحدة والنصف دق هاتف أحمد عدة مرات لكنه كان يرد؛ فقال له

المساعد:

تحب أن أتركك أستاذ كي تجيب على الهاتف براحتك؟

أحمد وهو يغلق الهاتف:

لا، هذه خطيبي، دعنا نكمل يا عم.

ابتسم المساعد وقال:

يبدو أنك ستنال عقابا، أعانك الله.

أحمد:

ستتفهم الموقف، أكمل أرجوك، سأموت جوعا مع آخر قرار.

ضحك المساعد وقال:

أني لأعجب كيف يمكن لإنسان أن يحتوي كل هذه الفكاهة. أنت شخصية

مميّزة.

في تمام الثانية والنصف أعاد تشغيل هاتفه ليعتذر من غيد، بعد أن أنهى

عمله وتوقيع الأوراق لكنه فوجئ بأكثر من عشرين اتصالا من والدته.

أغلفه حزني بابتسامة زائفة ليظن الآخرون أنني سعيد

طُرق باب غرفة غيد بهدوء؛ فمسحت غيد دمع عينيها بسرعة وقالت بصوت يوهم أنها لم تكن تبكي:
تفضل.

دخلت والدة غيد الأربعينية، والتي يبدو عليها مظهر الأناقة، وجلست على السرير أمامها مباشرة، بينما راحت غيد تخفي ملامح الحزن والدموع عن والدتها التي رفعت وجه غيد بيدها الناعمة والرشيقة وراحت تتأمل وجهها،
وقالت:

منذ يومين وأنت في تحول غريب، حزن ... دموع ... ليست تلك حال ابنتي المبتسمة دائما؟

غيد وهي تتصنع ضحكة تصرخ وجعا:
أبدا يا أمي أنا بخير والحمد لله، ولك أن تري أسناني من شدة الابتسامة، بهدوء وثقة ردت أم غيد:

كيف بخير وأنت تخنقين دمعا سينفجر بوجهي في أي لحظة.
عرفت غيد أنها لن تستطيع الاستمرار بسخافة التصنع أمام عمق وشخصية أمها وسطوتها، فانفجرت دموعها وارتمت في حجر أمها دون كلام.
تركت أم غيد ابنتها لدقائق تعانق البكاء كي تتهياً نفسها لما بعده،
بعد أن أفرغت غيد قبح روحها نهضت أم غيد وقالت بهدوء وثقة:
لقد برد الطعام ووالدك ينتظر.

غيد:

لا نفس لي للطعام.

استدارت أم غيد ورمقتها بنظرة وقالت بحزم:

سأمنحك دقيقة واحدة كي تغسلي وجهك وتنزلي، نحن بانتظارك.

بعد دقيقة كانت غيد تجلس على الطاولة وهي تداعب ما وضع أمامها من

طعام بملعقتها دون أن تأكل.

قال لها والدها:

مالك يا بنتي؟ أتعانين من وعكة صحية؟

ردت الأم بدلا من غيد:

نعم.

أبو غيد:

ربما يتحتم علينا أخذها للطبيب.

أم غيد وهي تنظر إلى غيد:

أنا أعرف علاجها لا تخف، اترك الأمر لي وستراها بخير.

ادعى أبو غيد الفهم مع أنه لم يفهم شيئا، لكنه أضعف حيلة من أن يجادل

زوجته المسيطرة تماما على كل مفاصل البيت.

قالت أم غيد لبنتها:

سيبرد الطعام.

وهي بذلك تأمرها بتناول الطعام ضمنا؛ فهي تعرف كيف توجه أوامرها

بأقل ما يمكن من المفردات.

نهضت أم غيد وقالت لغيد:

على بالي أن أشرب قهوة في المكتب، فليتك تعدين القهوة لنا.
فقال أبو غيد مؤيدا:
وأنا معكما يا غيد.
ردت عليه زوجته بهدوء كمن لا يحتاج لإظهار حزمه ليطاع أمره:
لا ... لدينا موضوع نريد مناقشته معا

ما أحوجني للعقل عندما أريد رؤيتك
فلهفتي عليك تجعلني مجنون

أسرع أحمد بالاتصال بأمه ليعرف سبب كثرة اتصالاتها به فهي ليست ممن
يتصل إلا عند الضرورة. ففوجئ بأمه تنهال عليه بكل عبارات الشتم وهي
بشدة الانفعال،

حاول أحمد تهدئة أمه لكنها كانت تمطره بوابل من الشتائم، وآخرها التي تصفه
بأنه مستهتر وفاشل ولن يكون يوماً رجلاً يُعتمد عليه، رد عليها أحمد:
أعلم أي لن أكون رجلاً يعتمد عليه؛ فقط قولي سبب انفعالك فقد تراجمت
الأفكار السيئة والمشؤومة في رأسي.

الحاجة:

كل يوم تتركنا منذ الصباح وتختفي وأبقى أنا مع والدك لا أعرف شيئاً
وكلما سألتني الطيب عن شيء لا أجيد الرد عليه.
أحمد:

معك حق يا حاجة؛ ممكن تخبريني سبب اتصالك رجاء؟؟؟؟!!!
الحاجة:

تعال حالا وبلا تأخير.

أحمد:

أحصل شيء لوالدي؟ أهو بحالة سيئة؟
الحاجة:

بل هو من يطلبك لأنه بدأ بالكلام، وأول ما تكلم طلب حضورك على
الفور. وقال: إن عليك إحضار المساعد معك.

أحمد: سأحضر الآن وفورا.

خرج أحمد يركض وهو يبحث عن المساعد الذي كان لا يجلس في مكان واحد بل كان يدور في كل مفاصل الشركة، ولا يغادرها إلا للتوجه للمخزن، فطلق أحمد يبحث عنه في كل مكان حتى وجدته، فأمسكه من يده كمن وجد كنزا، وأخذ يجره من يده والرجل يقول مستغربا:

أستاذ أحمد... أستاذ أحمد، أرجوك ما الذي جرى لك؟؟!!!

وأحمد يسحبه ويقول:

فقط تعال معي وبسرعة.

صعد الاثنان سيارة اللاندكروزر، وأخذ أحمد يسير بسرعة كبيرة، والمساعد متمسك بمقبض السيارة وهو يقول:

خفف سرعتك يا ولدي، فربما يتوقف قلبي قبل أن نصل المكان الذي تريده.

رد عليه أحمد ودون أن ينظر إليه؛ لأن الماربن أمامه من سيارات وأشخاص يمنعونه من الرمش حتى:

لا تخف يا عم، المكان الذين نقصده متخصص بعلاج القلب.

وصل الاثنان إلى المستشفى الكبير، ونزل أحمد وهو يسحب المساعد من يده وهو يقول: أسرع يا عماء.

قال المساعد وهو يحاول التقاط أنفاسه:

ها قد وصلنا يا ولدي إلى المستشفى ولم يبق سوى دقائق ونرى الحاج عبد الرزاق، فارحم كبر سني.

أحمد:

أسرع، فالوالد يريدنا بسرعة، ونحن لا نعرف ما الذي يريد قوله أو الحالة التي هو عليها.

وصل أحمد والمساعد إلى غرفة العناية المركزة، ونظر من خلال الزجاج إلى

سرير والده ولكنه لم يجده، وبحث عن أمه فلم يجدها!!!!!!

فجلس على أرض الممر، وراح يضرب رأسه وهو يصرخ:

يا الله ليتني أسرعت... ليتني أسرعت.

مجرمة تلتق الشاعر تنتزع مني الاعتراف بالحبه بكل قسوة

دخلت غيد تحمل فنجانين من القهوة بعد أن أعطت الثالث لوالدها الذي يجلس في الصلاة، والذي أوصاها بأن تستمع إلى كلام أمها وألا تجازف بإغضاها؛ فردت عليه غيد:

ليتك تمنيت لي القدرة على احتمال سطوتها يا أبي.

استدارت غيد وتركت أباه دون السماح له أن يبرر لها ما قال.

قدمت القهوة لوالدها التي كانت تجلس على مكتبها وقد أشعلت سيجارة وراحت تستنشق دخانها بتلذذ وبكل هدوء.

كانت والدة غيد تشرب قهوتها وهي مغمضة العينين وهي تصدر صوتا يدل على الإعجاب بطعمها. أطفأت عقب السيجارة وعادت ترتشف آخر ما تبقى من القهوة، وبعدها قلبت الفنجان، وقالت لغيد:

من أين تعلمت أن تصنعي القهوة بهذه الحرفية؟ مع أنني لا أتقن صنعها أبدا، ولطالما قلبت المطبخ من أجل صنع فنجان، ومع ذلك لا أنجح؟

لم تجب غيد والدتها فاسترسلت أم غيد بالحديث وقالت:
سأخبرك بسر.

بقيت غيد على صمتها، فاسترسلت أمها ثانية :

كنت أصغر منك حينما ارتبطت بعلاقة مع شاب في كلية القانون التي كنت أدرس فيها، كان وسيها، بل أقسم أنه كان الأكثر وسامة حينها.

دون شعور راحت الأم تضع ذقنها على يديها وهي تتحدث وبدء صوتها الحاد يتحول إلى الهدوء، وأكملت :

كيف لا؟ وكنت أنا حينها الأجهل في الكلية بل الجامعة كلها، كانت علاقتنا محط أنظار الجميع، ومحور حديثهم وإعجابهم اليومي، وبعد أن أنهينا الدراسة الجامعية تقدم ذلك الشاب لخطبتي فرفضه والدي، ولما سألته عن السبب قال: إن هذا شاب بسيط وسيكافح كثيرا وسيكون عليّ الصبر والتحمل معه، وهو لا يريد لي وأنا ابنته الوحيدة التعب في حياتي، وأن ثمة ابنا لأحد أصدقائه المقربي، والذي يملك ثروة، سيكون لي زوجا مثاليا، حاولت الرفض كثيرا، وحتى الهرب مع حبيبي، لكن في النهاية عرفت أن رأي والدي هو الصحيح، وأن الحب سيزول مع الوقت، ولن يبقى معي سوى الحزن الناتج عن الشجار بسبب المصروف والعائلة.

غيد وقد أرخت ظهرها على الأريكة الفخمة والرسمية:

وهل تزوجت ذلك الشاب الثري ابن صديق جدي؟

أم غيد:

نعم هو والدك الآن.

غيد:

وأين الزواج في علاقتكما؟

استقامت أم غيد في جلستها، وكأنها استفاقت من غيبوبتها الرومانسية

واستعادة وجهها ذو الملامح الحادة:

ماذا تقصدين؟

غيد وهي تتعمد استفزاز أمها:

ما نعيش فيه ليس بيت، بل دائرة رسمية، وعلاقتك بأبي كرئيسة عمل

بموظف عندها، لا أكثر.

أم غيد، وهي تحاول السيطرة على غضبها، وأن تتحلّى بروح النقاش
والحوار:

ربما كما تقولين... ولكن أليس أفضل من أن أكون جارية عنده؟؟؟؟!!!!
غيد:

ولماذا التطرف يا أمي؟؟؟؟... إما أن تكوني جارية أو مسيطرة؟؟؟! الزواج
ليس صراعا بين اثنين، بل هو حب وتفاهم.

ضحكت أم غيد بصوت عالٍ وبطريقة ساخرة:

غباء الشباب... قلة خبرتك تجعلك تنظرين إلى حياة بنظرة السذج.
غيد:

أن أكون ساذجة وسعيدة أفضل من أن أكون عاقلة وتعيسة.

أم غيد وقد تحولت للين الحديث :

علينا أن نُحكّم المنطق في كل أفعالنا يا ابنتي.

غيد:

اخترقنا للمألوف أحيانا هو قمة السعادة.

أم غيد:

كيف ذلك؟

غيد:

أنت مثلا... تدخين، مع أنك تعرفين جيدا أن التدخين مضر بالصحة،
فقط لكي تحظي ببعض المتعة بمخالفة المنطق، فأنت تمارسين التدخين، وأكبر
دليل هو تمتعتك المبالغ فيها؛ وكأنك تنتصرين على شيء ما بداخلك، هو
(الالتزام)؛ لأنك بخرقك الالتزام، تحترقين النظام الذي وضعته أنت بنفسك،

ولو سألتك الآن سيجارة لأدخنها لرفضت رفضاً قاطعاً، ولأخبرتني بعشرات المضار التي تنجم التدخين.

لم تجد أم غيد أية إجابة؛ فاتجهت إلى علبة السجائر، وأخذت سيجارة وأشعلتها، وقبل أن تسحب أول نفس منها عادت وأطفأتها.

نهضت غيد ووضعت كلتا يديها على المكتب وقالت لأمها :

مستحيل أن أتنازل عن شعوري بوصفي أنثى في حضرة رجلها والتلذذ بذلك الشعور الذي يجعلني على قيد الحب، مقابل أن أكسب معركة صراع مع شخص، المفروض أن يكون هو ملاذي عند الخوف وسر ابتسامتي عند الحزن.

مدت غيد يدها إلى فنجان أمها وأخذت تطلعه وكأنها تقرأ فيه، وقالت:

ترى عمّ تبحثين في فنجانك؟... أتبحثين عن روحك المفقودة بين كل هذا

السواد الذي يملأ فنجانك.

صرخت غيد وكأنها وجدت شيئاً ما أو ضالتها التي تبحث عنها:

أهااا وجدت روحك يا أمي هنا.

وراحت تُري أمها ما وجدت في الفنجان وهي تشير بأصبعها وأكملت:

ذلك الشاب الوسيم هناك أراه بوضوح، يبدو أنه لا يفارق خيالك،

والفنجان وحده الذي يمكنك البوح له بحجم شوقك إليه وبلحظات السعادة أو حتى الحزن عند الخصاص معه.

تركت غيد الفنجان وخرجت، فقالت لها أمها بصوت عال:

عودي لأحزانك وابكي كما تبكي الجواري والأطفال، وستعرفين حجم

خبيتك يوماً أيتها التعيسة الحظ.

استدارت غيد إلى أمها وقالت:

حتى لدموعي معه لذة... وأنت تعرفينها، أكيد فقد عشتها قبلي.

ما أسعد أن يرى الرجل ابنه
يتقن الرجولة فعلا وقولا

أمسك المساعد بيدي أحمد الذي كان يبكي، وقال له وهو يسحب أنفاسه

بصعوبة:

لا تخف يا ولدي الحاج بخير وهو في أحسن حال.

أحمد:

كيف؟ وفراشه خال يا عم.

المساعد:

نقل لغرفة عادية بعد تحسن حالته الصحية.

أحمد:

إذن لنبحث عنه الآن فورا.

المساعد:

يا ولدي: ابحث عنه أنت، وأنا سأنتظر هنا حتى تجده.

أحمد:

قال الوالد أحضر المساعد، وأنا عليّ إحضارك.

المساعد:

المستشفى كبيرة يا ولدي، وحركتي بطيئة، وأنا شديد التعب والإعياء.

أحمد:

لا تخف سأندبر أمر تنقلك، فقط أعطني دقائق.

بعد دقائق كان أحمد يدفع المساعد في كرسي متحرك سرقه من قسم الطوارئ ليسرع بالمساعد، والمساعد يقول: أرجوك يا ولدي خفف من سرعتك، أرجوك ستصدمني وربما تنكسر إحدى عظامي الهشة .

أخيرا توقف أحمد أمام الحاجة سعاد التي راحت تعض أصابعها حنقا وغضبا وهي تنظر إليه بغضب وتقول:

أين كنت أيها الفاشل؟؟؟؟؟؟

أحمد:

أحمد جئت بأسرع ما يمكنني.

المساعد: يا حاجة كنا سنموت بسبب السرعة وأنت تؤننين الشاب؟؟؟؟؟

الآن قد فهمت سر سرعته.

الحاجة:

يريدكم الحاج بسرعة فقد طلبكما أول ما فتح عينيه.

فتح الحاج عبد الرزاق عينيه فوجد أحمد يقبل يد والده تارة، ويرفع رأسه إلى السماء ويشكر الله تارة أخرى، حيث راح أحمد يكرر تصرفه دون شعور منه.

حاول الحاج سحب يده من أحمد إلا أن ضعفه أكبر من قوة ولده الذي

تمسك بيده، فقال لأحمد:

حفظك الله يا ولدي.

سلم المساعد على الحاج ، وقال له:

الحمد لله على سلامتكم يا حاج.

الحاج عبد الرزاق:

شكرا لك يا رفيق الدرب، طمئني على الشركة والعمل.

أراد المساعد أن يمنح أحمد الفرصة ليثبت لوالده أنه كان يعمل طوال الفترة الماضية، ومن ناحية أخرى يمنح الحاج الضمانة بأن أحمد قادر على إدارة الشركة بعده، فقال للحاج:

سيقدم لك الأستاذ أحمد تقريراً مختصراً عن الشركة دون أن يتعبك.

فتح الحاج عينيه وقال:

أحمد... يقدم التقرير؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!

المساعد:

بالتأكيد، فالأستاذ أحمد مدير كفؤ للشركة، وهو يعمل منذ أكثر من يومين في الشركة.

قال الحاج:

هيا يا أحمد تكلم.

بدأ أحمد بشرح كيفية وصول البضاعة وتخزينها والتحرك للوصول إلى الوكلاء وباقي الخطوات التي تروم الشركة القيام بها.

الحاج:

كم يوما وأنا فاقد الوعي؟

أحمد:

منذ يومين يا حاج.

الحاج:

وكيف عرفت كل هذه المعلومات يا ولدي؟ أنت تتكلم كمن يمارس هذا العمل منذ زمن حتى أتقنه.

ثم نظر إلى المساعد وقال:

قد فعلتها يا صديقي الوفي. نجحت فيما فشلت أنا فيه أعواما.

المساعد:

لا تظهر معادن الرجال إلا عند الشدة، والأستاذ أحمد من الرجال الذين يتمتعون بميزة القيادة.

كانت الحاجة في قمة الاندهاش من كلام المساعد والحاج بحق ابنها، فتدخلت:

هل أنتما تتحدثان عن أحمد ابني أنا؟

الحاج:

وهل لك ولد غيره يا حاجة؟؟؟؟؟

المساعد:

نعم يا حاجة، حتى إن الأستاذ أحمد لم يأكل منذ الصباح وهو بلا فطور أو طعام غداء، ورفض راحة الغداء ليكمل عمله في الشركة، علما بأن الوقت قد تجاوز الثالثة عصرا.

فجأة أمسك أحمد بطنه، وقال: سأموت جوعا. وجلس على الأرض؛ فقد خارت قواه كفقاعة كبيرة لا تحتاج إلا للحظة لتختفي.

ضحك الجميع بما فيهم الحاج عبد الرزاق والذي كان الأكثر اندهاشا وسعادة؛ لأنه لم يكن يتوقع ما يجري من تطور مفاجئ في شخصية ابنه الكسول.

أشار الحاج عبد الرزاق إلى المساعد أن اقترب مني، فاقترب المساعد منه فأمسك الحاج بيده وقال:

الشركة تعيل الكثير من الناس والأسر يا أخي، وأنا وأحمد وعائلتي أمانة في عنقك.

تنهد المساعد الكبير السن، والذي يكبر الحاج نفسه عمرا وقال:
كأننا نمر بأول أزمة في حياتنا يا رجل، اطمأن واهتم بصحتك وسيكون
كل شيء مثل ما تحب.

تمسحي بشفتيك عجم الشوق في شفتي

رن هاتف أحمد، وكان المتصل غيد؛ فاستجمع كل قوته وحاول ترك الغرفة ليحدث حبيبته بما يريد دون إخراج، فتح الخط وقال:

أحبك.

غيد:

تعرف طريقة خداعي أيها الماكر .

أحمد:

أقسم بأنني أمر بأوقات لم تخطر على بالي ولو حتى في حلم.

غيد:

شاركني معك يا حبيبي، أولسنا جسدين بروح واحدة؟؟؟

أحمد:

سأخبرك لاحقاً بكل ما حدث لي، فقط اسمحي لي بالتقاط أنفاسي مما مر

بي .

غيد:

اشتقت لك جداً، منذ خمسة أيام لم أرك يا أحمد، روحي تفتتت شوقاً لك، وأحتاج أن تمطرني حبا كي يعود لروحي اخضرارها.

أحمد:

أقسم أنك شاعرة.

غيد:

بل عاشقة حد الجنون.

أحمد:

وحكيمة.

غيد:

بل جعلني حبي لك أحق الناس يا روجي، أريد رؤيتك اليوم، وأنصحك
أن تُعدّ دفاعا جيدا؛ وإلا لن أرحمك، فلا أخفي عليك أن القاضي بدأ يتأثر بكلام
النائب العام.

أحمد:

لا تخافي عليّ، أستطيع رشوة القاضي فتلك مهارة كثيرا ما أتقنتها.

غيد:

أتعرف أن الأسعار قد ارتفعت، ولم يعد موعد عشاء يضمن تعاطف هيئة
المحكمة، ربما عليك التفكير بأشياء أكبر وأهم.

أحمد:

لم يبق لي إلا استخدام سلاح السري.

غيد:

أها، الديك سلاح سري؟

أحمد:

قبلة.

غيد:

ملأت جيبني قبلا، العب غيرها.

أحمد:

إذن شفتيك هي الحل .

أغلقت غيد الخط في وجه أحمد وهي تضحك لدرجة أن شفتيها ملأت وجهها، وراحت تحتضن الهاتف بحب وتقول:

شقي وشيرير، ما ألد سخافاتك أيها المجنون.

عادت واستدركت وقالت تحدث نفسها:

أيتها الغبية، كيف أغلقت الهاتف دون الفوز منه بموعد؟؟؟؟... كم غبية

أنا؟؟؟؟!!!!

اتصلت مجددا بأحمد، وقبل أن تتكلم بادر أحمد قائلاً:

هل غلبك الشوق أم ضغوط شفتيك للفوز بقبلة.

أغلقت غيد الخط ثانية خجلاً من أحمد ثم عادت واتصلت بعد أن توعدت

نفسها بالويل والثبور بأن تتحمل استفزاز أحمد الخبيث لها.

أحمد وهو يضحك:

اعترفي بضعفك.

غيد:

متى أراك؟

أحمد:

سأتي إليك مشياً على شفتي إذا.

غيد وهي تمثل دور الغاضبة:

لا أريد رؤيتك أيها الشقي. كيف تجرؤ على قول هذه السخافات؟؟؟؟

أحمد:

وهل تريد أن أصدق تمثيلك للغضب أيتها الغبية؟؟؟؟

انفجرت غيد ضاحكة وقالت:

أحبك موت.

أحمد:

إلا الموت... أرجوك أحبيني بلا موت.

غيد:

تغيرت كثيرا يا أحمد، لطالما رددت هذه الجملة ولم تعترض.

أحمد:

صار اسم الموت يرعيني لحجم ما يفعل بالبيوت وأسرها، والدليل ما نعانيه نحن: عائلتنا وزوجة أخي وأطفالها وأهلها، كلنا نمر بوقت عصيب بسبب موت أخي.

غيد:

أعانك الله وأعان تلك المسكينة أحلام.

أحمد:

أتعرفين أنها أقدمت على الانتحار قبل ثلاثة أيام.

غيد:

أيعقل هذا؟ لمن كانت ستترك أطفالها تلك الحمقاء؟؟؟؟!!!!

أحمد:

لأننا سلبناها أطفالها لم تجد سببا للاستمرار بالحياة، نكمل الحديث لاحقا فقد نادى علي الحاجة سعاد، وما أدراك ما الحاجة سعاد؟؟؟؟ أعانك الله كيف ستحتملين أن تكوني كنتها.

غيد:

بل سأضعها في عيني، يكفي أنها من ولدت حبيبي وأرضعته وكبرته حتى
بلغ شبابه فكان فارس أحلامي.

أحمد:

أحبك حد الجنون.

غيد:

أحبك موت... عفوا... أحبك حد الرغبة بالعيش من أجلك فقط.

بيتي وطني... جدران جدران معبرتي حديقته جنيتي

دخل الحاج عبد الرزاق بيته وهو جالس على كرسي ذي عجلات، ويدفعه أحمد، وما أن فتح أحمد الباب ودخل الحاج على كرسيه فوجئ بمنظر جميل؛ حيث توسطت الباحة الواسعة ذات الأعمدة الرخامية للدار أحلام وأطفالها الثلاثة والحاجة سعاد التي راحت تطلق زغاريدها بقوة وهي ترحب بزوجها وشريك حياتها لثلاثين سنة تقريبا.

اندفع رامي وسامر باتجاه جدهما ولحقت بهما أحلام مسرعة وهي تحمل شمس ابنتها الصغيرة، بينما أحاطا الاثنان بجدهما من جانبي الكرسي وهم مستغربان أنه جالس؛ فقد تعوداه شامخا طويل القامة مهابا قوي البنية حيث كان يحملها معا دون أن يتعب.

قال رامي:

أريد واحدا مثل هذا الكرسي يا جدي فقد أعجبني.

ردت الحاجة وقبل أن يرد الحاج نفسه:

اسم الله عليك يا ولدي، حفظك الرحمن من كل سوء.

ضحك الحاج عبد الرزاق وقال ساخرا:

يا حاجة هو يعتقد أنه لعبة.

ثم توجه إلى حفيده بالقول:

بعد أيام سأتعافى ولن أكون في حاجته؛ حينها سأمنحك إياه لتلعب به.

ضحك الجميع بينما رفعت الحاجة سعاد يدها إلى السماء لتدعو الله أن يحقق

كلام زوجها الطيب.

كانت أحلام قد جثت على ركبتيها ووضعت رأسها على ركبتي الحاج، بينما التقط الحاج منها شمس المرحمة، والتي راحت تحدش وجه جدها بأظافرها تعبيراً عن فرحها برؤيته.

أخذ أحمد شمس من جدها، لكنه رفض، فقال له أحمد بصوت هادئ وحنون:

أنسيت ما أوصاك به الطبيب بأن تبعد عن أي جهد هذه الأيام؟؟؟؟
فدعني أخذها منك يا والدي.

أرعى الحاج يديه عن حفيدته بعد أن سحبها منه أحمد بهدوء وراح يلاعبها.

نظر الحاج إلى أحلام الجاثية على ركبتيها تحت رجله وقال:
أراك قد هزلت يا ابنتي؟؟ وضعفت بنيتك؟؟ واختفى الألق من وجهك؟؟؟؟؟؟
أحلام:

هذا حال من يترك جهاك يا عمه؛ فبعدك أنا بلا وطن. والآن عاد لي وطني.
الحاج رافعا رأسه إلى السماء لتسقط من عينه دمعة ساخنة؛ لأنه لأول مرة لا يتمكن من فعل شيء لأعز إنسانة عليه، بل هي أعز حتى من ابنته الوحيدة.
تدخلت الحاجة سعاد قائلة:

هيا يا أحلام قدمي الغداء، فقد اشتقنا لطبخك الرائع.
قال أحمد:

أقسم أنني لم أكل في البيت منذ غادرت يا أحلام.

نهضت أحلام وهي مبتسمة رغم كل الدمع الذي رسم خرائط لأنهار حزن
على وجهها وقالت بفرح:

دقائق ويكون كل شيء جاهزا .

وهمت تريد الركض باتجاه المطبخ بسرعة .

استغرب الحاج، وقال متسائلا:

منذ متى وأنت هنا يا أحلام؟

أحلام: مر بنا أحمد وأحضرني من الصباح وأخبرني أنك تغادر المستشفى

اليوم.

أحمد:

كنت مصمما أن يكون أول ما تراه عند دخولك المنزل هو أحلام وأطفالها.

الحاج نظر إلى أحمد نظرة حب وإعجاب وقال:

صرت تكبر في عيني يا ولد، حتى ما عادت عيناى تحيطان بحجمك .

أعطى أحمد ابنة أخيه لأمه، وجثا على ركبته عند أقدام والده، وقبل يديه؛

فقال الحاج:

حفظك الله لنا يا ولدي، فأنت عوضنا، ومن ستتحمل كبرنا وضعف

قوتنا .

ظهرت في هذه اللوحة الإنسانية فجأة أحلام بفرح، وقالت:

الطعام جاهز ، تفضلوا جميعا .

أسرع كل من رامى وسامر بدفع جدهما بعد أن أزاخوا أحمد وجدتهما

بالقوة من أمام العربة، وراحا يدفعانه إلى طاولة الطعام، وما إن وصلا حتى

استدارا عائدين به إلى حيث الباب وصارا يدوران به في أرجاء المنزل، والكل

يضحك دون شعور؛ حتى أحلام وجدت نفسها تضحك دون شعور على ذلك
المنظر.....

كان الحاج عبد الرزاق يضحك كطفل صغير دون شعور، وبعد عدة
دورات توقف الطفالان بجدهما أمام أحلام مباشرة؛ فنظر الحاج إلى أحلام بود
وحب أبيين، فبادلته أحلام بنفس النظرة الأبوية فقال لها:

أخيرا وجد الفرح طريقه إلى وجهك يا ابنتي.

أحلام:

الفرح مرهون بوجودك في حياة الجميع يا أبتاه.

الحاج مستغربا:

يا أبتاه؟ لطالما ناديتني يا عماء سابقا.

أحلام:

اكتشفت أنك الأحن علي حتى من أبي؛ فما زلت أذكر كلام أبي لأحمد وهو
يقول له: (لا عليك منها ستعتاد عاجلا أم أجلا). يعتقد أنني سأعتاد العيش بلا

أطفالي!!!!

أمسك الحاج بيد أحلام:

أعدك ألا تري حزنا أو ضيما بعد اليوم يا ابنتي.

أخذ أحمد يكلمهم عما مر به من أوقات عصيبة، ولكن بطريقته الساخرة،
فطلق الجميع يضحك بما فيهم الحاج الذي لم يكن يجروء أحمد على المزاح أمامه.
كان طعام الغداء من أجمل الأوقات وأحلاها، إذ ارتسم الفرح على الوجوه
وحلت السعادة في البيت بسبب تجمع العائلة.

شتانہ بینہ الشعور بالفرح وبینہ الشعور بالانكسار

عند المساء كان الناس يدخلون أفواجا تلو أفواج للمباركة بسلامة الحاج
عبد الرزاق وخروجه من المستشفى معافى بعد أن قارب الموت.
كان أحمد وأبناء عمومته وأخواله يكرمون الضيوف ويستقبلونهم بفرح
وسعادة .

ومن ناحية أخرى كانت سعادة الحاج لا توصف وهو ينظر إلى ابنه أحمد
وهو يوجه أبناء عمومته وأخواله لتقديم أجمل صورة للضيافة؛ حتى إن الحاج
كان يسرح للحظات دون أن يشعر بالمكان أو بمن حوله وهو يتأمل هذا التغير
المفاجئ وكمية النضوج التي حملها ابنه بين ليلة وضحاها.

عند المساء طلب والد أحلام من ابنته أن تنهيها للمغادرة معهم بعد أن تهيئ
أعمال البيت مع نجلاء ابنة خالتها؛ فقاطعها الحاج عبد الرزاق وطلب منه أن
تقضي أحلام وأطفالها يومين معهم في الدار؛ فكان رد أبو أحلام بالموافقة الفورية
وأن بقاء أحلام أكراما له ولسلامته بعد أن أنقذها الحاج بتبرعه بالدم النادر
وتعرضه لنوبة قلبية بسبب ذلك .

الحاج عبد الرزاق:

أعدك أن تكون أحلام تحت رعايتي في هذين اليومين.

أبو أحلام:

يا حاج أنت تعرفني جيدا كما أعرفك أنا، وأعرف أن أحلام تنال الرعاية
الكاملة تحت كنفك أكثر مما تناولها في بيتي، ولكن أقسم أن ضغط أعمامها،

والأعراف، هم من أجبروني على أخذها لبيتي، ولو كان الأمر منوطاً بي لتركتهما
تختار مكان عيشها كما تحب، وأنا على ثقة أنها ستختار هذا البيت.

الحاج عبد الرزاق:

دمت نعم الأخ والسند، وأعدك أن أجد حلاً يحقق رغبة أحلام بالعيش
هنا، ويرفع عنك حرج أخوتك والأعراف.

أبو أحلام:

وأنا كلي إيمان بحكمتك أخي أبا هشام.

عندها أطرق الحاج برأسه وقال بصوت حزين:

ليتني أستطيع أن أراه وأحضنه وأقبله... كم اشتقت لك يا ولدي!!!!

إنه كان يسعدك أنه أكون سعيدة
أسجنه الدمع وأظاهر بالفرح على فراقه

رن جرس هاتف أحمد فأجاب فوراً:

(أموت عليك)

غيد:

كم أنت مخادع يا أحمد؟؟؟؟!!!

اندهش أحمد وقال مستغرباً:

مخادع؟؟؟

غيد:

عندما قلت لك (أموت عليك) نهرتني وبشدة وقلت حينها إنك تكره

الموت، وها أنت تقولها وبقوة.

أحمد:

وأنا أحبك حد الموت فيك حبا

غيد:

سلامتك يا عمري.

أحمد:

والله... منذ فترة لم أسمع حلاوة حديثك

غيد:

أسمع ضجة عندكم، يا خوفي أن يكون هذا حفل زفافك؟

ضحك أحمد من كل قلبه ورد عليها:

لا تخافي، خرج والدي من المستشفى، والناس يباركون لنا بسلامته.
غيد:

المفروض أن ينال والدك راحة تامة لا أن يستقبل الضيوف.
أحمد:

تلك عاداتنا يا غيد، ما العمل؟
غيد:

كنت سأخبرك بأمر مهم، لكنني أجلك مشغولا، سنكمل حديثنا لاحقا.
أحمد:

في الموضوع موت؟
غيد وهي تضحك من قلبها:
ربما .

أحمد: أخبريني الآن إذن .
غيد:

سأتركك على نار الفضول كما تركتني أعاني من تلك النار، اذهب وأكمل
عملك.

أغلق أحمد الهاتف وهو يضحك؛ فرآته أحلام وقالت:
هي غيد إذن؛ فهي الوحيدة القادرة على إسعاد قلبك الطيب.
أحمد:

كنا سنتزوج بعد شهرين من اليوم؛ لكن استشهاد هشام أجل كل شيء.
أحلام:

أتعرف يا أحمد؟؟... مازلت أتمنى كل ليلة أن يعود إلينا، وأن كل ما جرى
إنها هو كابوس واستيقظنا منه .

أحمد:

عليك أن تكوني سعيدة

أحلام :

سعيدة؟

أحمد:

نعم... كي يراك هشام وأنت سعيدة، فأشد ما يؤلم الرجل أن يرى حبيبته
حزينة.

أحلام وقد سقطت دمعة من عينيها:

إذن أنتظاهر بالسعادة حينها وسأخبره أن فراقه ما عاد يمزق فؤادي.

أحمد:

دائماً أُصاب بالخرس معك، ولا أجد ما أطاولك به من كلام، وليس أمامي

إلا أن أقول لك: (أعانك الله).

فِيهِ دَاخِلِيهِ عَرَبِيهِ أُرِييْتِ وَأَنَا بَيْنَهُ أَنْوَاعُهَا أَوْ أَنْوَاعُهَا بِهَا عِبَا

مرت ليلة خروج الحاج من المستشفى وكأنها العيد، فالكل كان يحمل ما في
جعبته من أسباب السعادة الكثير،

فأحمد قد ارتاح من فكرة موت والده التي كانت ترعبه،
وأحلامها هي كالسندريلا تعيش حلما سينتهي قريبا، لكنها تستمتع به
لأقصى حد،

الحاج عبد الرزاق، يشعر براحة ضمير كونه أنقذ أحلام من موت محقق
ليكفر عن ذنب أخذه أطفالها منها.

رامي وسامر، كانا يدوران بالكروسي ذي العجلات داخل البيت أو في
المرآب الكبير أو في الحديقة بعد أن تركه جدتهما.
الحاجة سعاد، كانت تجمع سعادة الكل في سعادة واحدة ملأت قلبها
الطيب.

في الليل جلس الجميع يستمعون لنوادر أحمد وهو يروي لهم كيف كان
يدفع المساعد بالكروسي ذي العجلات وهما يبحثان عن والده. وكيف قام بذلك
قبله مع أحلام.

رد عليه الحاج عبد الرزاق وهو يضحك:

إذن تستحق أن تُمنح إجازة قيادة للكروسي ذي العجلات.

عاد الجميع للضحك وهم مندهشون لانخراط الحاج بالمزاح وإطلاق
النكات وهو الذي كان كل من في البيت يقف بحالة الاستعداد عند حضوره.

رن جرس هاتف أحمد، وبعد أن قرأ الاسم انسحب قائلاً :

أعتذر منكم اليوم كان مُتعباً، وعليّ أن ارتاح قليلاً.

ردت عليه نجلاء وهي تحمل طفلها الصغير بطريقة ساخرة:

أعانك الله يا أخي، فأمامك عمل آخر.

ضحك الجميع إلا الحاج عبد الرزاق فقد علا وجهه الوجوم فهدأ

الضحك تدريجياً وساد الصمت.

كان أحمد قد صعد من السلم ثلاث درجات؛ وعندما لاحظ تغير والده

عاد ونزل وانحنى إليه وسأله بلطف:

مالك تغيرت يا والدي في لحظة؟

الحاج عبد الرزاق:

لا شيء يا بني خذ قسطاً من الراحة وقبل أن تتوجه إلى الشركة أتمنى أن تمر

بي في طريقك قبل أن تغادر المنزل صباحاً.

أحمد:

سأغادر مبكراً يا والدي؛ لأنني سأحاول أن أترك الشركة بعد إنهاء الأشياء

المهمة؛ وأتوجه إلى الجامعة، فقد اقتربت الامتحانات النهائية، وعليّ التخرج هذه

السنة للتفرغ للشركة.

سأنتظر عودتك سالماً يا ولدي بإذن الله.

أحمد:

إن كان الأمر مهماً دعنا نتحدث حوله الآن.

الحاج عبد الرزاق:

غداً سيكون أفضل؛ فقد تعبنا جميعاً اليوم.

انسحب أحمد من المكان بعد أن قبل يد أبيه وقال لغيد:

مشتااااااق

ردت غيد وبنفس الطريقة:

وأنا مشتااااااقه جدا

ضحك أحمد وقال لغيد ساخرا:

لم أكن أقصدك يا ذكية؛ بل كنت أنادي صديقي واسمه (مشتاق)

ضحكت غيد ضحكة طويلة وقالت:

أخيرا عدت لطبيعتك، الحمد لله على سلامتك، بصراحة أنا مشتاقه.

أحمد:

هذه المرة الأولى التي أعرف أنك أخت صديقي.

غيد وباستغراب:

من صديقك ذاك؟ أنا الوحيدة لأمي وأبي.

أحمد وهو يضحك:

ظننتك أخت مشتاق .

غيد:

أحبك موت يا للذيد.

أحمد:

وأنا أعشقتك حد الحياة والموت معا

واستدرك أحمد شيئا فجأة وقال لغيد:

ترى ما الشيء الذي أردت إخباري به قبل ساعات؟

غيد:

عرفت أمي بحبي لك وقد اعترفت لها بعلاقتي بك.
أحمد:

وما كانت ردت فعلها؟ أخبريني بسرعة أرجوك.
غيد:

الرفض طبعاً.

أحمد:

يبدو أن العقبات لا تعرف غيرنا لتعيق سير حياته.
غيد:

لا تخف؛ فقد دافعت عنك بشراسته، واضطرت أمي للاستسلام لي.
أحمد:

الحمد لله أخيراً تجاوزنا عقدة أمك المرعبة.
غيد:

لا يا أحمد، أمي كأي أم تخاف على مستقبل ابنتها.
أحمد:

يعني أنا الذي أصبحت المرعب في القصة، لا أعرف إن كان هذا إطراء أم
ذمًا؟

ضحكت غيد من كل قلبها وقالت:

بل أنت مصدر أمان الروح يا روح الروح.
أحمد:

دليني أرجوك؛ فقد اشتقت لدلالك.
غيد:

دعك من هذا، واسمح لي أن أقص عليك القصة بالتفصيل.
كان الحديث ممتعا بين الاثنين، لكن بعد ربع ساعة وجدت غيد نفسها
تكلم رجلا يشخر على الطرف الآخر فضحكت من كل قلبها وقالت:
تصبح على خير يا حبيبي. (أحبك موت).

القلوب الطيبة ... لا تتقرب إلا العطاء

في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحا رن جرس المنبه في غرفة أحمد الذي فوجئ به وكأن صاعقة كهربائية أصابته؛ فنهض كالمجنون وهو شبه نائم وراح يتعثر بشرشف السرير حتى سقط على وجهه. لكنه نهض من فوره واتجه نحو الحمام بسرعة، وفي تمام الساعة الخامسة وخمس وأربعين دقيقة كان يفتح باب الباحة الكبيرة في البيت ليتوجه إلى مرآب البيت.

وما إن أمسك مقبض الباب حتى سمع صوتا يقول له:

صباح الخير يا ولدي.

التفت أحمد بسرعة فإذا بالحاج واقفا بباب غرفته المطلة على باحة الدار وهو يتكأ على إطار الباب.

عاد أحمد إليه وهو يركض وأخذ بيده، وقال بصوت عطوف أقرب للهمس:

ما الذي أنهضك يا والدي من الفراش؟ أما سمعت الطبيب يطلب منك

الراحة التامة؟؟؟

الحاج عبد الرزاق:

سمعت صوتا في البيت، والكل نائمون، وآخر من كنت أتوقع رؤيته هو

أنت يا أحمد.

سمع الاثنان صوتا آخر يقول تلك عجيبة الدنيا الثامنة يا أبتاه.

التفت الاثنان فإذا بأحلام تنزل من الدرج الكبير باتجاه الباحة.

أحمد:

يجب عليّ إنهاء أمور مهمة في الشركة ومن ثمّ عليّ أن أتوجه للجامعة؛ فقد

فأنتي الكثير وعليّ تعويضه.

أحلام:

وكيف تخرج وأنت لم تتناول فطورك؟؟!! سأعد الفطور الآن.

أحمد:

مستحيل.

الحاج عبد الرزاق:

لا تهمل راحة جسدك يا بني.

أحلام:

خلال عشر دقائق يكون كل شيء جاهزا .

أحمد وهو يترجى أحلام بملامح وجهه:

أرجوك يا أحلام سأتناول الفطور في طريقي للجامعة بعد خروجي من

الشركة.

أحلام وهي تتجه للمطبخ مهرولة:

فقط أوصل عمي إلى طاولة الطعام وانتظري لحظات .

راحت أحلام تحضر (الصمون) وهي تقول مخاطبة إياه:

كنا بنعمة لا نعرف أهميتها؛ إذ كان عمي يحضرك لنا حارا وطازجا واليوم

نأكلك باردا.

وبعدما أحضرت نوعين من المربيات ونوعين أو أكثر من الأجبان

ووضعتها أمام أحمد وهي تقول:

كل الآن من الذي أمامك، بينما سأحضر البيض المقلي والشاي.

وبالفعل كل شيء أصبح جاهزا في غضون دقائق؛ بينما ارتسمت ابتسامة

كبيرة على وجه الحاج عبد الرزاق سرعان ما تحولت لضحكات خفيفة وهو

يراقب أحلام تصر على أحمد بالأكل لدرجة أنها صارت تصنع لقم صغيرة وتدخلها عنوة في فمه .

نظر أحمد في ساعته وقال وفمه مملوء بالطعام:

يا الله... الساعة السادسة وخمس دقائق!!!

فخرج مسرعا وتبعته أحلام بكوب الشاي حتى وصل سيارته وبدأ بتشغيلها فأعطته الكوب وقالت بكل حب:
أعادك الله إلينا سالما يا أخي .

ارتشف أحمد من الكوب رشفتين ونظر إلى أحلام نظرة حب أخوية وقال:
أسعد الله روحك وقلبك كما تُسعدين أرواح وقلوب الآخرين، لكن الشاي سيعيق تركيزي على الطريق .

وانطلق بسيارته إلى الخلف باتجاه البوابة الكبيرة للمنزل الكبير؛ فنزل وفتح الباب بنفسه، وأخرج السيارة وقبل أن ينزل من سيارته ليعيد غلق الباب وجد أحلام سبقتة وراحت تغلق الباب الكبيرة خلفه وهي تومئ له بيدها وتقول:
أسرع فقد فاتك الكثير من الوقت، وها أنا أكفر عن خطئي بتأخيرك.
انطلق أحمد بسيارته مسرعا وهو يضحك من صميم قلبه .

انتسلتني من ألم الفقد
ووضعتني على خارطة يدك

دخل أحمد الجامعة في تمام الثامنة والنصف فكانت كل من غيد وميار
وشهد بانتظاره.

التقى أحمد وغيد وتصافحا مع أن العناق كان بالأعين أشد لذة.
أحمد بصوت ملؤه الحب:

تفطرت روحي شوقا إليك يا غيمتي
غيد:

إن تفطرت روحك؛ فقد ثارت براكين روحي شوقا.
أحمد:

دعيني أرتوي منك بنظري.
غيد:

كنت أتوقع أني عندما أراك ارتوي منك وتهدا عواطفي، فإذا بلقائك زادني
شوقا وولها.

قاطعت شهد الاثنين بصوت عالٍ:
نحن هنا يا جماعة.

تدخلت ميار بطريقتها العصبية:

لم آمل منك يوما خيرا أيها المشاكس، أقسم أننا كنا في إجازة من مشاكساتك
وسخافاتك.

أحمد وكأنه أحس بوجود الاثنتين:

صباح الخير أيتها الرائعتين؛ كم اشتقت لكما!!!

أصابت الدهشة الاثنين وقالتا معا:

معقول؟

أحمد:

هيا بسرعة فالمحاضرة ستبدأ بعد خمس دقائق، هيا.

وأخذ غيد من يدها وراح يسحبها، أما ميار وشهد فقد تسمرتا في مكانيهما

دون حراك، وكلاهما فاغرة فمها تعجبا.

كان أحمد يسجل ملاحظات الدكتور خالد بدقة وسط تعجب الفتيات

الثلاث، وباقي زملائهم.

انتهت المحاضرة ونزل الدكتور؛ فأتجه أحمد للدكتور خالد، وسلم عليه

بكل احترام، ففوجئ الدكتور بأحمد وقال:

أأنت كنت في محاضرتي؟

أحمد:

نعم... وقد ثبت كل الملاحظات والأشياء المهمة في هذه الأوراق.

أخذ الدكتور خالد أوراق أحمد وراح يتفحصها وهو يحرك حاجبيه إعجابا،

وأحمد يراقب تلك الحركات بكل سعادة.

د.خالد :

كتبت ملاحظات بغاية الدقة وكأنك أستاذ محترف،

أحمد وبلباقة وأدب:

شهادة من دكتور أعتز به وأتشف.

د.خالد:

أشعر أنك تعد مقلبا ما... أقسم أن قرار فصلك سيكون على يدي.
أحمد وهو يضحك بهدوء واحترام:

لا يا دكتور، ذلك الأحمذ الذي تعرف قد كبر فجأة وصار رجلا حقيقيا.
د. خالد وهو يضحك:

أتمنى أن يصمد أحمد الرجل أمام أحمد المتصابي.
ضحك كل من في القاعة من طلبة وكانوا بانتظار رد من أحمد مثل كل مرة
فيه شقاوة وخبث، لكن الجميع دهش عندما قال أحمد:
تأكد أن ما مررت به خلال الشهرين الماضيين جعلني أعرف أهمية الوقت.
أعدك يا دكتور أنك ستتعرّف إلى أحمد جديد.

غادر أحمد القاعة والكل في دهشة، وأولهم الدكتور الخالد الذي عقب بقوله:
دائما يدهشنا هذا الشاب؛ لأنه يأتي عكس ما أتوقعه منه.
في نادي الكلية جلس أحمد وغيد، وبعد دقائق التحقت بهما كل من شهد
وميار؛ فعرضت غيد عليهم أن يكون الغداء على حسابها اليوم لفرحتها بعودة
أحمد للدوام في الكلية ولفرحتها برؤيته؛ لكن أحمد اعتذر وقال لها:
عليّ العودة إلى الشركة لإنهاء بعض الأعمال، ومن ثم العودة للبيت بأسرع
ما يمكن لأن المهنيين بسلامة والذي سيتوافدون عند المساء بكل تأكيد.

غيد:

تغيرت يا أحمد جدا

أحمد:

وهل علي أن اكرر ما قلت للدكتور خالد؟
ضحك الجميع إلا غيد التي بقيت تتأمل ملامح أحمد بكل الحب.

أحمد وهو يحرك يديه أمام عيني غيد:

سلامات يا غيد ما هذا الصمت المخيف؟

غيد بطريقة المتأثر عاطفياً:

في كل يوم حبك يزداد يا أحمد، حتى أنني أتوقع أن ينفجر قلبي من شدة ما

يحمل من حب لك.

أحمد:

وأنا أعدك أنني لن أخيب ظنك يا غيد يوماً.

عندما نوثق أنموذج ندرك أنه الحياة كانته أتمن ما امتلكتنا

كان القصر الكبير يضحج بالسعادة، فأطفال أحلام مع أطفال نجلاء قد ملؤوا البيت بهجة وحركة، بينما راح الحاج عبد الرزاق يشاركهم بالألعاب الفكرية والأحجيات، ووجهه يشع سعادة وكأنه عاد طفلاً بعمرهم.

دخلت نجلاء المطبخ الكبير فوجدت أحلام قد أعدت الكثير من الطعام؛ فجلست على الطاولة الموجودة في المطبخ وقالت وهي مبتسمة:
ما كل هذا يا أحلام؟؟ أنت تتصرفين وكأننا في يوم العيد.
أحلام:

بل هو أجمل من العيد وأسعد، أتعرفين معنى أن يتحول بيتك في لحظة إلى حلم، وأن تكون رؤية أطفالك أمنية، وأن تكون قبلة من زوجك شيئاً مستحيلاً.
نجلاء:

تبا لتلك الأعراف التي لا ترحم قلب امرأة؛ إذ يجرمها القدر من أن تكون زوجة بأخذه لزوجها؛ ويجرمها المجتمع من أن تكون سيدة لمنزلها وأماً لأطفالها.
أحلام:

هل ما يجري لي يجري على كل من تفقد زوجها؟

نجلاء:

تلك أصبحت مأساة أكثر من مليون امرأة في العراق وما زال العدد في ازدياد، وحده الله يعلم متى وكيف ستنتهي مأساة هذا البلد.
دخلت الحاجة سعاد تضحك من قلبها وتقول بصوت فرح:

بحياتي لم أجد الحاج عبد الرزاق بهذه السعادة، تخيلوا أنه يضحك
كالأطفال، بل وأكثر منهم، لا أعرف، أتلك الجلطة أصابت قلبه أم أنها أصابت
عقله فأعادته طفلاً يلعب مع الأطفال؟؟؟؟

نظرت نجلاء إلى أحلام و انفجرتا ضاحكتين؛ فكان ذلك مثار استغراب
الحاجة سعاد التي نهرتها وقالت:

ما بالكما تضحكان عليّ؟

ردت نجلاء وهي تكتم ضحكتها لكنها تخرج منها بالقوة كإناء يتحرك فيه
الماء فيخرج منه قليلاً قليلاً:

إن كان والدي أصيب بجلطة، فما بالك تتكلمين على الحاج عبد الرزاق
بهذه الجراءة؟؟ يبدو أن الجلطة أصابت أكثر من واحد في هذا البيت.

انفجرت أحلام ونجلاء ضاحكتين مرة ثانية، بينما سحبت الحاجة سعاد
الكرسي وجلست بهدوء، وراحت تتأمل الاثنتين وهما تضحكان من كل قلبيهما.

استغربت أحلام من صمت الحاجة؛ فهدأ الضحك، عندها سحبت
الكرسي الملاصق لها وقالت:

مالك يا حاجة؟

الحاجة سعاد:

إن فرحتي بضحككم هو ما أسكت حروفي وأجلم شفتي، تخيلت للحظة
وأنا في المستشفى مع الحاج أن هذا البيت سيكون أظلم بدون الحاج، وأن
الضحك سيغادرنا إلى الأبد، فها هو هشام قد ثقب قلوبنا وأفرغ ما بها من
سعادة، وموت الحاج -لا سمح الله- سيطحن قلوبنا وللأبد.

نجلاء:

الحمد لله يا أمي، كانت تجربة مريرة، وعدت على خير .
الحاجة سعاد:

غدا تغادرين يا نجلاء، وبعدها أحلام، وسنعود أنا وعمك الحاج وحدثنا
بلا أنيس يواسي وحدثنا.

أطرقت أحلام برأسها حزنا دون كلام، بينما بادرت نجلاء تواسي أمها:
لن نترككم يا أمي، وسنقضي معكم نهاية كل أسبوع.
الحاجة سعاد:

لو كان الأمر عليّ هان، لكن خوفا على والدك المريض؛ فتأثير سكون البيت
عليه وقعوده عن العمل سيكون كبيرا وسيؤلم قلبه.

دخل أحمد المطبخ وهو يضحك مستغربا، وقبّل رأس أمه وقال:
شتان بين الجلستين؛ رغم أن ما يفصل بينكم وبين والدي والأطفال ليس
سوى أمتار إلا أن هناك عندهم الحياة بزوها وفرحها، بينما أنتم تجلسون
وكأنكم في ماتم.

ارتعبت الحاجة سعاد وقالت لأحمد:

أرجوك يا بني لا تذكر مفردة الماتم هنا؛ فإن قلبي يعتصر من سماعها.
نهضت أحلام من كرسيها وقالت تخاطب نجلاء مع ابتسامة جميلة:
دعينا نقدم العشاء ولنجعله تحديا: من يمنح المنزل فرحا وليكن الحكم أحمد.
ووجهت نظرها إليه وقالت:

اتفقنا.

فرد أحمد مبتسما:

اتفقنا.

أجمل المساءات تلتها التي تكون معلية

كان العشاء كله صخباً وضحكاً، وكان اللافت في الأمر مزاح الحاج عبد الرزاق وكثرة إطلاقه النكات؛ وخصوصاً تلك التي تخص الحاجة وهو يتحدث عما مر به من مقالب أثناء حبه لها؛ وحياتها عندما جاء لها خاطباً؛ وأنهى الكلام حول حجم معاناته معها وهي لا تجيد الطبخ.

من ناحيتها كانت الحاجة ترد الصاع صاعين للحاج؛ فتذكر مشاكساته ولحاقه إياها وهي ذاهبة للمدرسة، وكيف كان يترك عمله ليرقبها وهي عائدة من المدرسة؛ تاركا عمله في دكان والده لينال توبيخاً يومياً بسبب تصرفه الصبياني ذلك.

وهنا تدخل أحمد وهو يكاد أن يغمى عليه من الضحك وقال:
كل هذا يا حاج وكنت توبخني وتساءل أشبه من بتصرفاتي؟؟؟ فمن شابه أباه فما ظلم.

رد عليه الحاج وهو يضحك:
أخرس يا ولد ولا تصدق أمك فهي من كانت ترمقني بنظراتها لأني كنت أوسم الشباب وأوقعتني بغرامها بدهاء الأنثى.
نجلاء:

الآن عرفت سر التفاهم الذي بينكما، اتضح أن خلفه قصة حب كبيرة.
رن هاتف أحمد فتغيرت ملامحه من الضحك للخجل والارتباك فقال:
أستأذن منكم.

قال الحاج عبد الرزاق وقد تغيرت ملامحه من الضحك إلى الجدل إلى لحظة:

أكمل عشاءك يا بني وأجل المكالمة إلى حين آخر .

قالت أحلام ممزحة وهي تشاكس الحاج :

يا عم وهل العشاء بأهمية عملك الذي كنت تتركه لترقب خالتي وهي

عائدة من المدرسة؟؟؟

انفجر الجميع ضاحكين إلا الحاج فقد علا وجهه الحزن وكأن فكرة ما

أخذته بعيدا عن الجميع .

صعد أحمد الدرج الكبير الذي يتوسط الباحة الكبيرة للمنزل فصاح به

الحاج :

أكمل مكالمتك وتعال نشرب الشاي معا يا ولدي .

أحمد :

أنا تعب يا حاج سأنام على الفور بعد إنهاء المكالمة .

الحاج عبد الرزاق :

أنسيت إنني أنتظرك من الصباح بخصوص أمر ما .

أحمد :

أعتذر جدا يا حاج سأنهي مكالمتي بأسرع ما يمكن حتى نشرب الشاي فور

انتهائك من العشاء .

كان المتصل هو غيد فقالت عبر الهاتف :

أراك تضحك لاهيا مع الجميع ونسيت أن قلبا أحبك يشتعل شوقا لسماع

صوتك أيها القاسي .

أحمد :

لم أسمع بحياتي عن عتب بهذه اللذة، فحتى عتبك غزل أيتها الشاعرة .

غيد:

وما الفائدة يا روحي؟ فها أنت تتركني لشملى ضاحكا مع الكل؛ بينما أهمل كل من حولي كي أنال منك أربعة أحرف فقط لتروي عطش روحي إليك.

أحمد:

أحبك.

سحبت غيد نفسها عبر الهاتف كمن مُنع عنه الهواء ألف سنة، وقالت:

الآن عادت إليّ أنفاسي.

أحمد:

معقول؟؟؟

غيد:

أظن أن حبك قاتلي يا أحمد.

أحمد:

وأنا أظن أن حبك قاتلي أيضا.

غيد:

قاتلك؟ يا رجل أنت حتى لا تتصل بي، أنا فقط من يبادر للاتصال بك.

أحمد:

وأنا بذلك من الشاهدين، ولكن موتي على يديك بسبب شيء آخر.

غيد وكلها استغراب:

وما هو؟

أحمد:

جوعا.

غيد:

يا مشاكس لا يبدو أنك جائع لي، وإلا لطلبت مقابلتني.

أحمد وهو يضحك خجلاً:

بصراحة أنا جائع للطعام؛ فقد اتصلت بي وأنا أضع أول لقمتين في فمي.

غيد:

يا حبيبي، أعتذر، أقسم لم أعرف أنك كنت على المائدة، ثم كان من الممكن

أن تؤجل المكالمة لبعء العشاء.

أحمد:

ليس من المعقول أن أترك حبيبتني تنتظر.

غيد:

تغيرت كثيراً يا أحمد، أشعر بك أصبحت رجلاً راقياً، ما أسعدني بك!!!!

أحمد وهو يضحك من قلبه:

تبالك أيتها الذكينة، أو ما كنت قبل الآن رجلاً؟ أترى هذا مديح أم ذم؟؟؟

غيد:

بلى، كنت رجلاً، لكن مشاكساً ولا تبالي بأمر أي أحد حتى نفسك.

أحمد:

أصبحت داهية في الكلام؛ تركتك أسبوعين وإذا بك تجيدين التفاوض

أفضل من وزير خارجية.

غيد:

اذهب وأكمل عشاءك وكلمني بعد العشاء مباشرة.

نزل أحمد وكله فرح، واتجه إلى مكانه من المائدة وقال:

أعطوني كل ما لديكم من طعام فأنا أكاد أن أموت جوعا.
أخذت أحلام تغرف من الصحون الكبيرة كل ما هو موجود إلى صحن
أحمد وهي تقول :

كل بالهناء والشفاء يا أخي .

ضحكت نجلاء ونظرت إلى أحلام :

يبدو أن ما سمعه أخي من كلام في الهاتف أثار شهيته .

عاد الجميع للضحك بما فيهم أحمد الذي ملأ فمه بالطعام وراح يسعل من
شدة الضحك والخجل .

كان الكل يضحك ويبتسم إلا الحاج عبد الرزاق فقد علت وجهه غيوم
الحزن والتعب؛ فنهض من كرسيه واتجه إلى الصالة المخصصة لاستقبال
الضيوف على غير عادته بعد إنهاؤه الطعام؛ فقد تعود أن يتجه إلى الصالون
القريب من المائدة منتظرا الشاي .

نهضت الحاجة بعده مباشرة تاركة ما بيدها من طعام؛ فهي تعرف زوجها
جيذا، فثلاثون سنة كافية لتحفظ ذلك الزوج عن ظهر قلب . واتجهت مباشرة
خلفه وأغلقت الباب .

كانت نجلاء ذكية وملاحه فسألت كلا من أحمد وأحلام :

أهنك أمر ما يزعج والدي ولم أفهمه؟

أحلام :

لا أعتقد ذلك؛ فقد كان يمازحنا ويضحك كما لم أراه من قبل طوال حياتي .

أحمد :

هناك أمر ما يشغله؛ فقد طلب مني أن أتفرغ له منذ الصباح الباكر ولكنني
أهملت الأمر .

أحلام:

أرجوك يا أخي لا تُحمِّل عمي أكثر من احتمالهِ؛ استجب له وبسرعة، ولا تؤخره.

نجلاء:

كلام أحلام في غاية الصحة؛ فوالدي ما عاد كالسابق، وعليك أن تفهم ذلك يا أخي.

كيفه ليه أنه أخبرك...
أنه عليه الانتحار عاطفيا من أجله قلبه آفر

طرق أحمد باب غرفة والديه؛ فجاء الصوت من الداخل: تفضل؛ دخل أحمد فوجد والده مستلقيا على ظهره في السرير، بينما جلست الحاجة سعاد بجانب قدميه من الناحية اليسرى.

سلم أحمد على والديه واتجه ليجلس بجانب قديمي والده من الجهة اليمنى للسرير، وقال بصوت ودود جدا:

سبق وأخبرتني أنك ستحدثني بأمر مهم يا والدي، وها أنا رهن أشارتك. لاحظ أحمد تغير لون وجه أمه؛ التي أشاحت بوجهها عنه باتجاه الدولاب الكبير، لكن مراهيه الواسعة كشفت كل ملامح وجه الحاجة سعاد، والتي لم يفهم منها أحمد أي شيء، غير أنه عرف أن أمرا ما يجري.

بعد صمت قال الحاج عبد الرزاق لأحمد:

يا ولدي... عشت معنا كل ما مر بنا من مأس خلال الشهرين المنصرمين؛ بدءا من استشهاد أخيك، ومرورا بحال أطفاله وبتمهم، وحال ابنة خالتك المسكينة؛ ففجأة وجدنا أنفسنا أمام خيارين، أحلاهما مرّ، إما أن نترك أولادنا يتربون تحت كنف غيرنا، أو أن نأخذهم؛ فنأخذ بذلك روح أحلام بعد أن ذهبت سعادتها.

أحمد:

سبق وقلت لكم: دعوا أحلام تعش هنا يا والدي.

الحاج:

وهذا ما نحن بصدد طرحه عليك.

أحمد:

وأنا موافق منذ الآن، وأنت تعرف ذلك يا والدي.

الحاج:

لكن المشكلة هي صفة أحلام في البيت؟

أحمد:

يا والدي هي تبات عندنا منذ يومين، وما احتاجت أي صفة سوى أنها

ابتتنا.

الحاج:

يا ولدي... العيش غير الزيارة.

أحمد:

وما ترى يا أبي؟

الحاج:

الأمر كله بين يديك أنت.

أحمد:

فهمت؛ وأنا موافق، سأضحى بكل شئ من أجل سعادتك وسعادة أحلام

والأطفال.

الحاج:

يعني أنت موافق؟

أحمد:

مؤكد يا أبي موافق؛ وأنا رهن إشارتك.

الحاجة سعاد:

فكر في الأمر يا ولدي أرجوك قبل الموافقة.

أحمد:

لله الأمر من قبل ومن بعد؛ وأنا سأقضي أغلب الوقت ما بين الجامعة وما بين الشركة، يعني هو المنام فقط وسأندبره.

الحاج عبد الرزاق:

كم كبرت في نظري يا ولدي، لم أتوقع منك كل هذه الرجولة.

الحاجة سعاد تخاطب زوجها:

بقيت العقبة الأصعب يا حاج: (أحلام).

الحاج:

صدقته... لكن أنا على يقين تام أنها سترضخ للأمر؛ إذ لا حل غير هذا يسمح لها بالبقاء في هذا المنزل.

أحمد:

أنا سأقنعها بذلك وسأكون معكم عليها.

الحاج:

لو أن احدهم نقل لي حديثك هذا ما صدقته يا ولدي.

أحمد وهو يقبل يد والده:

لن أغضبك أبدا يا والدي ولو على حساب راحتي أنا؛ المهم أن تكون مرتاح البال؛ الآن أنا استأذن منكما فقد أرهقتني العمل والجامعة.

غادر أحمد الغرفة وهو مبتسم ابتسامة الرضا والداه لا ينزلان نظرها عنه؛

وما إن خرج وأغلق الباب، حتى التفتت الحاجة إلى زوجها وهي تقول:

لا أكاد أصدق ما جرى.

الحاج:

بل صدقي فقد جرى كل شي أمام نظرك وسمعك يا حاجة؛ أخيرا ستعود
الراحة لهذا المنزل وأهله.

الحاجة:

بقي علينا إقناع أحلام بذلك.

الحاج:

أعدك أن ينتهي الأمر بسرعة؛ اذهبي ونادي أحلام.
الحاجة اترك الأمر لصباح الغد فقد أتعبت نفسك الآن.

الحاج وقد تفتح وجهه بابتسامة:

لن أستطيع النوم قبل أن أنهي هذه المسألة الآن؛ فربما هذه ساعة خير
ورضا، وأريد أن أستثمرها الآن.

الحاجة:

اترك الأمر للصباح يا رج، أفقد أتممت نصف المهمة، تصبح على خير

تبترونه عواطفه هذا ما أراكم عليه جميعا

في الصباح طلب الحاج عبد الرزاق من الحاجة أن تنادي أحلام ونجلاء؛
فقال له الحاجة:

من الصباح يا رجل؟؟؟ انتظر ألى ما بعد الفطور.

الحاج:

لن أفطر حتى أنهي هذا الأمر .

دخلت كل من أحلام ونجلاء معا بعد أن نادتهما الحاجة سعاد، وبقيتا
واقفتين؛ فدعا الحاج عبد الرزاق أحلام للجلوس مكان أحمد؛ فجلست على
الفور وقالت بسعادة:

وجهك يدل على بشرى؛ فأنا أجيد قراءة ملامحك يا عماء.

الحاج هي البشرى يا بنيتي؛ فقد حلت مشكلتك، وستعيشين هنا معنا.

أحلام:

دعوت الله كثيرا رغم بأس روعي؛ وكنت أتوقع أن أعادر المنزل غدا بدون
أطفالي، والآن تقول لي أني سأعيش معكم وأحتضن أطفالي؟؟؟ تلك نعمة يا
عم؛ ولكن هل سيقبل والدي بذلك؟

الحاج:

مؤكد سيقبل المهم هو أن توافقي أنت يا أحلام.

أحلام:

أوافق؟ أنا أتمنى يا عم، فكيف لا أوافق؟؟

الحاجة:

توكلنا على الله إذن.

نجلاء:

يبدو أن هناك سوء فهم في الأمر، أو أنني لم أفهم شيئاً.

الحاجة سعاد:

وما الذي لم تفهميه؟

نجلاء:

هل سيوافق العم أبو أحلام بهذه البساطة؟ فلم يتغير أي شيء في وضع

ابنته.

الحاج:

أنا متأكد أن أبا أحلام لن يعارض بل سيكون أسعد الناس بذلك.

نجلاء:

كيف سيقبل بذلك وأحمد في المنزل يعيش معكم؟؟؟

الحاجة:

وعلام الاعتراض يا ابنتي؟؟؟

نجلاء:

الأسباب نفسها التي دعت له للاعتراض أول الأمر يا أمي.

الحاجة بتوتر:

وما الذي يمنع أن تعيش امرأة مع زوجها في بيت واحد؟؟؟

نجلاء:

زوجها؟

الحاج عبد الرزاق:

نعم زوجها.

أحلام:

أرجوك يا عم أوضح الأمر لي؛ من هي الزوجة؟

الحاج:

أنت طبعا.

أحلام:

مستحيل.

الحاجة:

كيف تغيرت بهذه السرعة؟ قبل قليل كنت موافقة وسعيدة فما الذي

غيرك؟؟؟

أحلام:

موافقة على ماذا يا خالة؟

على زواجك من أحمد.

بدأ كل شيء فيها يرتعش؛ حتى وجهها الأبيض الجميل راحت ملامحه

ترتعش، فصرخت قائلة:

لن أكون زوجة لغير هشام.... مستحيل... مستحيل.

تركت المكان واتجهت إلى المطبخ وهي تبكي بحرقه، فقالت نجلاء

لوالديها:

كيف خطر ببالكما أن يتزوج أحمد من أحلام؟؟؟

بقي الحاج عبد الرزاق صامتا بينما أجابت الحاجة سعاد ابتها وبعبسية:

ليس أماننا غير هذا الحل؛ لتحمد ربها تلك الغبية، كان أحمد هو الأولى
بالرفض والتمنع لا هي.

نجلاء وباستغراب:

هل وافق أحمد على هذه الفكرة؟

الحاجة وبإصرار:

نعم وافق؛ لأنه رجل حقيقي، ضحى بحبه من أجلها، وهي الآن تتمرد علينا.
تركت نجلاء والديها واتجهت مباشرة إلى أحلام فوجدتها تضع رأسها على
الطاولة في المطبخ وهي تبكي؛ فراحت تداعب شعر رأسها الطويل وقالت:
لا أرى داعياً للبكاء يا أختي.

أحلام وهي تجهش:

لا أعرف من أي جهة أنظر للأمر؛ فكله خطأ في خطأ.

نجلاء:

هو مجرد اقتراح تكفي: (لا)؛ لتنهي الموضوع.

أحلام:

أهكذا تعامل ذكرى هشام؟ ومن أهله وأحب الناس إليه.

دخلت الحاجة سعاد ووجهها يشع صرامة وتجهم ووجهت قولها لأحلام:

اكتفيت من حركاتك الرعناء؟ أم أنك ما زلت في حاجة للمزيد؟

لم تواجه أحلام وجه خالتها؛ لأنها تخافها، لكنها تجرأت وقالت:

وهل تَمسُكي بذكرى زوجي رعونة؟

الحاجة سعاد:

ليس ذلك... بل تصرفك الأهوج وصراخك على عمك هو الرعونة،
عليك أن تحمدي الله وتشكريه على تضحيتنا اتجاهك أنا وعمك وأحمد؛ فقط من
أجل أن تحظي بعائلة كريمة ونمنحك الفرصة لتربية أطفالك.

أحلام وهي تبكي بحرقه:

مستحيل أن يقبل أحمد بذلك.

كنا نخاف رفضه لكنه كان رجلا وأنت فقط من خيب ظننا.

استدارت الحاجة سعاد وهي تمهم بالخروج وقالت بنبرة الأمر لنجلاء:

أعدي الإفطار ، فوالدك وأطفال أخيك ينتظرون.

أحلام وهي تنظر في وجه نجلاء والدموع تتساقط من عينيها بسخاء:

أخبري خالتي أنني فهمت الرسالة وسأرحل الآن.

نجلاء:

أي رسالة أيتها المجنونة؟

أحلام:

في كل مرة كانت توجه حديثها إلي أنا إلا هذه المرة فهي تريد القول إنها لا

تريدين هنا.

نجلاء:

لا ... أنت تُضحمين الكلام؛ لم أعهدك بهذه الحساسية يا صديقتي.

أحلام:

ربما أنت ابنتهم، لكنني أعرفهم أكثر منك، لم يعد يُرغب بوجودي بعد الذي

حصل، سأغادر الآن، ولن يراني الجميع بعد الآن.

نجلاء وقد ارتسمت على وجهها علامات الخوف:

ومن تقصدين بالجميع؟

نظرت أحلام في وجه نجلاء نظرة حب وألم فلم تجد إلا العناق الطويل
وبقوة ردا على تساؤلها.

حاولت نجلاء أن تمسك بأحلام لكنها تملصت منها واتجهت إلى غرفتها
القديمة وراحت تتأمل كل ما فيها من صغيرة و كبيرة؛ فإذا بها تكلم الأثاث
وتقول:

آخر مرة لم أودعكم كما لم أودع هشاما، لكن هذه المرة أحتاج وداعك
وبشدة.

أخرجت ملابس هشام وراحت تشمها بصمت، وبعد صمت طويل قالت
تحدثه:

انظر ما فعلت أنت بي، وانظر ما فعل بي أهلي وأهلك، سألحق بك اليوم؛
فانتظري ولا تكرر فعلتك بي في الدنيا وتخذلني.

فجأة سمعت صراخ الحاجة سعاد ونجلاء فرمت ما بأيديها من أثواب
واتجهت للممر العلوي المؤدي إلى الدرج الكبير لتجد ابنتها الصغيرة شمس
غارقة بالدماء والكل يصرخ.

لا ظلم الآخرين دون أن يتقروا فالظلم دون يقين يورث الندم.

دخل أحمد الجامعة وكانت حبيته غيد بانتظاره؛ فصافحها وكل ما فيه يشتهي
أن يحضنها؛ بقي الاثنان يمسك أحدهما بيد الآخر وكأتهما وحدهما في عالم آخر غير
الذي يعيش فيه من حولهما. راحت العينان تتعانقان والروح وكل المشاعر .
في تلك اللحظات الرائعة شعر أحمد بضربة على ظهره؛ فعاد إلى هذا الزمن
وشعر بسطوته واستفاق من ثمالة الحب التي كانت تعتريه.

التفت فإذا بها شهد تضحك وتقول:

مثار أنت هذه الأيام، تحضر مبكرا، وحتى قبلي، يبدو أنك مصر على
التخرج.

ضحك أحمد على غير عادته وخبثه ورد عليها:

أتمنى أن أنال حصة من دعائك أيتها المؤمنة.

وصلت ميار وهي تبسم:

أوه... أحمد يصل قبلي يبدو أن زمن المعجزات عاد.

ضحك الجميع وميار مستغربة من سبب الضحك المبالغ فيه في نظرها

فقال مستغربة:

ترى هل صار دمي بهذه الخفة ليجعل جملة عادية تضحككم سيداتي

وسادتي؟؟؟

قال أحمد وهو يشير بيده مع انحناءة:

علينا اللحاق بمحاضراتنا أيتها الراقية.

ميار وشهد في غاية الدهشة ووجهها يقول: ما هذا الأدب وحسن
التصرف؛ أراك صرت تحمل أخلاق الفرسان أو أنك....
أو ما أحمد برأسه وكأنه يقول أو ماذا؟
قالت ميار مع غمزة خبيثة:
أو أنك تعد مقبلا يؤدي بنا للهلاك.
تأوه أحمد وقال متحسرا:
تلك أيام ذهبت ولن تعود... هيا يا سيداتي الجميلات.
شهد وهي تسير أول الفتيات:
ما أروعك وأنت مؤدب!!!
أما غيد فقالت وكانت آخر المغادرات بعد أن تأبطت ذراع أحمد وراحت
تسحبه:

أما أنا فأفتقد أحمد المشاكس وقفشاته المجنونة.
في المحاضرة كان أحمد أحرص الجميع على كتابة كل ملاحظة، وأخذ يتابع
الدكتور خالد بكل جد، وكان أول من يجيب في حالة السؤال، وأحسن من يطرح
التساؤلات الحوارية فيما بينهم؛ مما نال إعجاب الدكتور وكل زملائه، وخصوصا
من كانوا يرون فيه مصدر إزعاج لهم وتأخير عن مسيرتهم التعليمية.
في نهاية المحاضرة الأولى كان الدكتور يشيد بأحمد ومدى تقدمه في وقت
قصير جدا.

رن جرس هاتفه وهو ممتلىء بهجة بمديح الدكتور وآخرين، فاستأذن منهم
وقال:

نعم يا نجلاء؟

غيرت ملامحه في لحظة من السعادة ومن ابتسامة تملأ كل الوجه إلى ملامح
الخوف والذهول؛ فترك الجميع وغادر المكان دون حتى أي استئذان أو سلام.
كان نصيب غيد كنصيب أحمد من الدهشة والاستغراب؛ إذ لم تفهم سبب
مغادرته المفاجئة تلك؛ فحاولت الاتصال به، لكن تلك الدهشة ازدادت بعد أن
تم رفض الرد عليها.

وصل أحمد باب المستشفى القريب منهم وترجل من سيارته واتجه إلى
الطوارئ مباشرة ليجد كلا من والدته وأحلام وأخته نجلاء في باب القسم،
سأل أحمد الجميع وهو يحمل كل أنواع اللهفة:
ما الذي جرى؟

استقبلته أحلام وهي تلهث باكية:

هي شمس سقطت من يد سامر وهو يحملها من أعلى السلم.
مسك أحمد رأسه وقال:

يا إلهي... وأين هي الآن؟

أحلام:

يقوم الطبيب بإجراء الفحص لها.

توجه أحمد إلى الطبيب واستعلم منه: ما حال الطفلة؟؟ وماذا سيتخذ من
إجراء لعلاجها؛ فأجابه الطبيب:

إن الأمر ليس بتلك الخطورة، والجمجمة سليمة، وكل ما في الأمر عبارة
عن كدمات وجروح في الجلد فقط.

تنفس أحمد ونظر إلى شمس التي راحت تغط في نوم عميق؛ فقبل يدها
الصغيرة الناعمة.

ارتسمت الفرحة على وجه أحلام بعد أن نقل لها كلام الطبيب وأخذت
يدها ترتجفان وهي ترفعها للدعاء وهي تكرر:
الحمد لله... الحمد لله.

أمسك أحمد يديها وهو ينظر في عينيها وقال:
اهدئي فكل شيء على ما يرام وسنغادر المستشفى بعد دقائق؛ لا يوجد
هناك ما يقلق.

أحلام:
كل ما حولي يقلقني، لم أعد أثق بأحد.
وانتبهت حينها إلى أن أحمد ممسك بيدها؛ فسحبته منه بقوة؛ مما أثار
استغرابه، وخصوصا أنه صاحب ذلك نظرة مختلفة كانت تحمل ألف علامة
عتب؛ فسألها :

أراك على غير ما أعرفك؟
أحلام:
وأنا توقعت أني أعرفك أيضا؛ فوجدت نفسي فجأة أني لا أعرفك.
ضحك أحمد ساخرا وقال:

عجيب... أنا أقرب الناس إليك وأكثرهم دفاعا عنك!!
أحلام:

كنت أظن ذلك، توقعت الظلم من كل الناس، إلا منك.
أحمد:

أختاه؛ هناك شيء في كلامك لا أفهمه!!
أحلام وهي تضحك ساخرة:

أختاه... وهل يتزوج الأخ أخته؟

فتح أحمد عينيه و فمه!! وقبل أن يرد عليها جاء الطبيب وقال لأحمد:

تستطيعون أخذ الطفلة الآن.

لم يُجب أحمد الدكتور بكلمة؛ أما هي فأتجهت إلى الردهة وحملت ابنتها

وخرجت؛ فجاءت نجلاء وأمسكته من ذراعه وقالت له:

أحضر السيارة يا أخي، نروم الخروج.

أحمد:

قالت أحلام ما لا يقال يا أختي.

نجلاء:

هذا قرارها وهي حرة.

أحمد:

أي قرار وما علاقتي به؟

نجلاء:

أنت وافقت على الفكرة وهي رفضت؛ أرى في هذا إنصافا لك؛ فأنت أكثر

المتضررين، و لك كل الحرية لتمارس حياتك.

أحمد:

أختاه... إن كانت أحلام أغرقتني في بحر من عدم الفهم؛ فهذا أنت

تغرقتني في محيط من فوضى الأفكار.

نجلاء:

وأنت أغرقتني في محيط من الحيرة؛ على كل حال في البيت سنكمل حديثنا

وسينجلي الأمر يقينا.

كم يؤلني ظام من أعطيتهم كل شيء،

كان أحمد يقود سيارته وهو شارد الذهن غارق في التفكير؛ حتى إنه كاد أن يصطدم بسيارات أخرى أكثر من مرة؛ فصرخت به الحاجة منبهة إياه:
انتبه للطريق يا ولدي أرجوك.

دخل الجميع البيت ودخل بعدهم أحمد وهو يسحب خطواته، بل يجرها جراً؛ بينما استقبلهم الحاج عبد الرزاق وهو يتكأ على عكاز جديدة؛ كانت هدية له بعد مرضه الأخير وهو يقول بصوت عالٍ:
(الحمد لله قدر ولطف بلطفه)

جلس أحمد على أحد كراسي طاولة الطعام في باحة الدار وراح ينظر إلى أحلام كي يفهم ما يجري؛ أما الحاج فقد احتضن شمس وراح يقبلها ويمجد الله على سلامتها.

اتجهت أحلام للمطبخ لتعد طعام الغداء؛ فقد بلغت الساعة الثانية عشر والنصف ظهراً، ومن عادة أهل البيت أن تكون الواحدة هي موعد الطعام.
تبع أحمد أحلام إلى المطبخ ووقف أمامها فتجاهلته وأعطته ظهرها بحجة أنها على عجلة من أمرها؛ فقال لها أحمد:
أوضحي ما قلته لي في المستشفى.
أحلام:

أنت تعرف كل شيء ولا داعي للتظاهر بعدم المعرفة.
أحمد وقد بدا عليه الغضب:
أقسم بكل أحبتي أني لا أعرف شيئاً.

نظرت أحلام إليه بنظرة تقول: (لا أصدقك)،
ترك أحمد أحلام وتوجه مسرعا إلى نجلاء التي كانت بجوار والديها؛ وقال
لها بطريقة عصبية حاول إخفائها من خلال خفضه لصوته:
وعدتني أن توضح لي الأمر فور وصولنا للمنزل.
كان شعور الإرباك والخجل واضحا على نجلاء التي راحت تنظر إلى
والديها تارة وإلى أخيها تارة أخرى.

كرر أحمد ما قاله لأخته؛ وقبل أن تجيبه قال الحاج عبد الرزاق:
ما الأمر يا ولدي أهناك ما يزعجك؟
أحمد:

لا يا والدي لا تشغل بالك بشيء.

الحاج عبد الرزاق:

أتراني ما عدت ملجأكم حين الهموم؟ أم يا ترى عجزني بلا فائدة؟
ركع أحمد فوراً تحت قدمي والده وراح يقبل يد والده وهو يقول:
أستغفر الله يا سيدي؛ ليتك رأيت حالنا ونحن بدونك وأنت في المستشفى.
الحاج عبد الرزاق:

أخبرني إذن يا ولدي عن الأمر الذي جعلك بهذا التوتر والذي تريد
توضيحا من أختك حوله.
أحمد:

ليتني أعرف يا حاج؛ أنا أجهله كما تجهله أنت.

الحاج عبد الرزاق:

إذن تخبريننا أنت يا نجلاء، ما الأمر؟

نجلاء:

هو أمر أحلام يا والدي.

الحاج عبد الرزاق:

لا تشغل بالك بهذا، ستوافق عاجلا أم آجلا؛ فليس لها إلا أن توافق كي تضمن بقاءها في هذا المنزل والعيش مع أطفالها.

أحمد:

ولكن هي تتهمني بأشياء مرعبة؛ مرة قالت إني أظلمها، وقالت مرة أخرى كلام لا أستطيع النطق به حتى.

فجأة تدخلت أحلام - إذ كانت تسترق السمع لما يدور من كلام بينهم -

وقالت::

(أيتزوج الأخ أخته)؟ هذا ما قلته لك يا (أخي)،

صوب أحمد وجهه تجاه والديه بعد أن وجهه قبلها صوب أحلام؛ وكأنه يقول لوالديه: ما رأيكما بما قالت؟ فانبرت الحاجة سعاد للرد عليها؛ إلا أن الحاج عبد الرزاق أمسكها من يدها وكأنها يقول: اسكتي ودعي الأمر لي؛ فطلب من أحلام أن تقترب منه، وأن تجلس بجانبه؛ فامتثلت له فورا وجلست بجانبه؛ فقال لها الحاج عبد الرزاق بلينه المعروف معها:

تعرفين يا ابنتي أي أحبك كما أحب ابنتي نجلاء التي هي من صليبي؛ بل لا أبلغ عندما أقول إني أهتم بك أكثر؛ لأنني أعرف أنك طيبة، ولا تملكين قدرة الدفاع عن نفسك؛ فقد ابتلاك الله بما ابتلى غيرك من نساء هذا البلد بالترمل وأنت لم تبغخي الخامسة والعشرين، وهناك من هن أسوأ منك حالا، وما عرضته عليك هو الحل الأمثل لك ولنا، ولا أخفيك سرا أي كنت أتوقع الرفض من أحمد، لا منك أنت،

لكنه وافق فوراً ودون أي تفكير لأنه فضل مصلحتك ومصلحة الأولاد على أي مصلحة له، هنا قال أحمد -الذي ما زال راعياً أمام رجلي والده-:

أنا اقترحت هذا يوم زرتكم في بيتكم عندما أخذنا الأطفال ولم تنزعجني حينها، أما اليوم فأنت تبدين كالمجنونة.

ساد الصمت بين الجميع وقد مُلثوا حيرة بما فيهم أحلام التي كسرت حالة الصمت تلك مستهجنة:

أنت عرضت علي الأمر؟

أحمد:

أنا عرضت الأمر على الكل وبمن فيهم أنت؛ وفي يومها رفض الجميع عرضي بما فيهم والداي اللذان يوافقان الآن.

أطرق الحاج عبد الرزاق رأسه إلى الأرض حزناً وقال:

يبدو أن سوء فهم قد حصل يا ولدي.

أحمد وهو كمن لا يفقه شيء:

سوء فهم؟ الوحيد الذي لا يفهم الأمر بينكم هو أنا فقط.

نهض الحاج عبد الرزاق فنهض أحمد فوراً وهو يعين والده على الوقوف؛

فقال الحاج عبد الرزاق:

أنتم تحكمون عواطفكم ولا تحكمون العقل؛ ستضطرون اليوم أو غداً

وربما بعد سنة إلى الموافقة على اقتراحي، أترككم بخير.

وبعد أن سار الحاج ثلاث خطوات وهو يتكأ على ولده قالت أحلام

بصوت خفيض لكنه مسموع من قِبَل الجميع: لم تكن تلك المرأة التي لا تحترم

وجود الحاج وإن خالفته الرأي:

لن أستبدل أي رجل آخر بهشام، ومن المستحيل أن يلمس جسدي رجل
غيره طوال عمري.

وقف أحمد وكأنه صعق من كلام أحلام؛ واستدار نحوها:

ومن طلب منك الزواج؟

أحلام وقد رفعت رأسها باتجاهه:

أنت.

الأسوأ من الموت أنه تختار مفارقة من تحبه بقرار منك

كانت غيد في صراع مع نفسها التي تشتهي الاتصال بأحمد؛ لكن كبرياءها كان يمنعها من فعل ذلك؛ حيث راحت تحدث نفسها بلسان عقلها:

أحمق ومختل ومجنون ولا يترك تلك الصفة السيئة التي فيه: (الاستهتار)
فترد على نفسها بلسان قلبها المحب:

عليّ الاتصال به والتأكد أولاً قبل أن أتهكم عليه وأتهمه بكل تلك الصفات السيئة؛ فهو رجل طيب ونبيل.

كان الباب مفتوحاً ووالدتها تراقب تصرفات ابنتها وهي تكلم نفسها وترد في نفس الوقت كالمجنونة؛ فقالت لها بلهجة الواثقة:

أعدك أنك لو بقيت على علاقتك بذلك الشاب ستصاين بالجنون خلال شهر أو اثنين على الأكثر.

استدارت غيد ونظرت إلى أمها وقالت بتهكم:
أتجسسين عليّ يا أمي؟
الأم:

رائحة حرائق قلبك تملأ المكان وهي من جلبتني إليك.
أصاب الارتباك غيد حتى غن قدرتها كانت أقل بكثير من التملص من قضبان صمتها.

تقدمت السيدة نضال باتجاه منفضة السجائر وسحبت نفساً أنهت به روح سيجارتها فأطفأتها بكل قسوة وقالت:

كالغيوم تتجمع بقوة وفي أحسن الأحوال تمطر بقوة ولكن مصيرها أن تتفرق ومن ثم تزول؛ كذلك هو الحب، يتجمع في الروح فجأة ودون سابق تخطيط له؛ وقد ينهمر عليك كشلال عظيم، أو ينفجر في داخلك كبركان هائج، لكنه بمرور الوقت يختفي وتختفي آثاره، وفي الحرب مع القدر وعلى ميدان الحياة يكون الحب أجبن من تحالفت معه؛ فهو يولي هاربا عند أول نزال، ولا يثبت معك إلا ما تملكين من مال وخبرة للفوز بتلك المعركة.

غيد:

لم يكن أحمد قبل الآن هكذا؛ هو في ظرف صعب يمر به وسيتجاوزه.

السيدة نضال: أنت مؤمنة به؟

غيد:

نعم.

السيدة نضال:

يتحول الإيمان أحيانا إلى خرافة تحتل إدراكنا وتلغي كل حواسنا؛ فعينك لا تريان غيره، وأذناك لا تسمعان إلا منه؛ عندها لن تري أي عيب في ذلك الشاب.

غيد:

تحكمين على أحمد وأنت لا تعرفينه؛ ألا ترين أن في الأمر إجحافا به؟

اقتربت نضال من ابنتها أكثر وهمست في أذنها:

ستتألين كثيرا يا

استدارت وهي تروم الخروج من الغرفة حتى وصلت الباب؛ فقالت لها

غيد بصوت واثق:

أنت لا تحتملين حتى نطقها.
توقفت السيدة نضال ودون أن تستدير.
فأكملت غيد كلامها:
(ابنتي).

غادرت نضال الغرفة وابتتها لا تعرف ما يعني ذلك؛ أهو هروب من
الإجابة أم هو تأكيد لما يساورها من أفكار؟

مؤلم أنه تكونه ثمرة نبلنا... سوء الظن بنا

بقي أحمد في حالة صمت مطبق كحال من في الصالة الكبيرة إلا الأطفال؛ فقد كانوا أصغر من أن يفقهوا ما يدور حولهم من أحداث قد تقرر فيما بعد مصيرهم والطريقة التي سوف يعيشون بها في عالم بقسوة هذا العالم.

أحمد وهو يرتجف:

أنا لم أطلب يد أي امرأة؛ فكيف أطلب يد أختي؟؟؟!!!

تدخلت الحاجة سعاد لتنتهي كل هذا اللبس وسألت أحمد:

ألم توافق على الزواج من أحلام عندما فاتحك أبوك بذلك؟

أحمد:

ومتى فاتحنى؟

الحاجة سعاد:

ليلة أمس يا ولدي.

أحمد:

كنت أظنه وافق على اقتراحي بأن أترك المنزل لتعيش فيه أحلام وأطفالها.

التفت الحاج عبد الرزاق، الذي قارب الوصول إلى باب غرفته، وقال:

سيكون الأطفال ضحية لعبائك يا أحلام؛ لن أسلبك أطفالك، ولن أغلق

باب هذا البيت في وجهك يوماً، وليباشر أهلك بنقل رامي لأقرب مدرسة في

حيكم.

تقدم الحاج خطوة وقبل أن يغلق الباب قال لأحلام:

يوماً ما ستأتين نادمة وترجين أن أقنع أحمد كي يتزوجك.

بعد نصف ساعة كانت أحلام تقف بباب غرفة الحاج تحمل حقائبها، تريد
توديعه، لكن الحاج ادعى النوم ليتجنب ذلك الوداع.
استدارت وعادت إلى أحمد الجالس على أحد كراسي طاولة الطعام وقد
اتكأ برأسه على يده وقالت له:
أعتذر منك يا أخي فقد كنت قاسية معك جدا.
رد أحمد بعد أن أخفض رأسه وكأنه لا يريد النظر إليها:
لا داعي للاعتذار فلست مذنبة بشيء.
أرادت السلام على خالتها الحاجة سعاد فسبقتها بالنهوض واتجهت مباشرة
إلى المطبخ.

علم قلبه المحبه أنه يسامح وإلا... فإنه مدع وأفاق

ألقي أحمد السلام على الجميع فردوا إلا غيد أشاحت بوجهها عنه؛ لكنه غادر المكان وتوجه إلى القاعة غير مبال بها، وكأن جبلا من الهموم قابع على ظهره؛ قالت ميار تخاطبها:

الحبيبة الحقيقية لا تحتمل أن ترى معشوقها بهذه الحال.

غيد:

أحمد تغير جدا.

فردت شهد عليها:

أحمد يمر بوقت عصيب وكلنا يعرف ذلك؛ وهناك أشياء كثيرة تتغير فيه فلا تكوني من ضمن الأشياء التي تتغير عليه.

نهضت شهد وبعدها ميار ومدتا يديهما إلى غيد يستنهضانهما.

جلست غيد بجانب أحمد الذي كان يضع رأسه على المنضدة التي أمامه وقد أغمض عينيه؛ مدت يدها إلى رأسه وقالت:

بدل أن تعتذري لي عن غيابك يوم أمس دون حتى أن تخبرني؛ ها أنت تعود محملا بألف سؤال؛ متهربا من واجب اعتذارك.

اكتفى أحمد بسحب نفس عميق وأطلقه بحرقه؛ وكان تينا نفت ناراً من صدره.

استغربت غيد جدا من تصرف أحمد فقالت له وهي تنهض:

يبدو أنك لم تعد تطيق حتى الرد علي.

همت بترك المكان فمد يده وأمسكها وأعادها إلى حيث كانت تجلس وهو صامت لا يتكلم؛ مما اضطرها لتغير لهجة العتب إلى لهجة الخوف عليه وقالت: أرجوك لا تجلدي بصمتك؛ أخبرني بم تعاني عليّ أساعدك.

أخيرا نظر إلى وجهها -الذي رغم كل ما عبث به الغضب وأرهبه الحزن إلا أنه الأجل في الكون- و بقي يتأمل تلك اللوحة الرائعة بعيني متفحص وهو يركز في كل جزء منه.

فجأة دخل كل الطلاب، وبعدهم الدكتور خالد، وابتدأت المحاضرة؛ لتحول تلك الدقائق إلى جمر يكتوي به الاثنان معا؛ وما إن انتهت تلك الساعة من العذاب؛ حتى أمسك أحمد يد غيد واختطفها من بين الجميع واتجه إلى مكان قصي على غير عادته في الذهاب إلى نادي الكلية مثل كل مرة وهو يجرها جرا.

وصل الاثنان إلى مقعد صغير فأجلسها بقوة وهو ينظر إليها بحدة:
أحتاج البكاء يا غيد.

غيد وقد أجلسته بجانبها بعد أن سحبت من يده:

لم البكاء يا حبيبي؟

أحمد:

تعبت من تمثيل دور القوي.

غيد:

ومن قال إنك تمثل؟ أنت قوي جدا بالفعل.

وضع رأسه على يديه وقال بحرقة:

فجأة أجد أن عليّ رعاية الجميع والاهتمام بهم؛ وفوق هذا كله عليّ

التضحية لأجلهم أيضا؛ أقسم أن هذا كثير.

غيد:

عليك فعل هذا يا حبيبي؛ فقد ضحى من هو قبلك وتلك سنة الحياة؛
تحمل وسينجلي كل شئ قريبا.

أحمد:

أرى القادم أكثر قسوة.

غيد:

لن يحصل أشد من الموت؛ وقد حصل بالفعل، وأعتقد أن الباقي يمكن
تدبره.

نظر أحمد في وجه غيد طويلا وقال بصوت هامس غريب:

بل إن هناك ما هو أسوأ من الموت.

سقطت دمعة حارة من عينه؛ فقام على الفور لأنه لا يريد لحبيبته أن تراه
يبكي، وأسرع مغادرا الجامعة؛ بينما راحت هي تصرخ خلفه دون أن يرد عليها.

إذلال اليتيم... جرمته يعاقبه عليها قانون الإنسانية

وصلت أحلام إلى بيت أهلها وهي تحمل خيبة كبيرة، وكانت مشوشة جدا؛ لكنها رغم ذلك كانت تحمل في داخلها فرحة إنجاز كبير؛ فقد تحلى الحاج عبد الرزاق وعائلته عن المطالبة بأطفالها؛ فأرواحها الثلاث سيرافقونها أيامها القادمة.

جلست أحلام في الصلاة الصغيرة جدا، واحتضنت أطفالها الثلاثة وهي خائفة من القادم وما سيجلبه عليهم من ويلات؛ لكنها قررت في نفسها أن تكون أقوى وأشد عودا؛ كي تحمي أولادها من أي خطر يتهددهم.

كان أول الداخلين عليها أخوها؛ والمنزعج أصلا من كلام زوجته التي ترى في أحلام عبئا عليها وعلى زوجها الذي طالبه والده بزيادة مصروف البيت كي يؤمنوا مصروف ابنتهم وأطفالها حين اكتمال إجراءات معاملة التقاعد لزوجها؛ والذي سينتهي بمبلغ زهيد كل شهرين لا يفي بنصف متطلبات أخته وأطفالها الثلاثة؛ قال لها وبعصبية وقبل السلام:

أما كان الأفضل أن تترك الأبطال لجدهم يرعاهم؟

احتضنت أحلام أطفالها وقالت:

وماذا ستكون الفائدة من حياتي عند ذلك؟

كان ثاني الداخلين هي والدتها، والتي بعد أن فتحت الباب لابنتها راحت توظف زوجها؛ فسمعت كلام ابنها؛ فتداركت كلامه غير اللائق قائلة:
دع أحتك ترتاح؛ فقد كانت خارج بيتها منذ أسبوع وأكثر.

دخل والدها الذي سلم عليها وجلس بالقرب منها ومد يده لأطفالها محاولا السلام عليهم؛ لكنهم ازدادوا التصاقا بأهمهم رافضين تركها بعد مقابلة خالهم لهم؛ وخصوصا رامي الذي راح يرمق خاله بنظرات حادة مما دفع خاله أن يرد عليه بنظرات أشد وقاحة وغضب؛ وكأنه دخل في صراع مع رجل بعمره.

قال والدها مخاطبا ابنته:

سمعت أن الحاج عبد الرزاق تنازل عن الأطفال لك ولن يطالبك مجددا.

أحلام:

نعم يا أبي.

والدها:

ذلك الرجل يكبر كل يوم في نظري.

أحلام:

لطالما كان كبيرا ومحترما إذ لم يعاملني إلا كما يعامل نجلاء بل وأكثر أحيانا.

تدخل أخو أحلام وقال بعصبية:

ليتة لم يتنازل لكان ذلك أفضل له ولنا ولأطفالهم.

احتضنت أحلام أولادها وهي تنظر مستغربة من كلام أخيها الذي أمسكت

أمها ذراعه وهي تحاول أن تمنعه عن باقي ما سيصدر منه من تعليق ورأي.

ردت عليه أحلام باستغراب:

أطفالهم؟

أبعد مجيد يد أمه وقال بحدة:

أكيد... أفلا يحملون اسم أبيهم وجدهم؟ أ و ليسوا ينتمون لعشيرة

أخرى؟

أحلام:

وهل الأطفال في نظركم اسم فقط؟ وما دور من حملت وتحملت آلام
الولادة وأرضعت وقامت بتربية أطفالها وعلمت وذاكرت الدروس؟

مجيد:

كل ذلك لا يساوي شيئاً في نظر العرف والمجتمع.

نهضت أحلام من مكانها وقالت بعصية:

إذن تبا للعرف الظالم والمجتمع المتخلف؛ الذي لا يرى في المرأة إلا جارية

وخادمة.

أنهى والد أحلام النقاش وقال قبل أن يرد مجيد على أخته:

ارتاحي يا بنتي، المهم أن أولادك لن يفارقوك ثانية.

هنا رمقت والدتها أباهاً بنظرة وكأنها تلومه على ما بدر منه من كلمات

حركت ملامح وجهها بازدياء.

جلست أحلام على الأرض في تلك الصالة التي تحولت لسجن ضيق لها

ولأولادها؛ فهم لا يغادرونها إلا وصاحت زوجة أخيها متحججة مرة بالصوت

ومرة أخرى بأنهم سيكسرون أحد الأشياء في الدار؛ مما اضطرها لاحتجازهم في

الصالة؛ جلست وقد قدمت لهم صينية وضع فيها طعام بسيط وذلك كل ما

جادت به حالة أهلها المادية.

رفض رامي الأكل وقال إنه لا يجبه؛ وطالب أمه بالمغادرة فوراً إلى بيت

جدهم عبد الرزاق.

أحلام:

اششششش.... يا بني لا ترفع صوتك فيسمعك أحد.

رامي:

دعينا نغادر يا أمي فهم لا يحبونا.

أحلام:

سواء أحببناهم أم لم نحبهم أو أحبونا هم أو لم يحبونا؛ ليس أمامنا إلا العيش هنا؛ فقد صار هذا المنزل منذ اليوم منزلاً.

رامي وبصوت عالٍ:

أنا لا أحبهم ولن أبقى هنا؛ هاتي هاتفك ولتتصل بعمي أحمد وسيأتي

ليأخذنا.

أحلام وهي تترجى ابنها بأن يخفض صوته:

أرجوك يا رامي أخفض صوتك.

رامي:

وأنا لا يهمني إن سمعوا.

عندها دخل مجيد ومعه أمه وهي تحاول منعه من الدخول لكن إصراره كان

أقوى بكثير من ممانعتها له؛ وقال مخاطباً أحلام بعصبية:

أهذا نتاج تربية القصر الكبير؟

نهضت أحلام وقالت لأخيها:

أعتذر... رامي صغير وهو لا يقصد ما صدر منه.

نهض رامي وأختبأ خلف أمه وهو مرعوب من هجوم خاله عليه، فما كان

من سامر إلا تقليد أخاه في النهوض ومشاركته البكاء في حين راحت شمس

تلعب في صحن الطعام اللذين في الصينية.

مجيد:

عليك تعليم أولادك الأدب واحترام الكبار وعدم التجاوز عليهم وإلا
سأقوم بتربيتهم بنفسى.

أحلام وهي ترتعد خوفا:

أعدك بذلك يا أخي.

انتبه مجيد إلى شمس وهي تعبت بالطعام لانشغال أمها عنها فصرخ بها
وبكل همجية:

ماذا تفعلين أيتها الغبية؟

صرخت شمس مرعوبة وهي تنظر لأمها ولسان حالها يقول (أنقذيني يا

أمي)

التقطت أحلام ابنتها، ولم تحتمل ما صدر من أخيها فصرخت بوجهه:

أنت ترعب الطفلة، أرجوك اخرج الآن.

تقدم مجيد باتجاه أحلام وهو يريد ضربها؛ فعلا صراخ الأطفال، وما إن رفع

يده حتى أغمضت هي عينها دون أن تشعر وراحت تنتظر تلك الصفعة؛ فإذا

بوالده يمسك تلك اليد الغليظة ويصرخ به:

إياك أن تفعلها.

وضع مجيد وجهه بوجه والده وقال بصوت عال:

ابتك قليلة أدب هي وأطفالها.

الوالد:

اخرس وإياك ن تكرر ما قلت، أبتتي خير النساء وأحسنهن تربية، وإن

كررتها ستنال ما لا يرضيك، اخرج الآن.

مختلفه فيه كل شيء،
أنته ومدك منه يجتمع فيلله المتضاداته

رن هاتف أحمد، وكان المتصل هو غيد؛ فرد عليها على الفور وقال:

مرحبا.

غيد:

من الصباح وأنا أتصل بك وأنت لا ترد؛ لا أعرف أأغضب عليك أم

أخاف؟

أحمد:

عليك بالاثنين فأنا أستحقهما.

ضحكت غيد من قلبها وقالت:

مختلف في كل شيء؛ أنت الوحيد الذي في الكون من يجتمع المتضادان فيه.

أحمد:

بل أنا أقل من في الكون حظا يا حبيبي.

غيد:

كيف الأقل حظا؟ يكفي أن غيد تعشقك أيها المخادع، وأنت تعرف كم

الذين يتمنون ولو نظرة منها.

أحمد:

وخسارتك هي أكبر احتمالات حظي السبيء.

غيد وبقوة:

أنا معك إلى الأبد ولن أنخلي عنك، أما أمي ومعارضتها فأنا على يقين أنك ستجعلها تحبك بعد أن تستخدم حيلك للإيقاع بها كما أوقعت بابتها من قبل.
ضحك أحمد ضحكة طويلة لكنها كانت حارقة لروحه عكس ما يضحك الناس وراح يخاطب نفسه:

الفتاة أكثر منك التزاما بوعد الحب وأنت المتراخي دائماً؛ وفوق هذا اقتراح والدي بالزواج من أحلام؛ أقسم أني لا أستحق هذه الفتاة الرائعة.
أمي تلك الضحكة الطويلة بتنهيذة كبيرة بحجم معاناة روحه الطيبة؛ فقالت له غيد التي كانت تستمتع بضحكته التي كانت لا تفارق شفثيه:

كم اشتقت لضحكك هذه!!!!

أحمد:

أهههههه

غيد:

أراك أنهيتها ب (هه).

أحمد:

لا تشغلي بالك بشيء يا حبيبتى.

غيد:

(حبيبتى)... ليتك تكررهما.

عاد أحمد لضحكته الطويلة وبعدها قال:

وحدك تملكين القدرة على استعادة ما بقي من شخصيتي التي غادرتني؛

وحدك من يجعلني أضحك.

غيد:

وأنت الوحيد الذي رأته عيناى وأبصر حبه قلبى .

أحمد:

أريد الاطمئنان على الحاج (استأذنىك)

غيد:

كأنك تتهرب منى .

أحمد:

حتى لو حاولت الهرب منك؛ فسيكون مهربى إليك منى .

غيد:

حالك يقلقنى وأنت لا تكشف لى ما يقلقك ويمزنىك؛ ألسْتُ شريكَة

حياتك؟

أحمد:

دعى الحرائق والنيران لى واستمتعى أنت بحياتك .

غيد: وما حياتى إلا بك وما سعادتى إلا معك، فكيف أهنا وأنت حزين؟

وكيف أفرح وروحك أمامى باكية؟

أحمد:

أحتاج الهروب الآن فأنت طوفان حب أنا لا أستحقه .

أغلق أحمد الخط وهو يعرض على شفتيه ألما، واتجه إلى الأسفل فوجد الحاجة

تضع العشاء للحاج فنزل مسرعا من الدرج ليساعد والدته .

وبعد أن اكتملت المائدة قال:

البيت كبير جدا عليك يا أمى أعتقد أن علينا الاستعانة بخادمة لوقت

مؤقت .

ابتسم الحاج وقال:

مؤقت؟

أحمد:

حتى أتزوج أنا فتقوم زوجتي بأعمال البيت بدلا من أمي.

الحاج عبد الرزاق:

إذن فقد وافقت على الزواج بأحلام.

ترك الشوكة أحمد وقال بعد صمت قصير:

يا أبي أنا على علاقة بزميلة لي منذ أربعة أعوام وكنت أنتظر التخرج لأتقدم

لها؛ فهل من النبيل أن أخونها الآن؟

الحاج:

أعرف ذلك... يا ولدي أغلب الزيجات التي تمت بعد علاقة حب كانت

نهاياتها سريعة، فالحب يحجب عنا مساوئ من نحب.

أحمد:

لقد وثقت الفتاة بي يا أبي ولن أخيب ظننها، ثم إن القلب صار لها.

الحاج:

كل شيء قسمة ونصيب.

أحمد:

ونصيبني هي، وعليّ القتال للحصول عليها كما تقاتل هي.

انقطع الحوار على رنة جرس هاتف أحمد؛ لكنه تركه دون إجابة؛ لأنه

يعرف أن غيد لن تتحمل أكثر من دقائق حتى تتصل به؛ فقالت له والدته:

أجب على هاتفك فهو يرن للمرة الثالثة.

أحمد:

اتركيه لا مزاج لي للرد على أحد.

الحاجة وهي ساخرة:

وكيف لك القدرة على أن تتجاهل فتاتك التي منذ أن جلست وأنت تتغنى

بحبك لها.

نهض أحمد عن الطاولة وأخذ هاتفه واستأذن والده واستدار كي يصعد

الدرج وقد غضب من غيد لكثرة إلحاحها؛ لكنه فوجئ بأن الاتصال كان يرد

من هاتف أحلام لا غيد؛ فتوقف في مكانه والتفت إلى والديه وقال بخوف:

هذه أحلام تتصل.

نهض الحاج عبد الرزاق من كرسيه وقال:

أجب بسرعة لا بد أن طارئا ما حصل لها.

فتح أحمد الخط وقال:

نعم يا أحلام.

فرد عليه رامي بصوت منخفض وكأنه يهمس وقال:

يا عم تعال وخذنا أرجوك.

أحمد بطريقة كلها خوف:

هل حصل لكم شيء يا حبيبي؟

رامي وهو يبكي:

خالي مجيد تشاجر معنا وكاد أن يضرب أُمي؛ أرجوك تعال الآن وخذنا بسرعة.

أحمد:

سأتي الآن فوراً لا تخف يا حبيبي.

كيفه لقلبي أنه يحمله أنه يقسو عليك شخصه آخري

امتلاً قلب الحاج عبد الرزاق والحاجة سعاد بالقلق وخصوصاً بعد
سماعهم الحديث الذي دار بين أحمد ورامي؛ حث وقفا صامتين مترقبين ما
يرشح من حديثهما ليفهما الأمر.

اتجه أحمد إلى الدرج الكبير مسرعاً؛ فصرخ به الحاج:
تعال أخبرنا ما الذي جرى.

أحمد وهو يصعد الدرج بخفة:

يقول رامي إن أحلام تشاجرت مع مجيد وأنه تهجم عليها وعلى الأولاد.

بعد دقيقتين نزل أحمد فقال له الحاج:

قبل أن تذهب أريد أن أسالك سؤالاً.

أحمد:

تفضل يا والدي.

الحاج:

امرأة تشاجرت مع أخيها فما دخلك أنت بذلك؟

أحمد:

كيف لا دخل لي؟ أحلام أختي كما هي أخته، وأنا أعرف الناس بذلك

المتشدد والمضطرب عقلياً.

الحاج:

ليست أختك؛ هي ابنة خالتك فقط، ولا يحق التدخل بينهم فهم عائلة.

توقف أحمد وقال مستغربا:

لقد استنجد بي رامي يا والدي؛ وقال: تعال خذنا.

الحاج:

ولو أخذناهم ستسيء لأحلام أنت بذلك أكثر؛ فها أنت تدعوها للانتحار

ثانية.

فسحب كرسيًا من كراسي طاولة الطعام وجلس عليه وقال:

أرى أن الأمور تتعقد أكثر وأكثر؛ فما الحل؟

الحاج:

لا حل... عليهم التعود على العيش مع أخوالهم وستكون تلك حياتهم، كما

تحتم علينا أن نعيش حياتنا بلا هشام وأطفاله وزوجته.

ساد الصمت المكان فأخذ الحاج هاتفه وفتح مكبر الصوت واتصل بأحلام

فردت عليه فوراً:

أهلا بك يا عم.

الحاج:

أتمنى أن تكوني أنت وأطفالك بخير.

أحلام:

نحن بخير والحمد لله.

الحاج:

ساورني شعور بالقلق عليكم دون سبب.

أحلام:

لا تقلق يا عماء كل شيء بخير، والأطفال تناولوا عشاءهم وسينامون قريباً.

الحاج:

أريد رامى لأكلمه.

ترددت أحلام لكن لم يكن أمامها إلا أن تعطيه الهاتف فليست ممن يتقنون

الكذب.

رامى:

جدي تعال وخذنا الآن.

الحاج:

لم يا ولدي؟ تقول أمكم أنكم بخير وقد تناولتم عشاءكم وأنتم على وشك

النوم، وغدا سنزوركم بإذن الله فقد تأخر الوقت الآن.

هنا بكى رامى وبشدة وقال لجدته:

لم نتناول العشاء يا جدي؛ وأنا جائع جدا، ولا أريد البقاء هنا، وإخوتي

يكون، وأمى لم تترك البكاء، ولا مكان لنا هنا لننام فيه، أمى تكذب عليك يا

جدي.

لطمت الحاجة سعاد على وجهها وقالت: ويحي، أطفالي جوعى؛ سأذهب

إليهم الآن.

سمع الجميع أحلام وهي تنهر ابنها بالأخبار أحدا عما يجري في البيت وأن

ذلك تصرف لا يليق بطفل مؤدب.

قال الحاج لأحلام ما الذي حصل يا ابنتي؟ ليتك توضحى لنا الأمر.

أحلام:

حصل سوء تفاهم بيني وبين أخي مجيد وانتهى الأمر على خير فلا تشغل

بالك يا عم.

الحاج عبد الرزاق:
أترين أن هناك حاجة لقدمنا؟
أحلام وهي بحالة ارتباك:
لا لا أبدا يا عم... كل شيء على ما يرام
الحاج عبد الرزاق:
إذا احتجت أي شيء اتصلي بي وسأدعمك وأساندك.

كيف لعيني أن تفضو... وأنا أعلم أن هناك من يظلم أولاديه

أحضرت أم أحلام بعض الفرش القديمة ورمتها على الأرض وقالت
لابنتها بود:

أعتذر يا ابنتي سيكون منامكم هنا، وعند الصباح عليكم الاستيقاظ مبكرا
كي نعيد ترتيب الغرفة خوفا من قدوم ضيف.
قالت أحلام:

لا عليك يا أمي؛ فأنا أعرف الحال جيدا، وأعترف بأني سأكون عبءا
أضافيا على أبي وأخي مجيد.
أم أحلام:

أنت ابنتنا، ورعايتك والاهتمام بك مسؤوليتنا وواجب علينا.
كان الليل طويلا جدا على الحاج عبد الرزاق والحاجة سعاد؛ أما أحمد فكان
ليله الأطول؛ إذ راح ينوء تحت تأنيب الضمير؛ كان الصمت يسود البيت الكبير،
ولكن هناك صراخا في داخل كل فرد فيه نتيجة الحرائق التي طفقت تلتهم
أرواحهم بكل قسوة..

في الساعة السابعة نزل أحمد من غرفته؛ فوجد أمه جالسة على طاولة الطعام
الكبيرة يسار السلم وهي بحالة يرثى لها؛ فقال لها أحمد بطريقة تدل على التعب:
صباح الخير.

فقالت الحاجة سعاد بألم:

أي خير يا ولدي؛ فلم أنم الليل خوفا على أطفال أخيك.

أحمد:

وأنا مثلك يا أمي لم أنم من الخوف.

الحاجة سعاد:

كان علينا أن نذهب إلى بيت أحلام أمس؛ وإحضار أطفالنا إلى بيتهم.

أحمد:

كان لأبي رأي آخر؛ وأنا أو من بصحة تفكيره.

الحاجة سعاد:

ولكن لقلب الجدة رأياً آخر لا يقبل بكل المنطق الذي به تتكلمون.

في هذه الأثناء تدخل الحاج عبد الرزاق وقال:

عليكم التأقلم مع هذه الحال، أصبحت للأطفال حياتهم الخاصة وعليهم

تحملها والتعود عليها بما تحمل من مصاعب.

الحاجة سعاد:

لم أنم ليلي يا حاج.

الحاج عبد الرزاق:

وأمهم لم تحتمل فراقهم ساعات حتى أقدمت على الانتحار.

أخفض أحمد رأسه؛ لأن الكرة أصبحت في ملعبه الآن؛ فقد عرف الحاج

كيف يرسلها هناك وبإتقان.

أحمد:

ألم أقل لكم لتأتي أحلام وأطفالها وأغادر أنا المنزل.

صرخت الحاجة سعاد:

إلا هذه يا ولدي؛ فأنت آخر ما تبقى لي.

الحاج عبد الرزاق وهو يستدير باتجاه غرفته:
أمامكم عشر دقائق للتجهز؛ أريد زيارة الأطفال.

الحاجة سعاد:

وفطورك؟

لست بحال تسمح لي بالأكل؛ أريد الاطمئنان عليهم أولاً.

في الثامنة صباحاً دخلت أم أحلام -وهي مرتبكة- إلى الغرفة الصغيرة والتي تسميها غرفة الضيوف؛ حيث افترشت أحلام وأطفالها الأرض بعد أن اضطروا للإخراج إحدى الأرائك القديمة الموجودة فيها ليتسع المكان لأرجلهم. أخذت أم أحلام توظف ابتهاجاً شديداً؛ حيث كانت تصرخ بصمت انهضي... انهضي.... وأحلام ملاًها رعب ووقالت لها:

ما الذي جرى؟ أخبريني.

أم أحلام:

خالتيك سعاد وزوجها في البيت، انهضي أرجوك بسرعة كي يجلسوا فهم ينتظرون نهوضك.

كان باب غرفة الضيوف مفتوحاً، ومنظر المرأة وأطفالها المزري يتراقص أمام نظر الحاج عبد الرزاق وزوجته؛ حيث قدم الواقع المر تقريراً كاملاً عما يعيشه أحفاده في هذا البيت؛ ناهيك عن تعامل إخوتها الجاف معها.

استقبلت أحلام عمها وهي تحاول ترتيب مظهرها قدر المستطاع؛ إلا أن وجهها الشاحب وارتباكها كان كالمرشح الكبير الذي لا يملك ستارة تستر حقيقة الممثلين قبل التمثيل.

قبلت يد عمها واتجهت إلى يد خالتها؛ وما إن رفعت نظرها عن يد خالتها حتى كان أحمد يقف أمامها مباشرة؛ فسلمت عليه بابتسامة خجولة وأنهت سلامها بكلمة... (أخي).

كان رد أحمد يحمل نكهة الخصام من جهة ونكهة الألم والشفقة من جهة أخرى.

رفعت أحلام أطفالها الذين ما زالوا يغطون في نوم عميق على الأريكة؛ أما شمس فقد ضمتها لصدرها وهي نائمة إذ لم يعد هناك مكان لها إلا ذراعيها.

جلس الجميع في غرفة الضيوف؛ فجاء أبو أحلام وهو يرحب بهم بشدة وهو يقول:

هذه أحلى مفاجأة منذ سنوات.

والتفت إلى أم أحلام وقال مخاطبا إياها بحماس:

أعدي الفطور بسرعة يا امرأة.

قاطعها الحاج عبد الرزاق مخاطبا:

أكتفي بشاي من يد أحلام؛ فهو يغني عن كل ما في الدنيا من طعام.

أحلام وقد عادت بعض النضارة لوجهها:

أنت تأمر يا عم؛ سأعد الفطور مع الشاي.

بعد نصف ساعة من المجاملات والأحاديث العامة جاء الفطور؛ الذي

كان عبارة عن صينية كبيرة ممتلئة بكل ما يمكن توقعه من طعام فقال الحاج

مندهشا:

يا جماعة هذه وليمة وليست فطورا.

رد عليه أبو أحلام:

الطعام المضمار الوحيد الذي يمكن لنا فيه منافسة كرم الحاج عبد الرزاق؛
أما باقي المجالات فأعترف لك بتقصيري.

الحاج عبد الرزاق وقد أخذته نوبة من المشاعر :

أنت أكرم من عرفت يا أخي؛ وما المال إلا إلى زوال ولكن يبقى ذكرنا
الطيب فقط؛ ثم إنك تكرمت عليّ بتفضيلك ولدي هشام على باقي الخطاب
لأحلام وذلك فضل لا يمكن رده ولو بأموال الدنيا.

أبو أحلام:

أتشرف بأخوتك يا حاج.

هنا فتح رامي عينيه؛ فجاء يمشي كالسكران الثمل وهو يتمايل باتجاه جده
وكله لهفة؛ فصاح به الجميع: احذر إبريق الشاي أيها الصغير.

ارتقى رامي في حضن جده وحول ثوبه الأبيض الناصع (الدشداشة) إلى
أرجوحة حيث جلس بين فخذه كعادته.

جلس الجميع على الأرض وكان الحديث ودياً تماماً؛ إلا أن الحاجة سعاد
اتجهت إلى المطبخ و سحبت أحلام وهمست في أذنها:

ما الذي جرى أمس؟

قالت لها أحلام مستفسرة:

وكيف عرفتم أن شيئاً ما حصل هنا؟

الحاجة سعاد:

اتصل بنا رامي من هاتفك وطلب منا إنقاذكم من مجيد، وأخبرنا أنه كان

سيضربك.

أحلام:

أف كم هو متمرّد هذا الصغير!!!!

قال أبو أحلام وهو يخاطب الحاج عبد الرزاق:

عشنا عمرا طويلا يا أخي وصار كل واحد منا يعرف الآخر كما يعرف نفسه؛ وزيارتكم اليوم في هذا التوقيت تحمل أكثر من علامة استفهام؛ فقل ما في قلبك من كلام ولا داعي للحرج.

اعتدل الحاج عبد الرزاق واحتضن حفيديه اللذين تقاسما فخذيه وقال:

يا أخي الكريم؛ قد تفضلت عليّ بمنحك إياي ابنتك زوجة لولدي؛ وفي بيتي لم يحدث أي تجاوز مني أو من أولادي أو خالتها تجاهها؛ حتى صارت أعز وأغلى من ابنتي نجلاء؛ ففضى الله برحيل ولدي هشام؛ فجئت تطالب بها، وما منعك إياها؛ وبذلك أبرأت ذمتي أمام الله؛ فهل قصرت معك يوما أو مع ابنتك؟

أبو أحلام:

وأنا أشهد بصواب وصحة ما قلت؛ فقد حفظت الأمانة وأكرمتها وقدمت لها ما لم أقدم لها من رعاية.

الحاج عبد الرزاق:

وقد كان لنا الحق برعاية أطفال ولدي، ولكن شفقتنا على قلب أمهم، وحبنا الكبير لها جعلنا نقبل أن يرافقها أطفالها حيث تكون؛ وتنازلنا عن حق حضانتهم وتربيتهم.

أبو أحلام:

وأنا أشهد بذلك أيضا.

أنزل الحاج عبد الرزاق حفيديه اللذين كانا يتربعان على فخذيه؛ ودفع بها إلى أبي أحلام الذي يجلس تقريبا بجانبه وقال له:

وهؤلاء أمانة اليوم في عنقك يا أخي؛ فترفق بهم، واحمهم من كل سوء وشر.

احتضن أبو أحلام أحفاده ودمعت عيناه وقال وهو مخنوق بعبرته:
هم أعز عندي حتى من أولادي.

هنا تدخل مجيد برعونته المعهودة وبصوته العالي وأسلوبه الهمجي وقال:
يا خال أحفادك مشاكسون ومتعبون، وقد قلبوا البيت بصرّاخهم
وضجيجهم، وليتك توصيهم أن يحترموا الكبار؛ وألا يتجاوزوا في الكلام عند
مخاطبتهم.

غيرت ملامح الحضور جميعاً؛ وكل حسب تلقيه الكلام، أحلام وأبوها
وأما أصحابهم الرعب من تصرف ابنهم الأحمق؛ بينما بدا الحق واضحاً على وجه
الحاجة سعاد وأحمد، أما الحاج فلم يستغرب، وكان أهدأ الجميع؛ فبادر بالرد كي
يقطع الطريق أمام زوجته وابنه عن الرد الانفعالي الذي توقعه منهما:
هم كحال أي أطفال في عمرهم يا ولدي؛ وأنا متأكد أنك تتفهم
تصرفاتهم؛ فأطفالك تقريبا في نفس العمر.
رد مجيد متهكماً:

لا يا حاج؛ أطفالنا مؤدبون جداً؛ ولا يتصرفون كما يتصرف أحفادك؛
بالأمس تطاول رامي عليّ وعلى من في البيت.

حاول أحمد الرد؛ لكن الحاج سبقه بالرد موجهها كلامه إلى رامي وقال:
ذلك أمر غير مقبول يا ولدي؛ عليك احترام جدك وأخوالك.
عندها بكى رامي وقال:

إن كنت قد أخطأت في حقّه فصرخ بي؛ فما خطأ شمس حتى كاد أن يضر بها؟

انتفضت الحاجة سعاد على غير عاداتها وصرخت به:
أتضرب طفلة لم تبلغ العامين أيها الحقيير؛ ليتك تثبت رجولتك على من
بحجمك أيها الثور، لا على حفيدتي، أقسم أنها لن تبقى هنا بعد الآن.
أخذت أحلام ترتجف، ولم تعرف بماذا ترد، وكذلك كان حال والديها
المسكينين؛ فرعونة ابنهم أخرجتهم حد الصمت.
قال الحاج قبل أن يرد مجيد الذي أخذ الشرر يتطاير من عينه مخاطبا الحاجة:
وهل تصدقين أن إنسانا طيبا مثل مجيد يرتكب فعلا أحمق كهذا؛ إنما هو
سوء فهم ليس إلا.

ثم توجه بحديثه إلى أبي أحلام الصامت خجلا وقال:
أنا أرى أن ضيق المنزل سيولد مشاحنات كهذه وذلك أمر طبيعي؛ لذلك
أقترح أن نستأجر منزلا لأحلام وأطفالها قربكم؛ وننهي هذا الاحتكاك.
رد أبو أحلام بعد أن ألزمه الحاج عبد الرزاق الجواب:
فكرة حسنة يا أخي؛ لكنك تعرف حالتي المادية.
قاطع الحاج عبد الرزاق ممسكا إياه من يده:
أعرف ذلك؛ جد أنت البيت المناسب لها، وأنا سأتكفل بإحضار الأثاث
كاملا، وسأدفع الإيجار الشهري، وسأمنح أحلام راتبا إضافيا مع راتب هشام
التقاعد؛ وهكذا ستعيش مكتفية.

ساد الصمت الغرفة حتى كسرتة الحاجة سعاد وقالت:
لا آمن على أولادي هنا.

انفجر مجيد بعد استفزاز خالته وقال:
لن يمكثوا هنا طويلا وسيعودون قريبا إليك يا خالة فلا تقلقي.

ارتبك أبو أحلام وأمها من جواب ابنهم؛ وراحت أمه تسحبه لتخرجه إلى خارج الغرفة؛ بينما أكملت الحاجة استفزازها له:
وهل ستقوم بطردهم أيها البخيل.
استدار مجيد ونظر في عيني خالته التي بادلتها نفس نظرة التحدي وقال:
بل ستتزوج أحلام؛ وحينها سيعودون إليكم قريبا.
عندها انتفض الحاج عبد الرزاق في وجه أبي أحلام:
أتسايرني باقتراحي بإيجار البيت وأنت تعد لزواج ابنتك؟ لم أتوقع هذا منك أبداً.

أبو أحلام:

لا يا أخي؛ هذا مجرد اقتراح اقترحه أحد إخوتي، وطلب يد أحلام لأحد أبنائه.
هنا انتفضت الحاجة سعاد ثانية وبحرقة أكبر:
أين عصيتك أيتها الزوجة الوفية؛ أم أن ابن عمك هو أفضل من أحمد عندما فاتحك عمك بالزواج منه كي تعود ليبيتك ونربي أطفالنا هناك؟
كانت أحلام تبكي طوال الوقت، وكررت قسمها مرات عدة أنها لا تعرف عن هذا الموضوع أي شيء.

نهض الحاج عبد الرزاق وقال لأبي أحلام:

أعلم أن إخوتك سينالون ما يريدون منك؛ وهذا ما كنت أتوقعه من بداية استشهاد ولدي؛ لذلك طالبت أن نحتضن الأطفال، والآن أصبح لزاماً أن نأخذهم.
ما إن أنهى الحاج كلامه حتى نهضت الحاجة سعاد، وانتزعت شمس من أمها التي كانت لا تفعل غير البكاء والرجاء، واقتاد أحمد الغاضب رامي وخرجوا جميعاً دون حتى وداع.

صباحي بوصلائك غابضُ وانه كان بعدا فروحي الصعراءُ

استغربت غيد كثيرا تأخر أحمد عن المحاضرة؛ فقد تعودت منه الالتزام في الأونة الأخيرة والدقة في المواعيد؛ جاءت كل من شهد وبعض زملائها فقلن لها:

الساعة الثامنة وستبدأ المحاضرة علينا التوجه إلى القاعة.
رمت غيد شباك بصرها علها تصطاد أحمد؛ إلا أن شباكها -مثل كل مرة- عادت تحمل الخيبة فقط؛ فقالت:

ألا تنتظر قليلا؟

مدت شهد يدها وأنقضتها وقالت:

إن كانت لديه نية القدوم فسيلحق بنا إلى القاعة.

ضحك جميع الزملاء؛ فشعرت غيد بالإحراج وقالت متغابية:

ومن هو؟

عاد الجميع للضحك؛ فقالت ميار:

الجامعة كلها تعرف انك تنتظرين أحمد أيتها الذكية.

ومدت يدها لتمسك بذراعها الثانية وسحبها باتجاه القاعة.

في الطريق قالت ميار:

ألم تتصلي به؟

غيد:

ذلك الأحق تغير كله إلا تلك الصفة السيئة بعدم الرد على الهاتف لم تتغير.

كان الوقت كالسيف يقطع تصبر تلك المسكينة؛ فلم تجد بُدًا من أن تخرج هاتفها خفية وراحت تتصل بأحمد؛ ولأنه لم يُجب أرسلت إليه أكثر من رسالة توبخه تارة، وتترجاه تارة؛ وكأنها مجنونة تنتقل بين الضحك والبكاء في لحظة دون أي سبب.

فقدت الشعور بالمكان من شدة التفكير بحبيبتها؛ فلم تشعر إلا والدكتور المحاضر يقف وراءها وهو يسألها:

ما هذا يا غيد؟

لم تجد غيد ما ترد به فقد أجمها الخجل.

أكمل الدكتور المحاضر كلامه:

إن كنت غير مهتمة بالمحاضرة فلست مجبورة على الحضور.

فهمت بدورها أنها غير مرغوب فيها في القاعة؛ فأخذت أوراقها وخرجت

وهي تحاول إخفاء دموعها من أن تنسكب أمام الآخرين.

بعد انتهاء المحاضرة خرجت صديقتها الوفيتان باحثتين عنها في النادي

الطلابي فلم تجدها؛ فقالت شهد:

ربما نجدها....

وقبل أن تكمل ردت ميار:

أكيد ستكون هناك.

فاتجهتا مباشرة إلى المكان التي تعودت أن تحتلي هي وأحمد فيه؛ وبالفعل

كانت هناك تبكي بحرقة؛ فجلست الفتاتان: واحدة عن يمينها والأخرى عن

يسارها صامتتين؛ احتراماً لطقوس الحنية والحزن اللذين تعاني منهما غيد.

شهد:

أنت تبالغين في حبك لأحمد.

لم تجب غيد، ولكن ميار أكملت ما بدأته صديقتها:
أحبيه قدر ما تريد، ولكن لا تتأثري إلى هذه الدرجة أيتها الحمقاء.
شهد:

الرجال يعشقون الأنثى التي لا يمتلكونها.

ميار:

عليك أن تهتمي بمحاضراتك كما كنت تنصحين أحمد.

كل هذا وغيد صامته، ثم قطعت حديثها بتنهيدة حارقة وقالت:

صدق أحمد حين قال عنكما إنكما عانستان، ولم تجدا من يعشقكما.

وأتبعت ذلك بضحكة كبيرة من كل قلبها.

أمسكت ميار برقبتها، بينما راحت شهد تكيل لها الضرب على رأسها وهما

يشتمانها بكل أنواع الشتائم.

لا أعلم الغيب... ولكن أعلم ما تحمل بين طياتها عاداتنا المقيتة.

صعد الحاج وعائلته جميعا بمن فيهم أطفال هشام؛ بينما تبعه أبو أحلام محاولا تطيب خاطره، لكن الحاج لم يكن يرد عليه قط لشدة ما شعر به من حنق، وكان رامي يقول لجده:

يا جدي أريد أن تأتي أمي معنا.

انطلق أحمد بسيارته مسرعا تاركا أبا أحلام بلا أي وداع.

راح رامي يكرر على جده :

يا جدي، لقد نسينا أمي هناك، علينا العودة وأخذها.

لكن جده كان صامتا عابس الوجه لا يأبه له ولا لغيره؛ بينما راحت الحاجة سعاد تكيل الشتائم لمجيد وأبيه؛ وحتى لأختها التي كان عليها أن تخبرها بما يخططون له؛ بدلا من أن يقوموا بخداعهم.

قال أحمد لأمه:

كفى يا أمي، ونظر إلى أبيه وقال:

أقسم كأنك تعلم الغيب يا أبي؛ أتذكر عندما أردتُ إرجاع شمس إلى أحلام ليلا وقلت لي: إن هذا هو الصحيح؛ لأنهم سيزوجون أحلام.

رد الحاج:

لا أعلم الغيب يا ولدي، ولكني أعلم العادات المقيتة؛ يعتقدون أن المرأة عار؛ وأنها عندما تكون مطلقة أو أرملة لا تستطيع أن تحبى بلا رجل، وتصبح عرضة للتحرش وللمتصيدين؛ فيسارع أهلها إلى لتزويجها لأول شخص يتقدم إليها.

صرخ رامى:

لن تتزوج أمى أى شخص.

ردت الحاجة على حفيدها:

بل سيزوجها أبوها لأحد الحمير من أبناء عمومته.

أخذ رامى ييكي ويصرخ على جدته:

لا... لا لن أسمح لهم بتزويجها.

صاح الحاج بصوت عال:

يكفى، لا أريد الكلام فى هذا الأمر مرة ثانية.

سكت الجميع حتى وصلوا إلى البيت .

دخلوا البيت فارتقى الحاج بجسده على الأريكة الكبيرة فى باحة المنزل

وجلس أحمد قريبا منه وهو يحرك فخذه بقوة دليلا على غضبه وقال:

كان علي أن أطم ذلك الأرعن مجيد؛ لكن تحملته احترامك يا والدي.

الحاج عبد الرزاق:

الرجل الحقيقي هو من يكظم غيظه؛ ولا يسمح لخصمه بأن يستفزه

ليستعمله فى وقته الصحيح.

وقف رامى أمام جده وعمه أحمد، وقال بصوت منخفض:

أريد العودة لأمى.

صرخ فى وجهه أحمد:

أو ليس أنت من اتصل بي يوم أمس تطلب منا إنقاذك؟

رامى:

نعم.

أحمد: وها نحن جئنا بكم إلى بيت جدكم الحقيقي.

رامي:

ولكن أُمي ليست معنا.

الحاج عبد الرزاق:

تعال يا ولدي إليّ.

احتضنه وقبّله، وقال له:

هذه سنة الحياة؛ عندما تموت زوجة أحدهم عليه التزوج بأخرى؛ وعندما

يموت زوج المرأة عليها أن تتزوج بأخر.

رامي بثقة وقوة وقد استدار ووضع وجهه في وجه جده وقال:

يعني لو كنت مت قبل أسابيع لتزوجت جدتي؟

صرخت الحاجة سعاد:

يا ساتر يا رب، ما هذا الفأل السيء؟؟؟؟!!!!

ضحك الحاج وقال:

جدتك امرأة لا تصلح للزواج.

رامي:

لم لا تصلح للزواج؟

الحاج عبد الرزاق:

لأنها عجوز.

رامي:

بل على العكس ليس لديها أطفال ترعاهم هي تصلح أكثر من أُمي.

احتضن الحاج عبد الرزاق حفيده وقال:

ستفوق أباك وعمك ذكاءً يا ولدي.

رامي :

لم تجب على سؤالي.

راح الحاج يضحك طويلا وبقوة وبعد أن هدأ قال:

نزوجها إذن إن كان ذلك يريحك.

لم يتفاعل رامي مع ضحك جده وبقي متحجر الملامح رغم ملاحظه

الطفولية الرائعة وقال:

عليك سؤال عمي أحمد إن كان يقبل بذلك؛ والتفت إلى عمه وسأله:

هل ستقبل أن تتزوج أمك بعد موت جدي رجلا آخر؟

أحمد:

لو كان الأمر بيدي، لا طبعا. ولكن إن كان الأمر بيد أخوالي مثلك فليس

بيدي حيلة.

قفز رامي من حضن جده واتجه إلى الطابق العلوي حيث غرفتهم السابقة

وأغلق الباب.

ربما يصمت قلبك عن النبض في بعض الأعداء التوقف عن النبض أبلغ.

استأذن أحمد من والده لأن لديه عملا كثيرا في الشركة؛ فقالت الحاجة

سعاد:

لم أطبخ شيئا اليوم بسبب زيارتنا لبيت خالتك، فأحضر لنا طعاما جاهزا
ولتتناول غداءنا معا، ومن ثم افعل ما تشاء.

نظر أحمد إلى ساعته فوجدها تجاوزت الثانية عشرة؛ فوجد نفسه ملزما بما
كلفته والدته به؛ فhez رأسه بالإيجاب وغادر على الفور.

بعد نصف ساعة عاد محملا بكل الأطايب من المأكولات ووضعها على

طاولة الطعام فصاحت الحاجة به:

وهل يقدم الطعام هكذا أيها الكسول؟؟؟

رد أحمد بيديه ولسانه:

اليوم نحن في استراحة من قوائيك الصارمة، دعينا نأكل كما نريد ولو لمرة واحدة.

وقبل أن ترد عليه نهض الحاج من الأريكة وتوجه إلى الطاولة وقال:

معك حق يا أحمد، ربما علينا أن نقوم بثورة.

ضحك الاثنان بينما ازداد حنق الحاجة، وردت:

الآن صرْتُ (قيدا) يا حاج... أغضبتني منك.

الحاج وهو يبحث في الأكياس:

نادي على أحفادك بدل هذا الجدل الذي لا يملأ البطون.

صعدت الحاجة الدرج الكبير الذي يتوسط باحة الجلوس وطاولت الطعام

وهي تهمهم بكلمات غير مفهومة.

أحمد:

يا حاج هذا الطعام ليس لك، طعامك في ذلك الكيس؛ ما تأكل مضر لك
ولصحتك.

الحاج:

اشتقت لهذا الطعام، دعني أكل قليلا قبل قدوم المسؤول عن طعامي حينها
لن أتناول أي شيء.

صرخت الحاجة من فوق السلم:

اختفى الأطفال، لا أجدهم في أي مكان.

ترك أحمد ما بيديه وقفز يتسلق السلم كل درجتين بقفزة؛ بينما طفق الحاج
يقول ويكرر: يا رب سترك.

نزل أحمد وقال لوالده:

لا أجد أي أحد.

فقال له الحاج:

مؤكد أنهم في الحديقة يلعبون.

نزلت الحاجة من السلم ببطء بينما قفز أحمد ثانية وراح يركض وتبعه الحاج
وهو يكرر قوله:

يا رب الطف بنا.

كان كل شيء في الخارج هادئا ولا وجود للأطفال هناك.

قال أحمد متى رأيتهم آخر مرة؟

قالت الحاجة متلعثمة: عند خروجك تركتُ شمس عند والدك ودخلت
المطبخ.

التفت أحمد إلى والده وكأنه يقول: أكمل ما بدأت به أمي:

فقال الحاج:

نعم أخذتُ شمس لكنها غفت بين يديّ فوراً فوضعتها على الأريكة
بجانبي وأنا غفوت أيضاً لأنني تعب ولم أنم منذ ليلة أمس.

أحمد:

أين ذهبوا إذن؟

وما إن أكمل أحمد جملة حتى أشار الحاج جهة قلبه وصار يتنفس بصعوبة؛
فصرخت الحاجة، بينما أمسك أحمد والده وأخذه باتجاه السيارة ليتوجه به إلى
المستشفى القريب منهم.

كيفه لجسد أم أنه يحيا وقد سلبت روحها بسلب أطفالها؟؟؟

جلست أحلام تبكي وبحرقه عكس المرة الأولى التي أخذ أطفالها منها؛
بينما راح مجيد يتهددها ويتوعدها؛ أما أبو أحلام فقد جلس صامتا وهو يستمع
لجدال أحلام وأخيها.

وبعد أكثر من ساعة من الجدل العقيم، راحت أحلام تصرخ:
أريد أولادي الآن.

ثم اتجهت وجثت على ركبتها وهي تبكي وتصرخ أمام والدها الجالس على
الأريكة القديمة والصغيرة في غرفة الضيوف وتقول:

أبي أنت الوحيد الذي يفهمني ويحيني في هذا البيت؛ أرجوك أريد أطفالتي.
لم يجد الأب غير الدموع ليرد على مطلب ابنته.

ثم انتقلت إلى أمها الواقفة وأمسكت يدها وراحت تقبلها وهي تقول:

أنت أم وتعرفين معنى أن ينتزع من أم أطفالها، أرجوك كلمي خالتي
واطلبيني منها أن تعيد أطفالتي لي.

طُرق الباب بقوة؛ لكن أحدا لم يكن مهتما بذلك الطارق، فعاود الطارق
عدة مرات فنهض حميد الطالب الجامعي وهو يتلفظ بالسب والشتائم على ذلك
الذي خلف الباب، وراح يحدث نفسه:

ألا يكفيني ما نعاني من صراخ من كل من في المنزل حتى يزورنا ضيف آخر

ليحتل غرفة الضيوف التي هي ملاذّي الوحيد للقراءة؟

فتح الباب ووجه متجههم، لكنّ ملامحه تحولت من التجهم إلى الدهشة، وراح
يصرخ بأعلى صوته وهو المعروف بعدم تدخله بأي شيء:
أحلام... أحلام تعالي بسرعة.

انفضت أحلام واتجهت إلى أخيها الذي راح يصرخ كالمجنون لتجد عند
الباب رامى يحمل شمس بينما أمسك سامر بذراع أخيه.

لم تصدق ما رأت عيناها فاحتضنت أطفالها وراحت تبكي بفرح شديد؛
فاختلط ذلك الدمع المالح بدمع كالسكر من عينيها الواسعتين وهي تقبل أطفالها
وتشمهم شماً وتصرخ بأعلى صوتها:

يا رب أنت الأكرم... يا رب أنت من ترحم حالي... يا رب احم أطفالى من
كل من حولي.

تجمع الجيران وهم مستغربون؛ حيث كان لضيق الزقاق و تحاشد الأبواب
وتقاربها الدور الفعال بإيصال صوت أحلام إلى كل من في الزقاق.

حاول أبو أحلام إدخالها إلى الدار لكنها تحولت إلى قطة متوحشة تخاف على
أطفالها من أي شيء حولها؛ فاحتضنت أطفالها أكثر ورفضت أن يقترب منهم
أحد.

بعد أن تجاوزت أحلام صدمة رؤيتها لأطفالها انتبهت لتجمع الناس من
حولها فشعرت بالخرج فاستجابت لطلب والدها بالدخول للمنزل؛ بينما راحت
تبرر أمها سبب هذا الموقف وتقول:

غن أهل زوجها قد سلبوها أطفالها اليوم وهاهم قد عادوا لها هارين.
دخلت وهي تحتضن أطفالها إلى غرفة الضيوف فاستقبلهم مجيد بوجهه
الغاضب وقال:

من سيرعى هؤلاء بعد أن تتزوجي بابن عمك حسن؟
ردت عليه أحلام وبخزم:

لن أتزوج أي أحد؛ هشام زوجي الوحيد وسأبقى وفية له ما حييت.
حاول مجيد أن يجادل أحلام فصرخ به أبوه:

اخرس... يكفيننا ما نلنا اليوم من دموع وبكاء، اترك أختك في حالها
واذهب إلى غرفتك، واحمد ربك أن عائلتك ما زلت تملك أبا يرعاهها.
بعدها وجه كلامه بعصية إلى رامي:

كيف غير الحاج عبد الرزاق رأيه بهذه السرعة؟
لم يجب رامي، لكن السؤال حير أحلام التي أعادته بطريقة أخرى:
من أوصلكم إلى باب البيت؟

سكت رامي أيضا، لكن سامر الصغير قال وبزهو:
لقد جئنا بمفردنا يا أمي.

كررت أحلام سؤالها ثانية ولكن بلهجة أقوى وأشد:
كيف وصلتكم إلى هنا؟

قال رامي وهو يعرف أنه ارتكب فعلا خطيرا:
استأجرنا سيارة أجرة.

أحلام وهي لا تكاد أن تصدق ما يقول:
ومن استأجر لكم السيارة.

رامي:

أنا.

وكيف قبل بذلك جدك وجدتك؟

رامي:

هم لا يعلمون بنا.

أبو أحلام:

هذا يعني أنكم هاربون الآن؛ يا ويلي، هذه مصيبة.

أحلام:

سيموت عمي إن عرف باختفائهم.

تركت ابنتها وراحت تفتش عن هاتفها لكنها لم تجده فراح الجميع يبحث

عنه وفي كل مكان.

أنا بينو غيايزو...
بينو أنو أموتو هنا...أو أنو أموتو هناك.

دخل الثلاثة الطوارئ؛ فقال الحاج اذهب وابحث عن أولادي يا بني لا أريد أن أموت قبل أن أراهم.

أحمد:

سأجدهم يا أبي أعدك بذلك، لكن المهم الآن أن نطمئن عليك.

فحص الطبيب الحاج عبد الرزاق وقال:

لا تخف، مجرد شد عصبي، سنعطيه حقنة مهدئة، فقط الأمر بسيط جدا.

الحاج:

أما سمعت قول الطبيب؟ هيا اذهب وابحث في كل مكان ولا تعد إلا وهم بين يديك.

وقبل أن يجيب أحمد أباه، رن هاتف وكانت المتصلة هي أحلام؛ تردد أحمد قبل الرد فقال له الحاج أجب يا بني بسرعة.

أحمد:

هذه أحلام يا أبي.

الحاج أجبها إذن وبسرعة.

أحمد وما سأقول لها؟ اختفى أطفالك.

أدار وجهه أسفا على ما حصل.

أحمد:

لن أجييها إذن.

أخذت الهاتف الحاجة سعاد منه وقالت:
سأجيبها أنا وإن سألت عن أطفالها سأقول لها إنهم في نزهة معك.
أحمد:

لكن الهاتف هاتفي.
الحاجة سعاد:

ألا ينسى المرء هاتفه خصوصا وأن أحلام أكثر الناس معرفة بخبيتك
وإهمالك لحاجياتك.

ردت الحاجة بقوة:

نعم ما تريدين؟

أحلام ودون مقدمات:

رامي أحضر إخوته وهم الآن معي فلا تقلقوا.

صرخت الحاجة ما جعل الحاج عبد الرزاق يستقيم في جلسته:

ماذا الأطفال عندك؟ كيف تسرقينهم أيتها الماكرة؟

أحلام:

أقسم أني لم أخطفهم، بل جاءوا بملء إرادتهم.

الحاجة:

سنبلغ الشرطة بخطفكم لهم.

الحاج:

يا امرأة ما الذي حصل؟ أفلقتني.

الحاجة سعاد:

الأطفال في بيت أهل أحلام.

أحمد:

مستحيل أن يفعلوا ذلك، لو أرادوا منعنا من أخذهم لاستطاعوا ونحن

بيتهم.

الحاج:

أختك وزوجها يريدون التخلص من أحفادنا ليتمكنوا من تزويج ابنتهم.

أحمد:

دعونا نذهب ونتعرف إلى ما حدث منهم شخصيا.

نهض الحاج فقال له أحمد موضحا:

يا أبي أرى أن نذهب أنا وأمي فقط لنفهم ما جرى، أما أنت فحالتك

الصحية لا تحتمل رعونة مجيد وغيره.

الحاج:

وكيف أتركك تذهب وحدك هناك يا ولدي؟ وها أنت تقر برعونة ذلك

الأحمق مجيد.

الحاجة:

أرجوك يا حاج.

الحاج انتهى الكلام ولا أريد مزيدا من الجدل.

كيف أعدك؟ ألا أعود إليكم حضرة أمي

طُرق الباب فقال أبو أحلام يخاطب من في الدار جميعاً:
مؤكد أن هذا الحاج عبد الرزاق، وربما أحضر معه الشرطة، أريد منكم
ضبط أعصابكم وسأتصرف أنا معهم.
فتح أبو أحلام الباب لكنه فوجئ بأن الحاج جاء بلا شرطة؛ فقال له بعد
الترحيب:

توقعت أن تكون الشرطة برفقتك يا حاج.

الحاج:

وهل تنتظر من رجل تعود المعروف أن يسيء لأحد؟ فما بالك أن يكون
ذلك الرجل هو أخوه؟
احتضن أبو أحلام الحاج الأطول منه، فما كان من الحاج إلا أن بادلته
بالحضن والترتيب على ظهره وأكمل:
لا عليك يا أخي، فرغم تقصيرك بإخفائك خطوبة أحلام إلا أنك تبقى
أخاً أعتز به.

استغرب أحمد وأمه هذا اللقاء الحميم بين الرجلين وهما اللذان توقعا أن
يكون هناك شجار بينهم.

دخل الجميع فاخْتبأ رامي وسامر خلف أمهما بينما استقبلتهم أحلام بالقسم
أنها لا تعلم بمقدمهم ولم تتصل بهم حتى.

قال الحاج وهو يجلس على الأريكة الصغيرة والقديمة نسيباً:

أعلم ذلك يا ابنتي، ولا داعي للقسم فأنا أعرف أنك لا تكذبين أبدا.
وتوجه بكلامه إلى رامي مخاطبا:

أتتوقع أن أعاقبك وأنت ابن الغالي هشام؟... تعال يا بني.

كان رامي ما يزال خائفا وخجلا في نفس الوقت، فاحتاج أن تدفعه أحلام
برقة الأم حتى توصله إلى جده الذي رفعه ووضع على فخذه كعادته وقبله على
جبينه، وخاطبه بصوته الوقور وبطريقة كلامه الدافئة:

كان عليك أن تطلب منا إحضارك فقط ونحن نلبي طلبك على الفور.
رامي وهو خافض رأسه:

لو علمت بنيتي للذهاب إلى أُمي لما قبلت، ومؤكد أن الرفض سيكون ردك.

اقترب أحمد من خلفه ومن جانب الحاج عبد الرزاق وقال لرامي:

بسبب اضطررنا إلى زيارة المستشفى لأن جدك كان قلقا جدا عليكم لأنه
يجبكم ويخاف عليكم.

الحاج عبد الرزاق:

أريدك أن تعدني ألا تكرر ما فعلت أبدا.

أخفض رامي رأسه وبقي صامتا ولسان حاله يقول: (لا أعدك).

الحاج وهدوء ولين:

أراك صامتا يا ولدي ولا تحيب، وكأنك لا تريد أن تمنحني وعدك؟

رفع رامي رأسه ونظر في عيني جده نظرة اعتذار واحتضن جده وقال باكيا:

لم تريدون حرماننا من أمنا يا جد؟

صمت كل من في الغرفة؛ فقد أفحمت دموع الطفل وبكاؤه عقولهم

فأعجزتهم عن الرد؛ ليتحول المكان لمحراب مقدس تصمت فيه كل الألسنة.

انقطع ذلك الصمت على طرق للباب تبعه دخول عمّا أحلام وأبناء
عمومتها؛ وبعد السلام قال العم الأكبر أبو عمار مباشرة:
جئنا بعد أن اتصل بنا مجيد لنضع النقاط على الحروف ولنحدد مصير ابنتنا،
وما سيؤول إليه مصير أطفالها.

نظر أبو أحلام إلى مجيد باحتقار وأدار نظره إلى أخويه وقال:
أتمنى تأجيل الحديث؛ فابنتي تعبئة وتمر بحالة نفسية مزرية.
أبو عمار:

بالعكس الحديث في وقته، وخصوصا بحضور جد الأطفال وعمهم.
نظر أبو أحلام إلى الحاج عبد الرزاق وكأنه يريد أن يعرف رأيه.
فقال الحاج عبد الرزاق:

لا بأس؛ لنستمع إلى أبي عمار، ولنعرف بما يرغب إخبارنا به.
أبو عمار:

يا حاج أنت خير من يعرف بحدود الله وما تقره أعرافنا وتقاليدنا؛ وأحلام
الآن أرملة وبلا رجل، والكل سيطمع بها؛ لذلك علينا تزويجها والستر عليها.
ترك رامى جده واتجه إلى أمه ووقف أمامها وقال:
أنا رجلها ولن أقبل بأن تتزوج أمي أي رجل آخر.
ضحك أبو عمار وأخوه ساخرين من قول رامى الطفل، ونظرا إلى أبي
أحلام والحاج عبد الرزاق:

ليس هو إلا طفل لا يفقه ما يقول ولا يعرف معنى الزواج.
أحلام:

بل هو رجل وابن رجل حقيقي؛ بذل روحه دفاعاً عنكم وعن أموالكم وأعراضكم، وجزاؤه الآن أنكم تقسمون زوجته وأطفاله؛ أفلا تستحون من روحه التي تراكم وتسمعكم.

أبو عمار موجهها خطابه لأبي أحلام غاضباً:

كيف تسمح لابنتك أن تهين أعمامها وأنت ساكت.

فتدخل مجيد برعوثته المعروفة ومدفوعاً برغبته بالتخلص من أحلام وأطفالها؛ فتوجه إلى أحلام القريبة منه وهو ينوي صفعها فعرف بنته رامي فراح ينظر يمنة ويسرة باحثاً عن شيء يدافع به عن أمه الضعيفة؛ فلم يجد إلا دمية كانت تحملها أخته شمس لا تغني شيئاً؛ لكنه ولقلة حيلته أخذها ووقف بوجهه خاله، وصار يبكي ويصرخ بأعلى صوته وبحرقه كبيرة:

إياك أن تقترب وإلا ضربتك.

فما كان من مجيد إلا أن أزاحه بقوة، وهو الطويل، حتى ألقاه أرضاً؛ فاستشاط أحمد غاضباً، واندفع ليضرب مجيداً لضربه ابن أخيه، لولا تدخل الحضور؛ فعلا بينهما الشتم؛ حتى صاح الحاج عبد الرزاق بهما جميعاً:
ألا تحجلان من نفسيكما؟ تتشاجران وكأنكما صبية صغار.

قال أحمد وبصوت عال:

أما رأيت كيف ضرب ذلك الأحمق رامي.

رد عليه الحاج بغضب:

أخرس أيها الغبي، وأنت أحمق منه، بل كلاكما أحمق من عرفت في حياتي.

توجه الحاج عبد الرزاق إلى أبي عمار وقال:

أكمل كلامك يا أخي ودعك من هؤلاء المتصايين.

أبو عمار:

أتذكر عندما كنا في أربعينية هشام (رحمه الله) وقلت لنا حينها (لكم ما لكم

ولنا ما لنا)؟

الحاج:

نعم أذكر .

أبو عمار إذن نحن متفقون يا حاج:

لكم ما لكم ولنا ما لنا.

الحاج :

سبق واقترحت صباح اليوم على أخي أبي أحلام استئجار بيت لأحلام وأطفالها بالقرب منكم، ولتربي أطفالها ولا تحرموهم من بعض؛ فقد أبدت عدم رغبتها في الزواج.

أبو عمار:

يا حاج أحلام ابنتنا، ونحن أعرف بمصلحتها، ولك أن تتدخل بمصير أحفادك؛ إما أن تأخذهم أنت، أو أن يبقوا مع أحلام وزوجها عمار .
وأشار إلى ابنه الذي يبلغ الخامسة والأربعين من عمره؛ وبذلك يكبر أحلام بأكثر من عشرين عاما.

أخفض الحاج رأسه، وراح يفكر بخيارين أحلاهما مر؛ وبينما هما على هذه الحال قال أحمد مخاطبا أبا عمار:

يا عم، وكيف تزوج ابنك امرأة قد خطبت لرجل غيره؟

صُقع كل من في الغرفة من مقال أحمد بها فيهم والداه.

أبو عمار مستغربا:

خُطبت؟

أحمد:

نعم لقد خُطبت.

أبو عمار:

ومن خطيبها؟

أحمد:

والذي خطبها من العم أبي أحلام وقد وافق على ذلك.

شعر الحاج عبد الرزاق بقوة تملأ روحه وجسده حولته من موقف المدافع

المتردد إلى المبادر؛ فنظر إلى أبي أحلام المندهبش وقال:

نعم... نعم، أنا خطبتها لابني أحمد من والدها، أليس كذلك يا أخي؟؟؟

أبو أحلام ودون كلام راح يهز رأسه بالإيجاب؛ لأن لسانه انعقد وتفكيره تجمد.

استغرب أبو عمار وأخوه الآخر من ردّ أخيهم الأصغر أبي أحلام، وقال له:

لم تخبرنا بذلك قبل الآن؟

بقي أبو أحلام صامتا؛ فموقفه المحرج لا يليق به إلا الصمت كي يعيد

ترتيب أوراق دفاعه أمام أخويه.

التفت الجميع إلى عمار وهو يقول:

ابنة عمي وأنا أولى بها.

ساد الصمت للحظات؛ لكن الحاج عبد الرزاق وجه كلامه إلى أبي عمار:

يا أخي أليس كل مبتغاك أن تحافظ على ابنة أخيك من نظرات الآخرين

إليها؟

أبو عمار:

أقسم أن ذلك ما أبغيه، ليس إلا.

الحاج عبد الرزاق: ونحن مبتغانا أن نحفظ أولادنا وأن نربيهم تحت ظلنا
وفي منزلنا وأمام ناظرينا.

أبو عمار:

أنا متيقن من ذلك.

وكلانا يريد لأحلام وأطفالها ألا يفترقوا، وأن يعوضهم الله على ما فقدوا
من زوج وأب؟

أبو عمار وهو منقاد انقيادا تامًا لما يريد الحاج عبد الرزاق:

نعم بالتأكيد.

إذن لا حل إلا بزواج أحمد من أحلام؛ بذلك تضمن تزويج ابنتكم،
وأضمن أنا أن أحظى بأحفادي، وتضمن أحلام العيش مع أولادها.

قال عمار معترضًا:

أنا لا أقبل.

وجه الحاج كلامه لعمار قائلاً:

يا ولدي قد نالت هذه المسكينة ما نالها من عذاب؛ فتصدق عليها وعلينا
بموافقتك، واعلم أننا لن نأخذ أحلام إلا وأنت راض.

حاول الحاج النهوض لكن التعب كان باديا عليه فأسنده أحمد ليكمل
وقوفه؛ فوقف معه كل الحضور، وتوجه إلى عمار واقترب منه وقال له:

كن كريما يا ولدي فما عرفناكم إلا كراما.

تملح عمار الطامع بأحلام وجمالها وقبل أن يرفض؛ بادر أبو عمار قائلاً
بصوته الأمر:

على الخير والبركة يا حاج؛ نسبكم شرف لنا يا أخي، وليس عمار وأحمد في نظري إلا رجلا واحداً ولكن لدي شرط واحد.

قال الحاج وكله فرح:

قل يا أخي، وبإذن الله إنا عليه لقادرون.

أبو عمار: أن تعقد قرانهم اليوم وقبل أن تغرب الشمس.

ساد الصمت المكان حتى قطعه ثانية أبو عمار:

نحن نستأذن، وأقدم لكم مباركتي المبدئية مقدما.

خرج الجميع ولم يبق إلا أحلام وأهلها والحاج عبد الرزاق وعائلته.

كل هذا وأحلام خافضة رأسها، ورامي ينتظر خروجهم لينفجر؛ حتى إذا

خرجوا جميعا قال لعمه وجده:

لن تتزوج أمي أحدا.

اقرب أحمد من رامي؛ لكن رامي تراجع منه مغضبا، فاقرب أحمد أكثر

حتى أمسكه وسحبه إليه وهمس بأذنه:

يا غبي، اسكت قليلا؛ فنحن نريد اصطحابكم وأمكم معنا تحت هذا

المبرر، اخرس الآن ودع جدك يكمل ما بدأ.

دخل أبو أحلام بعدما ودع أخويه وأبناءهم، وتوجه بكلامه مباشرة إلى

الحاج وأحمد:

هل حقا أنتم جادون بما قلتم؟ أم أنكم تكسبون بعض الوقت؟

صمت الحاج عبد الرزاق فهو نفسه لا يعرف نوايا ابنه.

فأكمل أبو أحلام كلامه:

يا أخي، إن كنت غير جادين فأنتم قد أدخلتمونا في قضية عشائرية كبيرة.

قال أحمد مؤكدا:

لو خيرتني بالتضحية بروحي من أجل أحلام وأطفالها فلن أتأخر لحظة،
فتوكل على الله يا عم وأحضر من يعقد لنا.

تجمل المرأة فقط عندما تحب الحياة وتحب المرأة الحياة فقط عندما تعشق

في الرابعة عصرا جلست في غرفة الجلوس أمام التلفاز تحاول التنفيس عن حالها بالاستماع للأغاني، وبعد وقت ليس بالقصير جاءت السيدة نضال وقد ارتدت تنورة تحت الركبة بستيمترين مخرصة جدا ذات حزام أسود وقميص شفاف ذي أكمام طويلة أسود وعليه زهور صغيرة قهوائية اللون؛ لكن بطانة القميص من الستن كان يغطي منطقة الصدر والبطن فقط؛ بينما راحت بشرة ذراعيها التي تسطع بياضا تظهر من تحت القميص؛ وقد رفعت شعرها الأسود وجمعه في تسريحة عمل، جلست بجانب غيد ووضعت حقيبة العمل الخاصة بها وكانت تحمل ذوقا أنثويا رائعا؛ وقالت لها:
أحتاج فيجان قهوة حد التوسل إليك.

نظرت غيد إلى أمها وقد ظهر جزء من فخذها بعد أن جلست نظرة استغراب وقالت:
وأنا تحت أمرك يا سيدتي.

نهضت وعادت بعد دقائق؛ حيث أنهت السيدة نضال سيجارتها وراحت تطفئها، وما إن رأت غيد حتى قالت:
آه...أنقذتني بإحضارك القهوة.

وضعت غيد القهوة أمام أمها ولم تكن تلك النظرة قد فارقتها وقالت:
بالهناء والشفاء.

بعدها ارتشفت رشفة قالت السيدة نضال:

والاو، لا أستطيع إخفاء إعجابي ببراعتك في صناعة القهوة؛ بصراحة
طعمها المميز يجبرني على أن أشعل سيجارة أخرى لتكتمل نشوة الطعم.
أشعلت سيجارة أخرى وراحت تسحب دخانها بطريقة أنثوية راقية؛
ودفعت بدخانها إلى الأعلى وهي تنظر إليه مستمتعة وكأنها تقرأ شيئاً فيه، بينما
استمر استغراب غيد يدور برأسها كإعصار هادر يصم الآذان،

غيد:

أنت في غاية الأناقة يا سيدة نضال.

نضال:

أترينني أنيقة بالفعل؟

غيد:

أنيقة لدرجة أنني أشك في نيتك الذهاب للمكتب اليوم.
خفت حركة نضال السريعة وهي تسحب نفساً من تلك السيجارة ودفعت
دخانها بهدوء المتأمل لكلام ابنتها وردت عليها:
يبدو أنك لم تلاحظي أناقتي إلا اليوم.
غيد:

أنت أنيقة دائماً بالفعل؛ لكن ملابسك هذه أصعب من أن أصدق أنها
لبست لأشخاص عاديين ومراجعين لمكتب محاماة.
نضال وقد تغيرت نظرتها إلى الحدة:

وهل هناك مشكلة في أن تكون المحامية أنيقة؟؟؟؟!!!

بثقة عالية وبنظرة تحد قالت غيد لأمها: قرأت في رواية الوجه الآخر
ومضة أعجبتني: (للعشق رائحة نفسل دائماً في إخفائها)

أطفأت السيدة نضال سيجارتها بقوة وكأنها كانت تنتقم منها لا تطفئها
وأخذت حقيبتها ونهضت تاركة ابنتها دون جواب.

عند خروجها من الباب صادفت زوجها عدنان فسلم عليها لكنها لم ترد
وأكملت طريقها غاضبة؛ فأكمل الأب بدوره طريقه باتجاه ابنته وسلم عليها
برقة وقبلها من رأسها وجلس على الأريكة.

فقال له غيد: أأعد لك فنجان قهوة؟

ضحك عدنان بطيبته المبالغ فيها وقال:

أخاف عليك التعب يا ابنتي.

نهضت بسرعة وقالت له:

لحظات وستكون عندك قهوة اضطرت السيدة: (لا) أن تعترف وتقول

عنها إنها رائعة .

عدنان:

ومن هي السيدة (لا)؟؟؟؟!!!!

غيد:

أمي... أنا أسميها بسيدة (لا)؛ لأنها دائما ترفض ما نقترح نحن وتقول (لا).

عدنان:

بالمناسبة سلمتُ عليها ولم ترد علي يبدو أنكِ أغضبتها ثانية!!!!!!

ابتسمت غيد وقالت:

لا تشغل بالك يا أجمل أب في العالم؛ إنما نحن نساء نشاكس بعضنا.

وما أن استدارت حتى علا وجهها الوجوم والحزن وكأنها كانت تزيل قناع

الابتسامة الزائفة.

زواجي بلث... منجله بحمد كل معارفي

أكمل الشيخ عقد القران واستغرب من صمت الجميع؛ فقال:
مالكم يا جماعة وكأني في مأتم لا فرح؟
بقي الجميع صامتين إلا رامي الذي كان غاضبا؛ فأخذه جده وأجلسه في
حجره وسأله:

أتعرف ما معنى زواج؟

بقيت ملامح الطفل غاضبة وقال:

لا؛

ضحك الجد وقال له:

لم أنت غاضب وتعلن معارضتك الشديدة وأنت لا تعرف ما معناه؟

رامي:

لأن أمي تجن عندما تسمع بذلك.

علا صوت ضحكة الحاج عبد الرزاق؛ فاستغرب الجميع الفرح الذي ملأ

وجهه؛ فسأله أبو أحلام:

أسعدك الله يا أخي؛ ما الذي أضحكك؟؟؟ أخبرنا علنا ننهي هذا اليوم

الطويل بشيء جميل.

عاد الحاج للضحك وقال له:

لا شيء، أنا فقط فرح بحل تلك المعضلة التي أرقتنا.

همس الحاج في أذن رامي:

أعدك أنه بحلول المساء ستكون أمك فرحة بزواجها، ولكن عدني أن تكون أنت فرحا حينها.

على عكسه كان أحمد حزينا ومنكسرا، وقد تشاركتة الشعور نفسه أحلام؛ فكانا كلاهما صامتين ولا ينسان بنت شفة.

قال الحاج يخاطب أحلام وهو يضحك:

هيا يا ابنتي، أحضري أغراضك، وسأدعوكم اليوم إلى مطعم فاخر احتفالا بعودتك إلى البيت.

كان المنتصر الوحيد اليوم هو الحاج عبد الرزاق وخرج جميع الأطراف خاسرين ودون تحقيق أي مما أرادوا؛ إذ عاد وهو غانم أحفاده وزوجة ابنه التي يحبها أكثر من ابنته.

جلس الجميع حول الطاولة الكبيرة وراح الحاج يقول بصوت عال:
اطلبوا ما شئتم؛ فالיום يوم مبارك.

بقي أحمد يراقب ما وُضع أمامه من طعام، بينما طففت أحلام تداعب بالشوكة قطعة الكباب التي أمامها؛ أما الحاجة سعاد فقد أخذت تنهر الحاج عبد الرزاق عن الأكل غير الصحي وهو يعاندها فيسرق قطع الكباب من أمامها، وأما الأطفال فقد كانوا في غاية الفرح، وحتى رامي فقد نسي غضبه وراح يلعب مع غخوته ببعض الألعاب التي وضعت أمام المطعم الكبير والراقي.

بالأمس دخلت هذا البيت عروبا واليوم أدخله (سبيته)

دخلت أحلام البيت الذي طالما أحبته ووجدته جنة مليئة بالزهور وهي فراشة تطير هنا وهناك بين غرفه الكثيرة والواسعة؛ لكنها اليوم وجدت البيت كئيبا مظلمًا وكأنه سجن.

تذكرت أنها نسيت أن تدخل معها أغراضها وأغراض أطفالها؛ فأسرعت إلى حيث السيارة فوجدت أحمد قد أنزل نصف الحقائب وهو يروم إنزال الباقي؛ فحاولت رفع حقيبتين، إلا أنه أمسك بيدها وقال:
أنا أدخلها؛ فقد نالك من التعب ما يكفي يا أختاه.

تغيرت ملامح أحلام في لحظة من شعور غريب بالانكسار والضعف إلى شعور بالاستغراب والحيرة فقالت:

أختي؟

حمل حقيبتين واتجه إلى داخل المنزل تاركًا إياها تكافح للنجاة من الغرق في بحر حيرتها؛ فحملت هي حقيبتين أخريين وتبعته، وما إن لحقت به حتى عاد إلى السيارة ليحمل حقيبتين أخريين؛ فوقفت عند باب المنزل الرئيسي تنتظره، وما إن وصل إليها حتى مدت يديها لتأخذ منه الحقيبتين فأعطاها إياها دون مقاومة وعاد كي يدخل السيارة إلى المرآب المخصص لها.

ارتمتي أحمد على الأريكة بكل جسمه؛ بينما راح هاتفه يرن مرة بعد مرة وهو يلتقط الهاتف فيقرأ الاسم فيعاود رميه، وفي نجر مرة رماه جلست بجانبه أحلام وقالت:

ليتكم معشر الرجال تعرفون حجم قلق النساء عليكم لما عاملتموهن بهذا الإهمال.

لم يجد ما يجيبها به إلا تنهيدة أحرقت صدره.

أحلام:

أعرف أي لو اعتذرت لك طوال عمري لما عوضت عن ظني السيء بك.

ابتسم أحمد ابتسامة ساخرة وعاد إلى صمته ثانية.

أحلام:

أحضرت لك الشاي؛ فأنا أعرف أنك تدمنه.

نهضت وتركته واستدارت وقالت له بجسم ملتوٍ:

سأبقى شاكرة لك طوال عمري يا أخي.

تغيرت ملامح أحلام وبدأت السعادة واضحة عليها؛ فأسرعت تفتح حقائق أطفالها وتفرغها فوق رؤوسهم فرحاً؛ والأطفال معها يقفزون ويمرحون؛ فشمس تعبت بين الملابس، وسامر ورامي يتراشقان بتلك الملابس مع أمهما حتى نالهما التعب؛ قالت أحلام:

علينا أن نرتب الملابس الآن كلا في مكانه.

انسحب رامي من الغرفة واتجه إلى جده المتمدد على فراشه، فطرق الباب

الذي كان مفتوحاً؛ فسمح له الحاج بالدخول وقال له:

تعال يا ابن الغوالي.

دخل رامي وجلس بجانب جده؛ فسحبه جده واحتضنه وقبله مع شمه

وقال:

فيك رائحة والدك العطرة رحمه الله.

رامي:

كيف عرفت أن أمي ستكون سعيدة يا جدي؟!!!!

ابتسم الحاج وقال له:

ما أفهمه من كلامك أنك جئت تعترف بأني كنت على حق.

احتضن رامي جده وبكى بشدة؛ فاستغرب الجد وانفعل وقال لحفيده:

لا... لا يا ولدي كيف تبكي وجدك عبد الرزاق حي يرزق؟؟؟؟ أخبرني

ما يبكيك يا صغيري؟

رد رامي وهو يبكي:

كنت خائفا يا جدي، وكان خوفي على أمي وإخوتي أكبر، وكان خوفي يكبر

كلما تخيلت أنكم ستركوننا وتغادرون، ونبقى مع خالي مجيد.

ضحك الحاج عبد الرزاق وقال:

وقفت في وجهه وكنت ستضربه وتحاف منه؛ أثبتَّ حينها أنك رجل وابن رجل.

رامي:

لكني لم أستطع حمايتها.

الحاج:

بالعكس أنت فعلت ما لم أستطع أنا فعله، وبفضلك فقط أنتم هنا الآن.

رامي:

وما الذي فعلته؟

لن تفهم ما أقول ، يكفيني أنكم سعداء يا بني، اتركني أرتاح؛ فقد كان

اليوم متعبا للغاية.

ترك رامي جده بعد أن قبله وقال له:

(تصبح على خير).

توجه إلى عمه أحمد الذي ما زال جالسا على تلك الأريكة ولم يبرحها؛
فجلس بجانبه وراح يتأمل وجهه المتعب الحزين وقال:

شكرا لأنك دافعت عني وعن أمي.

التفت إليه أحمد وابتسم، ومد يده يداعب شعره الكث وقال له:

حمايتكم واجب عليّ يا صديقي ولا داعي للشكر.

رامي:

هل ستنام الليلة في غرفتك؟

أحمد وبلا تردد:

مؤكد سأنام في غرفتي.

وهل ستنام أمي في غرفتها؟

أحمد وقد عرف سر السؤال فابتسم وقال:

طبعا ستنام هي في غرفتها مثل ما كنا يا صديقي؛ كل ينام في غرفته.

احتضن رامي عمه وقال له:

أنا أحبك يا عم أحمد جدا جدا

رن هاتف أحمد فالتقطه رامي وأعطاه إلى عمه وقال:

أجب.

عاد الحزن إلى وجه أحمد وقال:

اذهب إلى النوم لأنني سأصحبك إلى المدرسة فقد انقطعت كثيرا عنها

وعليك تعويض ذلك الانقطاع.

نهض رامي ومد يده إلى عمه وقال له:

ما دمنا سنستيقظ معا فعلينا إذا أن ننام في نفس الوقت معا.

أمسك أحمد بيد ابن أخيه وقال:

أتفق معك؛ فقد كان اليوم متعبا.

اتجه الاثنان كل إلى غرفته؛ حيث ارتقى أحمد على السرير حتى دون خلع ثيابه وحذائه، وبعد نصف ساعة من التفكير استطاع التعب أن يتغلب على حزنه وخوفه من القادم فغفى.

طُرق الباب عدة مرات فقال أحمد:

من؟

أجاب أحدهم من خلف الباب:

أنا.

صعق أحمد وقال يخاطب نفسه:

أحلام!!!

غيبتي بلأى كبيرة وأنتى رمزيه وقدويين

كانت غيد قد قاربت الجنون وقد بلغت الساعة الثانية عشرة ولم يجيها أحمد؛ فلم تستطع النوم؛ فنزلت تبحث في الثلاجة عن حبة مهدئة، وما إن وجدتھا حتى تناولتها على الفور واتجهت إلى باب المطبخ لتصعد السلم؛ ففوجئت حينها بأن أحدهم فتح باب المنزل، وبعد أن ركزت جيدا عرفت أن والدتها هي من فتح باب المنزل، فدخلت وهي منشغلة بمكالمة هاتفية فلم تنتبه لغيد لأنها كانت مشغولة بفتح الباب والتحدث بالهاتف وحمل حقيبتها؛ فدخلت ورمت حقيبتها على أول كرسي عند الباب وارتمت بجسمها المتعب على الأريكة وهي تكمل مكالمتها همسا؛ فرفعت رجليها على ظهر الأريكة كي تريحها بعد ذلك راحت تخلع حذاءها برجلها فيسقط إلى الخلف بين غيد والأريكة، وغيد مخبئة خلف أحد أعمدة الزينة في بيتهم.

اقتربت غيد من أمها من الخلف وراحت تستمع إليها.

نضال وهي تضحك بهدوء وأنوثة:

- ألم يكفك كل ذلك الوقت؟ اتركني أرتاح.

- أعلم أنك تحبيني.

- لم تأتِ بجديد، أعلم أني جميلة.

- وأعلم أنك أيضا مثيرة.

ضحكت بصوت متوسط وعادت فتداركت نفسها وقالت مخاطبة من على

الخط:

- ويح وقاحتك كم أنت جرى؟؟؟
- لكن أعترف لك أن لحديثك حلاوة تجعلني أتمل بها وكأنني أتناول كأسى العاشر.
- لم تقول كأسى العاشر؟ ألاني أتمل به؟؟؟
- عادت للضحك ثانية وأكملت كلامها:
- مؤكداً أن نزار قباني كتب قصيدته لي.
- لطالما ألهم جسدي الشعراء
- ضحكت بصوت متوسط وقالت:
- ويحك أنت سخيف وغير محترم.
- لا... لا تقفل الخط؛ بصراحة لا أخفي عليك أحتاجك وأحتاج سخافاتك كلها.
- أتعرف أنك وحدك من لامس ما أخفيه من رغبات دفينه في داخلي.
- سأحكي لك قصتي في لقائنا القادم
- أتعرف أنك تذكرني بالقهوة أو بكأس من النبيذ
- نعم... فمعها أشعر أن للتدخين لذة عجيبة؛ لذلك أحتاج لسيجارة كي أنتشي بصوتك وأسلوبك المميز.
- ضحكت مرة ثانية ولمدة طويلة وكررت:
- نعم أسلوبك المميز بسخافته ومجونه وإثارته.
- امنحني لحظات كي أشعل سيجارة مع اشتعال روحي.

راحت تبحث السيدة نضال وهي نائمة عن حقيبتها لتخرج منها علبة السجائر لكنها نسيت أين وضعتها وما أن استوت حتى فوجئت بابتها تحمل حقيبتها وقد فتحتها وأخرجت منها علبة السجائر وقالت لها:
تفضلي يا سيدة نضال.

حاولت نضال أن تبعد التوتر والخوف من ملاحظها وادعت التصلب وقالت: وما أدراك أي أبحث عن علبة سجائري؟
ضحكت غيد ضحكة ساخرة، وبعدها صمتت ونظرت في عيني أمها بقوة وقالت:

لتشتعل سيجارتك مع اشتعال روحك فذلك الذي على الخط الآخر من الهاتف كفنجان قهوة أو كأس نبيذ.

لم تجب نضال ابتها بحرف واحد بل بقيت جالسة لكنها أخفضت رأسها خجلا؛ أما غيد فقد رمت الحقيبة أرضا وتقدمت باتجاه أمها وأعطتها علبة وقالت لها:

أتمنى لك ليلة ممتعة مع ذلك السخيف.

وتركتها ومشت وعلى بعد مترين ثم استدارت وأكملت كلامها:
طبعاً أنا لا أقصد شتمه ب(السخيف) لأنني أعرف أنه مميزٌ بسخافته؛ فهو الوحيد الذي نجح بملامسة مشاعرك، أو بالأحرى حقيقتك التي تخفينها بكل ذلك الطغيان والجبروت الزائف.

تهتدت نضال فأشعلت سيجارتها وعادت إلى النوم على الأريكة، أما الهاتف الذي كان بيدها فقد رتمته على المنضدة القريبة حيث بقي ذلك الرجل يكلم نفسه.

لأني أحبكِ لأخبركِ... إياكِ أنه تقريري أكثر

شعر أحمد بالارتباك بعدما سمع أن من خلف الباب هي أحلام فنظر إلى الساعة وكانت قد قاربت الثانية عشرة بعد منتصف الليل وراحت الأفكار تتوارد عليه، فيها هو يكلم نفسه:

- ترى ماذا تريد في هذا الوقت المتأخر؟؟؟

- ربما عليّ عدم فتح الباب.

- ولكن ربما يكون أحد الأطفال في خطر .

- لا بد من فتح الباب.

- لا... لا لو فتحت الباب سيصعب عليّ اخراجها.

- إذن سأكلمها من خلف الباب وأعرف ماذا تريد.

وقف أحمد خلف الباب وقال مخاطبا إياها:

نعم يا أحلام ماذا تريدين؟

قالت أحلام: افتح الباب .

أحمد بخوف:

مستحيل .

استغربت أحلام:

مستحيل؟؟؟ ولم المستحيل؟؟؟ ما عندي هو ملك لك، عليك فتح الباب

فقط لتأخذه .

أحمد:

وأنا لا أريده؛ أرجوك اتركيني وغادري الآن.

أحلام:

كن على راحتك وأعتذر عن إزعاجك، لكن على كل حال سأترك هاتفك عند الباب عندما تحتاجه خذه بنفسك.

أحمد:

هاتفني؟

فتح أحمد الباب بسرعة فوجد أحلام تحمل هاتفه وقال لها:
أعتذر جدا أنا.....

أحلام:

لا عليك...تصبح على خير يا أخي.

أخذ أحمد هاتفه وأغلق الباب واتكأ عليه وقال:

كم غيبي أنا!!! وكيف لي أن أظن بأحلام ما ظننت؟؟؟

دخلت أحلام غرفتها وأغلقت الباب واتكأت عليه وقالت تدعو ربه:

الحمد لك يا رب أنك منحنتني أخا يميني ويضحني من أجلي عوضا عن

أخ يريد التخلص مني بأية طريقة، وآخر حتى لا يشعر بوجودي.

نظرت أحلام لأطفالها الثلاثة وقد ملؤوا بأجسادهم السرير فأخرجت

بطانية ونامت تحت أرجلهم وعلى السرير نفسه، وراحت تتأمل سقف غرفتها

وهي تكلم هشاما:

لقد كنت معي اليوم وأنا أستمع لكل من حاول بيعي دون حتى ثمن؛ أنا

كنت أتمنى طول الوقت أن ألحق بك، لكن الآن عرفت أنني يجب أن أكون قوية

كي أواجه هذا العالم القاسي والمتخلف بنظرته الدونية للمرأة؛ سأربي أطفالك

وأحميهم وأجعلهم قدوة لكل الناس.

مؤلم أنه بيتر عواطفه منه كأنه بالأمره يقنن منلّه نظرة رضا

نزلت غيد السلم الذي يواجه صالة الطعام فوجدت أباهما يتناول إفطاره؛
بينما انزوت السيدة نضال على غير عاداتها على نفس الأريكة التي نامت عليها
ليلة أمس وفي يدها سيجارة وقد بدا عليها التعب بوضوح.
اتجهت غيد إلى أبيها من خلفه وقبلته على رأسه وصبحت عليه بالخير
والتفتت إلى أمها وقالت:

لم أتوقع يوماً ألا أراك عند الكرسي الموضوع عند رأس الطاولة؟
لم تعرفها السيدة نضال اهتماماً؛ فأثرت غيد أن ترفع حجم التحدي؛
فاتجهت إلى كرسي أمها وسحبته، ومن ثم عادت إلى حيث يجلس والدها
وأنهضته وهو لا يعرف ما تريد وأخذت تسحبه وتقول له:
تعال معي فقط.

حتى أجلسته على الكرسي الرئيسي للطاولة؛ لكن أباهما المسكين راح ينظر إلى
السيدة نضال بحرج شديد، والتي كانت تبادلته النظر؛ فأكملت غيد قولها:
عليك اغتنام فرصة وجود الكرسي فارغاً لتستحوذ عليه وإلى الأبد.
أشاحت نضال وجهها عنهما وهي غير مبالية؛ فقد كان الضعف والانكسار
بادياً عليها بوضوح.

جلست غيد على غير عاداتها وراحت تأكل الطعام وهي تقول:
شهيتي للطعام مفتوحة.
السيد عدنان وهو فرح جداً:

ليتك تتناولين الإفطار معنا دائما؛ فأنت تشيعين الفرح في البيت.
تركت ما بيدها من طعام ونهضت وقالت لوالدها وهي في الحقيقة تخاطب
أمها:

ادعاء وجوهنا الفرح لا يعني أن أرواحنا فرحة؛ بل ربما المبالغة بالادعاء
يخفي تحته خيبة وغضب قد لا نسيطر عليه أحيانا.
استدركت قائلة أنا أروم الذهاب إلى الكلية وأريدك أن توصلني في
طريقك إلى العمل.

عدنان:

عملي بعيد عن كليتك يا ابنتي.

غيد:

أعرف ذلك يا أبي الحبيب؛ وسأستفيد من طول الطريق، فعندي الكثير
لأحدثك به.

هنا انتفض رأس نضال بعد أن كان منخفضا ووجهته إلى ابنتها لتعرف
جدية ما قالت؛ فبادلتها ابنتها بنظرة تحدٍ وأخذت حقيبتها وأوراقها واتجهت إلى
سيارة أبيها.

عندما يقدم الرجل علمه التصرف بنبله...
فهو لا يوقع نفسه بل يرفع منها.

استفاق أحمد على صوت أحلام وهي تقول:
له صباح الخير يا أحمد حان وقت نهوضك.
على غير عادته قفز من سريره وكأنه صعق بسلك مكهرب وقال لها:
صباح الخير .

أحلام:

لم نمت بملابسك؟

تناول منشفتة واتجه إلى الحمام وهو يقول:

أكيد من شدة التعب.

بعد نصف ساعة نزل السلم الواسع والكبير فوجد على طاولة الطعام
الواقعة على يساره كل ما يمكن أن يكون إفطارا؛ وقد سبقه رامي وهو في كامل
حلته؛ فبادره وقال:

صباح الخير يا عم .

فرد عليه أحمد بعد أن نزل وجلس إلى جانبه:

صباح الخير يا صديقي؛ أراك قد صحوت مبكرا.

رامي:

أنا مستيقظ من السادسة والنصف .

أحمد:

ليتني أعرف كيف يمكن للشخص أن يستيقظ وحده.

ردت عليه أحلام وهي تعطيه كوب الشاي:

وهل تعتقد أن الكل كسالى مثلك؟؟؟

ابتسم أحمد وقال:

لاداعي للشاي أكاد أموت من النعاس سأوصل رامي إلى المدرسة وأعود للنوم.

أحلام:

والجامعة من سيدرس فيها؟؟؟ والشركة من سيديرها؟؟؟

أحمد:

ليس لي مزاج لذلك مطلقاً.

دخل الحاج عبد الرزاق:

صباح الخير .

نهض الجميع وتناوب الكل على السلام على الحاج وتقبيل يده؛ وبعد أن

جلس في مكانه خاطب أحمد وهو يتنسم:

لا تحمل هم الشركة يا ولدي سأزورها اليوم أنا، أما أنت ففي إجازة لمدة

يومين بدل يوم واحد.

عرف أحمد أن الحاج فهم الأمر خطأً، الذي ظن أن رغبته في البقاء مرتبط

بأحلام وزواجه منها لا بسبب التعب؛ فظهر عليه الارتباك والحجل وقال

لوالده:

يا حاج أخاف عليك التعب، سأذهب أنا.

بعد أن تناول شايه نهض الحاج وقال لرامي:

هيا سأوصلك لمدرستك في طريقي .

رامي:

لكنني اتفقت منذ أمس مع عمي أحمد على أن يوصلني .

ضحك الحاج وقال:

الرجل في إجازة فلا تزعجه .

أراد أحمد الرد فقاطعه الحاج:

لقد عينت رجلا يقوم برعاية الحديقة ويقوم بفتح الباب الرئيسي وغلقه.

أحمد:

وأين وجدت هذا الرجل؟

الحاج:

هو رجل كبير في السن من أقاربنا الطيبين .

عند وصول الحاج ورامي إلى باب المنزل وأحمد يتبعهم وقبل النزول من

الدرج الخارجي؛ لحقت أحلام بهم وقالت:

يا عم عندي طلب .

رد عليها الحاج بحب:

قولي يا بنيتي .

أريد أن أتعلم قيادة السيارة .

توقف الحاج عن نزول السلم والتفت إليها وقال:

طلب غريب، لم تريد تعلم قيادة السيارة؟

أحلام:

كي أوصول رامي إلى مدرسته وأذهب إلى التسوق .

ضحك الحاج من قلبه ورد عليها:

لم لا؟؟؟

أحلام وهي تبسم فرحا:

لم ضحكت يا عم؟

الحاج:

تغيرت يا أحلام كثيرا.

تغيرت ملامحها من الابتسام إلى الجدية:

وسأتغير أكثر حتى أستطيع مواجهة الحياة بقوة.

بعد صمت أصاب الجميع عادت للابتسامة وقالت للحاج:

متى ستعلمني القيادة يا عم؟

ضحك الحاج وقال:

وما دخلي أنا؟؟؟ عندك زوج وهو مسؤول عنك وعن تعليمك.

ألقي الحاج قبيلته وغادر المكان بعد أن طلب من رامي فتح الباب الخارجي

واتجه لسيارته؛ بينما ساد الصمت ثانية المكان، أما الاثنان فقد بقيا كالتمثالين،

وكل منهما لا ينظر إلى وجه الآخر؛ حتى كسرت تلك الحالة أحلام بالدخول إلى

البيت ليدخل بعدها أحمد؛ وعند مروره من جانب أحلام قالت له:

ألا نفطر يا أحمد؟

توقف أحمد قبل صعود الدرج والتفت إليها وقال:

أتعرفين يا أحلام...لم أنم منذ أكثر من أربعة أشهر بطمأنينة أو أمان، واليوم

عندما قرر والدي أن يزور الشركة أشعر أني عصفور قد كان في قفص وتحرر.

أحلام:

لكنك أوقعت نفسك في قفص آخر.

عرف أحمد بذكائه مقصدها:

عندما يقدم الرجل على التصرف بنبل فهو لا يوقع نفسه بل يرفع منها.

أحلام:

وقد كنت رجلا حقيقيا؛ لن أنسى تصرفك ما حييت.

أحمد:

ولن أتخلى عنك وعن أطفالك أبدا ما حييت.

صعد السلم وعند وصوله للمتتصف سألته أحلام:

هل أخبرتها أنك تزوجت؟

يعشق البعض الانتصارات وعقد الصفقات الرابحة؛
وإنه كلهم ذلك على حساب أولادهم أحياناً.

في الثانية بعد الظهر فتحت غيد باب المنزل بنسخة المفتاح التي بحوزتها؛
فوجدت أمها لم ترح تلك الأريكة؛ حيث ما زالت نائمة عليها ويدها سيجارة
تعاني احتراقاً تجاوز التبغ ليصل إلى الفلتر؛ فتقدمت حتى جلست عند خصرها،
وقالت:

تعشقين القسوة يا سيدة نضال؛ حتى هذا العقب لا ترحمينه.

أخذت منها العقب ووضعته مع أمثاله الآخرين المحترقين، ونظرت في
وجه أمها التي راحت تطالع السقف. بقيت غيد تتكلم مع أمها دون أي رد منها
وكأنها تكلم نفسها.

- ليتك تعرفين كم أتمنى أن أكون بقوتك هذه؟؟؟
- أن أقسو على الآخرين فلا يرق لهم قلبي.
- أخطئ فلا أخفض رأسي.
- حسدتك لنجاحك في السيطرة على أبي؛ في حين أنا أفضل في ذلك مع
حبيبي.
- حسدتك على طولك الجميل وشعرك الأسود وبشرتك البيضاء
الناصعة.
- كنت أحسدك وأنا أراقب عيون كل من رآك من نساء ورجال وهي
مبهورة بك.
- كنت أراقب النساء يوبخن رجالهم لكثرة التحديق بك.

- كنت كالإلهة عشتار ، هذا إن لم تكوني عشتار نفسها.
- حتى اسمك كان فيه فخامة وقوة ويزرع في من يسمعه شيئا من الوقار لك.
- سأكون معك صريحة
- كنت أتمنى أن أكون مثلك.
- نعم مثلك تماما.
- فانا أحبك جدا وأومن بك جدا.

نزلت دمعة من عين نضال التي لم تحرك وجهها الرائع جدا؛ فهو رغم التعب والإجهاد وخلوه من مساحيق التجميل التي لم تفارقه لحظة، لم يتنازل عن عرش ملكة الجمال الأولى، ولم ترمش بعينيها حتى وغيد تنظر إليها وهي غير مصدقة أن تلك العينين ممكن أن يغسلهما الدمع.

غيد:

أتعرفين؟ ... كنت أعتقد حتى قبل لحظات أنك لا تملكين غددا دمعية. أخيرا حركت نضال عينيها باحثة عن شيء، وبعد أن وجدته مدت يدها إلى علبة سجائرها فإذا بها خالية فأعادتها بنفس هدوء حركة يديها.

غيد:

ممكن أن أعرف متى وكيف بدأت التدخين؟ زفرت نضال تلك الآه؛ وكأنها تنين يطلق جحيما من جوفه، وقالت: علمني ذلك الرجل كل شيء: التدخين والحب والفقد والقسوة والكره أيضا. تجرأت غيد ولأول مرة في حياتها ومدت يدها تداعب شعر أمها الأسود الحالك الطويل جدا من جبينها حتى وصلت إلى خلف إذنها وقالت:

دائماً ترفعين شعرك مع أنه ساحر حتى أنا ابنتك لا أراه إلا وقد لففته
وقيدته بإسكة الشعر وكأنه معتقل تحت حراسة مشددة.

نضال:

أقسمت ألا يراه أحد بعده.

غيد:

مادمت تحيينه إلى هذه الدرجة؛ لم تركته؟

نضال:

كنت أضعف من أن أقول: (لا) لأبي.

غيد:

أنت ضعيفة؟!

نضال:

كان مرعباً جداً رغم أنه لم يضرب أحداً منا.

غيد:

هو من أسماك نضال؟

نضال:

نعم.

غيد:

ألم يفعل شيئاً ذلك الجبان؟؟

التفتت نضال فوراً إلى غيد ونظرت في عينيها وقالت:

لم يكن جباناً أبداً... أبداً،،، لكنه كان ساذجاً وطيباً.

غيد:

بل كان جباناً، كان عليه التقدم لخطبتك.

نضال:

فعل وطلب موعداً مع والدي، وعندما وصلوا حسب الموعد كان شريك

والدي وابنه قد أمّتا صفقة بيعي.

غيد وقد فتحت عينها بقوة:

ألم يكن هناك موعد لهم مع جدي؟؟؟ كيف أخلفه!!!!!!!!!!!!!!؟؟؟؟؟؟

جدك... جدك كان يعشق الانتصارات وعقد الصفقات الربحية.

غيد:

تبا؛ لو تأخروا قليلاً لتمت الخطبة، ما هذه المصادفة اللعينة؟؟؟؟

نضال:

لم تكن مصادفة.

استغربت غيد:

لم أفهم. كيف لم تكن مصادفة؟؟؟ وكيف عرف ذلك اللعين بخطبتك؟؟؟

ومن أخبره؟

نضال:

حبيبي من أخبره بموعد الخطبة.

غيد:

إما أُنِي غيبية، أو قصتك معقدة، أو أن الجوع أفقدني عقلي.

نضال:

هو يعرف كل أسرار علاقتنا طوال ثلاث سنوات.

غيد:

كيف؟

نضال:

لأنه صديقه المقرب.

فُتِحَ الباب فإذا بوالد غيد قد دخل؛ فنهضت غيد وتوجهت لاستقباله. لكنها بعد ثلاث خطوات توقفت واستدارت وقالت لنضال وهي تؤشر بأصبعها مبتسمة:

ستكملين الحكاية لي؛ فلا تظني أن بابا أنقذك.

احتضنت أباها وقالت له:

لا طعام اليوم؛ فما رأيكما أن أعد لكما شيئاً بسيطاً من يدي الخبيرة بحرق الطعام.

ضحك عدنان وقال:

لا، أحضرت معي غداء جاهزاً، وما عليك إلا المضغ يا حبيبي.

عادت وقبلت غيد والدها:

لم أعرف في حياتي أباً مثلك.

أخذت ما يحمل من أكياس وراحت تهرول لتكمل الباقي من مطبخ المنزل؛ وما إن أكملت كل شيء؛ حتى دعت والديها للطعام، فتقدم عدنان وجلس في مكانه المعتاد؛ فقالت له غيد:

أنسيت اتفاقنا يا حبيبي؛ مكانك هناك في رأس الطاولة؛ حيث يجلس كل رب عائلة.

انتقل عدنان إلى المكان الجديد، وجاءت غيد إلى أمها وجلست عند خصرها ثانية وقالت بود:

اشتقت لأمي القوية التي كانت تمنحني الأمان.
ثم دنت من أذن أمها وهمست وهي تضحك ساخرة:
نحن فتيات ومن الطبيعي أن نحفظ أسرار بعضنا، وكما أنك كتمت خبر
علاقتي بأحمد؛ سأكنم خبر فعلتك الشنيعة بشرط أن تعلنني التوبة.
لم تستطع نضال مقاومة مرح تلك الفتاة فاضطرت شفتها للابتسام عنوة
عنها.

صفقت غيد بقوة وقالت:

السيدة (لا) تبتسم؛ هذا يوم عالمي.

ازدادت ابتسامه نضال أكثر وامتدت حتى وصلت لروحها التي لا تعرف الفرح.

غيد:

هيا؛ فقد أحضر الوالد العزيز قطع دجاج مقرمش.

نهضت نضال وسارت عكس الطاولة فتغيرت ملامح غيد وقالت بحزن:

سأنتظرك يا..... أمني.

توقفت نضال واستدارت نحو ابنتها وهي متفاجئة؛ إذ لم تسمع تلك
الكلمة منها منذ أن كانت صغيرة، فاندفعت غيد إلى أمها بسرعة وحضنتها بقوة،
ووضعت رأسها على صدر أمها وقالت:

ألف مرة احتجتك ولم أجدك معي.

بكت نضال بصمت كما تعودت لكن دموعها فضحتها؛ فقد انهمرت

وبقوة؛ فقالت:

أعترف لك أني لم أكن أمًّا في حياتي.

رفعت غيد رأسها عن صدر أمها وقالت بعد أن نظرت في عينيها:

مازلت بحاجة لك.

نضال:

أحب الطعام حار جدا وأنت تجعلينه يبرد.

عادت الابتسامة إلى وجه غيد وقالت هيا إذن لنسرع بتناول الطعام.

كيفه لرجله أنه عملاً مكانته في الروع
وأنته وعهدك مآلكها.

سألت الحاجة أحلام:

هل أكملت الطعام يا ابتي؟

ردت أحلام والفرح يشع من وجهها:

نعم يا خالة كل شيء جاهز.

الحاجة سعاد:

ابدئي بنقل الطعام؛ فعمك الحاج عبد الرزاق اتصل وقال إنه سيكون هنا

بعد عشر دقائق.

أحلام:

حالا يا خالة سيكون كل شيء في مكانه.

استدركت أحلام وقالت:

يا خالة ، ما زال أحمد يغط في نوم عميق.

الحاجة سعاد تضرب يديها:

يحتاج نصف ساعة من الإيقاظ كي يصحو .

أسرعت أحلام تتسابق مع درجات السلم واتجهت إلى غرفته وفتحت

الباب وهي تلهث؛ فوجدته ينام نومة عبثية على بطنه؛ فقالت تخاطبه:

أحمد...أحمد، استيقظ سيصل عمي في أية لحظة.

لكنه كان يغط في نوم عميق؛ فاضطرت إلى إيقاظه بيدها، وما إن فتح عينيه

ووجدها تجلس على سريره حتى صعق وقفز من مكانه وقال:

ماذا تريدین؟

نهضت أحلام مستغربة؛ وردت عليه بخجل:

مالك يا أخي؟؟؟؟ أراك تغيرت جدا اتجاهي.

أحمد وهو مرتبك:

لا أبدا؛ لكنني فوجئت بك في غرفتي.

أحلام:

ولم المفاجأة؟ منذ سبع سنوات وأنا التي توقظك من نومك؛ فما الذي

استجد حتى تعاملنا بهذه الطريقة؟

أحمد:

أي طريقة؟

أحلام:

وكأني أريد منك شيئا ما في بالك، وهل تطلب أخت من أخيها الذي تفكر به.

أخفض أحمد رأسه وقال:

أعترف لك أنني مخطأ في حقك.

تحركت أحلام بخطوتين اتجاهه وقالت له بحدية:

تعرف تحفظي على الزواج من أي رجل بعد هشام وصعقت بعد طلب عمي

الحاج عبد الرزاق ذلك مني، وتعرف أيضا أنني لن أكون يوما أنثى إلا لهشام.

تقدمت منه أكثر ووضعت أصبعها في وجهه المنخفض أرضا وقالت له

بعصبية أكبر:

فلا تعاملني وكأني أعرض عليك نفسي وأنت تتهرب مني وكأنك تحترم

غياب أخيك أكثر مني.

تركته واستدارت خارجة حتى وصلت إلى الباب وعند خروجها توقفت
وقالت له:

لا تفسد فضلك عليّ وعلى أولادي بتفاهات لا وجود لها إلا في عقلك.
قطع ذلك الموقف المحرج وصول رامي الذي لاحظ على أمه التوتر
والانفعال، وتأكد له ذلك بعد أن وجد وجه عمه يحمل الكثير من الخجل.

بادرت أحلام ابنها وقالت بارتباك:

أهلا يا حبيبي، الحمد لله على سلامتكم، تبدو مرهقا؟

رد رامي وهو ينظر إلى عمه وأمه:

لقد تأخر عليّ جدي كثيرا واضطرت إلى انتظاره في الشارع أكثر من

نصف ساعة.

أحلام:

غيّر ملابسك وانزل بسرعة؛ فأنا متأكدة أن الجوع قد هاجم معدتك

الصغيرة.

تركها رامي واتجه إلى غرفته دون أي كلام.

صاحت الحاجة سعاد:

أحلام... أحلام، أين أنت؟

أحلام كمن كان في حلم وصحا منه:

نعم... نعم يا خالة أنا نازلة الآن.

غازلتني في يوم... أكثر مما غازلني الرجال في عمري كله

دقت غيد باب غرفة أمها برقة أكثر من مرة، لكنها لم تصح لغرقها في النوم؛
مما دعاها إلى فتح الباب والدخول؛ لأنها كانت خائفة على أمها .
دخلت غيد فوجدتها تنام وقد ارتدت ثوبا أسود خفيفا جدا، وراحت
تتأمل جسدها الرائع الجمال وشعرها الطويل جدا؛ فجلست تحديق في وجهها
وهو يغط في نوم عميق؛ ليكشف حقيقة ما بداخلها من براءة ورقة.
طلقت تداعب وجه أمها برقة وتقول:
مساء الخير أيتها الأميرة النائمة.
فتحت نضال عينيها ببطء وكأنها ثملة؛ فوجدت وجه ابنتها أمامها مباشرة
فابتسمت وقالت:

قد لا تصديقين أني لم أنم منذ أكثر من أربعة وعشرين عاما بهذا العمق.
غيد:

معقول؟؟؟؟؟!!!!!!
نضال:

نعم ... حتى نومي كان عبارة عن كوابيس ومشاهد مؤلمة.
غيد:

أحضرت لك القهوة يا حبيبتى .

أخذت نضال يد ابنتها الصغيرة والرفيعة وراحت تقبلها أكثر من مرة وتقول:
كم كنت غبية لأحرم نفسي كل هذه السنين من متعة أن أكون أمًا لك
وصديقة لفتاة رائعة مثلك!!!!!!

غيد وهي تمازح أمها وتدعي أنها تاجر شاطر:
لا تتوقعي أن تكون القهوة التي أحمل دون مقابل؛ فثمنها باهظ يا حلوتي.
ضحكت نضال ضحكة من قلبها وهي متفاجئة من خفة دم ابنتها؛ كانت
ضحكتها مع بقايا النعاس العالق في وجهها تحفة أبدعها الخالق سبحانه.
سحبت جسدها واتكأت على رأس السرير وقالت:
لا تتذكري معي يا بنت؛ فأنا أمارس الحمامة منذ عشرين عاما؛ وتمكنت من
هزيمة أعتى الرجال وأذكاهم.

غيد:

لأنهم رجال... كانوا يفقدون عقولهم أمام كل هذا الجمال؛ أما بالنسبة إلي؛
فأنا أستطيع مجاراتك دون تأثير وجهك الجميل في.
ضحكت نضال وقالت:

أقسم أنك غازلتني في يوم أكثر مما غازلني الرجال في عمري كله؛ فكلهم
يخافون من التقرب إلي.

غيد:

ليس أمامك إلا أن تستسلمي لي؛ فأنا أحمل سلاحين سرين لا مناص من
الفوز بوساطة أحدهما في هذه المواجهة.

نضال:

أولهما القهوة وقد عرفناه؛ فما تراه يكون الثاني؟؟؟
أخرجت غيد من جيبها علبة سجائر كاملة ووضعتها في الصينية قرب
القهوة، فما كان من أمها إلا انفجرت ضاحكة دون توقف.
راحت غيد تضحك مع أمها:

ما الذي أضحكك لهذه الدرجة يا أمي؟

نضال:

خبثك ودهاؤك أيتها الماكرة.

غيد:

إذن سأنال ما أريد؟

التقطت علبة السجائر، وأخذت منها واحدة، وراحت تشعلها وتستنشق
دخانها برقة وأنوثة.

راحت تتأمل غيد أمها:

مع أي أكره التدخين جدا؛ إلا أنني لا أمل النظر إليك وأنت تدخين،
فطريقتك عجيبة وتلفت الأنظار.

نضال:

كل ما فيّ عجيب ويلفت الأنظار، ولا تظني أن ذلك نعمة بل هو نقمة.

غيد:

معقول أن تكون كل تلك الإثارة التي تحملين نقمة؟

نضال:

هي نقمة لأنني كنت أثير الطمع عند الآخرين مما جعلني هدفا لهم دائما،
بالمناسبة أنت قدمت لي القهوة والسيجارة وأنا شربت الأولى ودخنت الثانية، ولم
تطلبني مني المقابل، يبدو أن فكري عن دهائك ستتغير.

غيد:

لقد اتفقنا.

نضال:

ألا تخافين أن أُحلّ باتفاقي وأنسحب وقد نلت منك ما أريد؟؟؟؟؟؟؟؟

غيد:

أولا... لست ممن يخلّ باتفاقه، وثانيا أنت بدأت فعلا بطلبي قبل أن أطلبه ورحتِ تسردين باقي القصة، أريد أن أعرف الباقي أرجوك، وهل يعقل أن يكون هناك من بتلك الخسة؟؟؟ أكملني أرجوك يا صديقتي.

ضحكت نضال بسخرية:

نعم هناك من بهذه الخسة؛ عندما وصل حبيبي وأهله، اعتذر منهم والدي وقال لهم: إن ابنتي قد خطبت لشاب آخر، وإن غيرهم قد سبقهم بالخطبة.

غيد:

يا الله، أتخيل حال حبيبي عندما سمع الخبر.

نضال:

كان خبر خطبتي أهون ألف مرة من خبر معرفته الخاطب؛ هنا فقط جن جنونه، وراح يبرحه ضربا حتى اعتقلته الشرطة واتهمته عائلة خطيبي بالشروع بالقتل.

غيد:

وما الذي فعله؟؟؟؟

نضال:

فشلت كل محاولاتهم بإقناع عائلة خطيبي بالتنازل عن القضية؛ لدرجة أن أمه قبلت حذاء أبيه خوفا على مستقبل ابنها؛ لكنه رفض بكل قسوة وغرور؛ فحكمت عليه المحكمة بخمس سنوات في الحبس.

نهضت غيد وراحت تدور في الغرفة ذهابا وإيابا وهي تفرك يديها وتقول:

ظَلَمَةٌ جبناءً حقراء... ظلمة جبناءً حقراء.

جلست على السرير ونظرت في وجه أمها وقالت:

كرهتُ جدي لما فعله بك وبحبيبيك، لكن ما فعله خطيبك ووالده جعل جدي يبدو أمامهم رجلاً طيباً.

صمتت نضال ولم تجب فأكملت غيد قولها:

الحمد لله أنك لم تتزوجي ذلك الخطيب الجبان والسيئ، أقسم أني لو آراه الآن لبصقت في وجهه؛ ووجهت له كل ما أعرف من الشتائم؛ كيف يرتضي لنفسه أن يمتلك جسد امرأة تنتمي روحها لغيره؟؟؟؟ كيف يرتضي أن يعدم مستقبل صديقه في السجن لمدة خمس سنوات... كيف؟

بقيت نضال في صمتها؛ فقالت غيد:

الآن أريد أن أعرف كيف تخلصت من ذلك الحقير؟

هيا... لنمارس بعض الجنون

جلس الجميع يشربون الشاي في الثامنة مساء وهم مستمتعون فقالت
أحلام:

يا عم يقول رامي إنك تأخرت عليه أكثر من نصف ساعة.

الحاج عبد الرزاق:

نعم يا ابنتي الشوارع مزدحمة جدا.

أحلام:

لهذا أردت تعلم القيادة حتى أوصول رامي وأعود به، ولا تنس أن سامرًا
سيدخل المدرسة أيضا العام القادم.

الحاج:

ولا مانع عندي مطلقا.

أحلام:

إذن، هيا علمني الآن.

الحاج:

سبق وأخبرتك أن زوجك موجود وهو من يعلمك.

شرق أحمد وهو يشرب الشاي؛ فاعتذرت أحلام بدلا منه:

أحمد لا يملك الوقت الكافي؛ لأن امتحاناته اقتربت.

ضحك الحاج وقال: أنا ملزم بتعليم الحاجة سعاد إن أرادت قيادة السيارة،

أما غير الحاجة فأنا غير ملزم به.

انفجر الجميع ضاحكين بما فيهم أحمد المرتبك وأحلام.

خاطب الحاج أحمد:

الوقت مناسب الآن؛ اذهب وعلم زوجتك القيادة؛ فالشوارع فارغة والناس كلهم في بيوتهم بسبب البرد.

حاول أحمد وأحلام التعذر؛ لكن الحاج ألح عليهما لدرجة إجبارهما، بينما صار رامي وسامر يشجعونهما ويسحبونهما من أيديهما.

تحت وابل الضغوطات ركب الاثنان السيارة وراح أحمد يشرح لأحلام أصول القيادة نظرياً؛ وبعد ذلك راح يمارس العملي بتقديم أحلام السيارة تارة وإرجاعها تارة أخرى؛ أخذ الحماس من أحلام؛ فطلبت منه أن تنزل إلى الشارع بالسيارة؛ لكن أحمد رفض، وقال: في المرة القادمة سيختار وقتنا متأخراً كي يضمن عدم وجود أحد في الشارع.

في تمام الحادية عشرة نزلت أحلام فوجدت أحمد يجلس في الصالة أمام التلفزيون وقد وضع رأسه على يديه وأهمل التلفاز الذي لم يفلح المسكين بجلب اهتمامه.

قالت أحلام:

أتحرق شوقاً للنزول للشارع بالسيارة.

أحمد:

أكيد ستنزلين يوماً ما؛ فأنت سريعة التعلم حد الدهشة.

أحلام:

سأطلب منك طلباً فلا تتهمني بالجنون.

أحمد وقد اعتدل في جلسته واتكأ على ظهر الأريكة وحرك يديه بمعنى

تفضلي،

أحلام:

أريد النزول للشارع الآن بالسيارة.

أحمد:

أنت مجنونة بالفعل.

أحلام:

وأين جنونك أيها المجنون؟

أحمد:

وأنا مثلك أتساءل... أين جنوني؟

وقفت أحلام وقالت:

هيا لنمارس بعض الجنون.

نهض أحمد وكرر بعدها مؤكدا:

لنمارس بعض الجنون

بالفعل خرج الاثنان في السيارة وكانت فرحة أحلام لا توصف وهي تقود

تلك السيارة الكبيرة (لاند كروزر) حيث كانت تشعر بالزهو والمتعة فينفس

الوقت؛ حتى ظهرت أمامها سيارة مسرعة جدا.

بعض أسرار الماضي يجب أن تبقى
مرفونة في الأرواح فإعلانها يهدم الأسر

أمسكت نضال بابتها وقالت:

دعي الماضي يا ابنتي أرجوك.

غيد:

بعد كل هذا الذي سمعت؟ مستحيل طبعاً، أخبريني كيف تخلصت من

ذلك الحقيير الخائن؟

تركت يد ابنتها وقالت متهربة:

أعتقد أننا في حاجة لفنجان قهوة ثان.

غيد وهي تضحك وتشير بأصبعها إلى رأسها:

لن تنفعل ألعيبك أيتها المحامية؛ سأكرر سؤالتي:

كيف تخلصت من ذلك الرجل؟

السيدة نضال:

بعض الأشياء علينا نسيانها والتكتم عليها؛ فقد تكفل الزمن بها.

ردت غيد بحدية:

وكيف تكفل الزمن بها يا أمي؛ أنت تظلمين أبي الطيب معك، ولا ذنب له

إلا أنه تزوج امرأة بيعت بصفقة من أبيها.

السيدة نضال:

سأحيني يا ابنتي لن أستطيع أخبارك.

غيد ساخرة:

سأعمل لك فنجان آخر وأمرني الله .

ضحكت نضال وردت:

لا تحاولي .

تحدثت غيد بطريقة التوسل:

ألسنا صديقتين؟

نضال:

وصلت حكايتي للحد الذي صارت تهدد سعادة الآخرين، أعتقد أن الوقت قد حان لننسى الماضي ونبدأ من جديد.

غيد:

إن وثقتِ بي سأثق بك يا أمي .

نضال:

أقسم أني أثق بك، لكن اتركي الماضي، أرجوك.

غيد:

أنا أعاني من علاقتي بأحمد كثيرا، وأحتاجك كأم وصديقة تملك القوة والخبرة.

نضال وقد احتضنت ابنتها:

وأنا لن أكون لك إلا صديقة وداعمة.

غيد:

كيف أفشي لك أسرار اليوم وأنت تخفين عني أسرار الماضي؟

نضال:

لا تلعبى على إحساسي وقلتي، أقسم أن إخفاء باقي الحكاية فيه مصلحة للجميع.

نهضت غيد وقالت بتحدٍ:

إذن أعتذر عن البوح لك بما يؤلمني.

وخرجت من الغرفة وأمها تنادي عليها لكن دون فائدة.

دون شعور... وهدتلك تحضن جسدي

لم تعرف أحلام ما تفعل أمام ظهور تلك السيارة المسرعة أمامها سوى الصراخ، بينما وضع أحمد ذراع السرعة على وضعية عدم التعشيق (N) وسحب الكابح اليدوي بكل قوته مما أعطى السيارة بعض الثواني كي تمر دون أن تصطدم السيارتان.

توقفت السيارة على بُعد مسافة قصيرة؛ بينما راحت أحلام ترتعش خوفاً من هول الموقف؛ مما اضطر أحمد أن يحتضنها ويربت على كتفها ويقول لها مطمئناً:

اهدي أرجوك كل شيء بخير.

فجأة شعرت أحلام بأنها في حضن أحمد؛ فانتفضت منه بسرعة وقالت:

كدت أن أقتلك بسبب تهوري.

ضحك أحمد وقال:

ليس الأمر بذلك السوء؛ ومع ذلك لم تخطئي أنتِ، بل هم من كانوا مسرعين في التقاطع، بمعنى كل واحد منا كان سيمر بها مررت يا....

أحلام:

ألم تلاحظ أنك لم تلفظ اسمي منذ يومين.

أحمد:

لم أنتبه لذلك.

أحلام:

منذ يومين لم تتصل بك حبيبتيك، وذلك ليس من عاداتها؟
شعر أحمد بالخرج:

يبدو أنها غاضبة مني.

أحلام:

وهل أخبرتها أنك تزوجت؟

أخفض أحمد رأسه وسكت.

أحلام:

أتخيل حجم مأساتها عندما تعلم بذلك.

استمر أحمد في صمته وكأنه يوافقها على كلامها.

أحلام:

أنت في وضع لا تحسد عليه؛ لكن أنا على يقين أنها ستفهم الأمر.

تنهد أحمد وهو صامت لا يتكلم.

أحلام:

علينا العودة الآن.

خرج أحمد من صمته وقال:

دعيني أقود السيارة للبيت أنا.

نظرت إليه أحلام نظرة حادة وقالت له:

إن كنت سأنسحب من أول حادث فلن أتعلم؛ عليك أن تثق بي.

حركت السيارة واتجهت إلى البيت راجعة.

دخل الاثنان البيت وهما يضحكان على ما حصل، وما إن فتحا الباب حتى

وجدوا برامي يحمل شمس وهي تبكي، فقفزت إلى ابنتها بينما سكت أحمد عن

الكلام، ترك رامي أمه بعد أن رمقها بنظرة حادة وصعد إلى غرفته.

صعد كل من أحلام وأحمد السلم وهما يتبادلان الضحكات على ما مر بهما من جراء قيادتها للسيارة؛ بينما كان باب غرفة الحاج عبد الرزاق مفتوحا قليلا، وهناك عين تراقبهما من خلفها وبدقة.

انتبهت الحاجة سعاد التي لم تجد الحاج في مكانه؛ لكنها وجدته يراقب من الباب فقالت له:

سلامات يا حاج؛ أهناك شيء ما؟

أغلق الباب الحاج واندس في السرير وقال:

كل شيء على ما يرام.

الحاجة:

وما هو ذلك الشيء الذي على ما يرام؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

الحاج:

تأخر الوقت وعليك النوم يا امرأة.

استدارت الحاجة وأشعلت المصباح المنضدي الذي بجانب رأسها وقالت:

أخبرني الآن إلام كنت تنظر؟

هز الحاج رأسه استسلاما ورد عليها:

أحمد وأحلام كانا في نزهة في السيارة وعادا للتو وهما يضحكان.

الحاجة:

ومما سبب فرحتك يا رجل؟

الحاج:

أقول لك يضحكان يا امرأة... يضحكان.

هزت الحاجة يدها ساخرة، واستدارت وأطفأت المصباح وهي تقول:

يبدو أن الجلطة أصابت عقل الرجل لا قلبه.

الحاج:

ماذا تقولين يا حاجة؟

الحاجة:

لا شيء، أقول لك: تصبح على خير.

كيف لعيني أن يفحصا في عينيك؟ وهما يحملان ملامح الحيات

دخلت أحلام غرفة أحمد وقالت له:

انهض يا أحمد، عليك أن تعود للجامعة؛ فقد فاتك الكثير من المحاضرات.

أحمد:

اتركيني أرجوك فأنا لن أذهب اليوم.

رفعت أحلام الغطاء الوفير والدافئ عن أحمد وتركته وخرجت وهي تقول:

نحن بانتظارك في الأسفل.

قال أحمد محدثا نفسه:

وكيف سأواجه غيد بما فعلت... أعتقد أن عليّ التكتّم على ذلك حتى نهاية

الموسم الدراسي وبعدها أرى ما أفعل بهذه المصيبة.

كان الفطور شهيا وممتعا في نفس الوقت، لكن اللافت أن الحاج كان أسعد

الجميع وهو من كان يطلق النكات وهو في غاية السعادة.

قال الحاج:

ما برنامجك اليوم يا ولدي؟

أحمد:

سأزور الشركة وبعدها أتوجه إلى الكلية في الثامنة صباحا.

تغيرت ملامح الحاج نحو التوتر والارتباك وقال:

ربما عليك تأجيل الذهاب إلى الكلية عدة أيام.

أحمد:

لمَ يا والدي؟

الحاج:

عندنا أعمال كثيرة علينا إنهاؤها.

أحلام:

لكن يا عم، هو لم يذهب إلى جامعته منذ يومين أو أكثر، أعتقد أن عليه

التخرج هذا العام.

استغرب الحاج من مسانقتها لأحمد؛ فهو يحاول إبعاده عن الجامعة هذه

الأيام، فقال:

إذا كنت تريدن منه الذهاب فليذهب.

تدخلت الحاجة وهي لا تعلم نوايا الحاج، وبسذاجة:

أرى أن أحلام صارت هي من تحدد مصلحة الشركة أيضا.

ضحك الجميع.

لم كنت غيبه...
لأحرم نفسي من متعة أن أكون (أما).

كان الصباح جميلا في بيت غيد؛ لكن الأجل هو أنها رأته أمها أكملت إعداد الفطور، وقد جلس أبوها في مكان رب العائلة؛ واللافت أن نضال كانت تبدو بوجه يحمل مسحة من الراحة على عكس ما كانت عليه من التجهم في أغلب الأوقات.

(صباح الخير)؛ هذا ما قالت غيد، وراحت تقبل أمها القريبة، ومن ثم أباهما البعيد عنها؛ ثم نظرت إلى المائدة وقالت:

والاو،،، كل هذا فطور؟

نضال:

سأحاول العودة مبكرة من المحكمة وسأعد لكم وليمة.

غيد:

وليمة؟

ابتسمت نضال وأكملت سكب الشاي لزوجها؛ وهو ما لم تكن قد اعتادته من قبل؛ لدرجة أنه فتح عينيه دهشة.

قال عدنان:

أكملي فطورك وسأوصلك اليوم؛ فلدي متسع من الوقت.

نظرت نضال إلى ابتها نظرة حب، وقالت: بل أنا من سيوصلها.

عدنان:

لكن مكان عملك أبعد من مكان عملي.

نضال:

وغن يكن... أريد الاستمتاع بصحبة هذه الفتاة الرائعة.
لم تصدق غيد ما سمعت؛ لدرجة أنها غصت بالطعام وراحت تسعل،
فهرع كل من أمها وأبيها نحوها؛ لكنها أشارت إليهما بيدها: (لا شيء).

قالت نضال:

مالك يا ابنتي؟؟؟؟ لم العجلة!!!!!!؟؟؟؟؟؟

بعد أن استعادت غيد أنفاسها:

كله بسببك .

استغربت نضال وقالت:

بسببي؟

غيد:

أكيد... فقد أدهشتني بتغيرك.

ضحك الجميع؛ فردت عليها نضال:

سأعود إذن كما كنت كي أحافظ عليك.

غيد:

إياك أن تعودى، أريدك كما أنت.

كان الطريق الجامعة مختلفا تماما عن كل يوم؛ فارتدى وجه غيد الفرح
وشاحا جعله الأجل.

توقفت السيارة في تقاطع مزدحم، ولاحظت غيد أن أمها أخذت كل
الاهتمام من السيارات التي بجانبها والمحيطه بها فقالت لها:

كيف تتعاملين مع زحمة المعجبين الذين يفقدون صوابهم عند رؤيتك؟

ضحكت نضال من كل قلبها؛ فزادها جمالا مضاعفا وإثارة:

تأديبي يا بنت، أراك صرت تتهادين بأسئلتك؟؟؟؟

غيد:

أو لسنا صديقتين يا نضال؟؟؟؟؟؟

فعادت للضحك ثانية وقالت:

قد أجد التعامل مع أولئك المنبهرين بي، ولكن بصراحة لا أعرف كيف

أتعامل مع الفتاة الصغيرة التي تبهرني بذكائها وخفة دمها.

وبعد نصف ساعة ركنت نضال السيارة، وراحت تتأمل وجه ابنتها وهي

تنظر لها بكل الحب. وكان الفعل مماثلا من غيد؛ ففتحت الأم ذراعيها

واحتضنت ابنتها وقالت لها:

أحبك.

فجأة صرخت غيد بقوة:

أمي... أمي

ذعرت نضال وقالت:

مالك يا ابنتي؟

غيد وكلها فرح:

انظري هناك... انظري هناك .

نضال:

أين؟

غيد على جانب الأيسر.

نضال:

على ماذا أنظر؟

غيد:

أحمد.

نضال:

ما حولي كلهم شباب فأني منهم هو أحمد؟؟؟
نسيت غيد فجأة كل الغضب والخصام ففتحت الباب؛ ونزلت مهرولة واتجهت
مباشرة إلى أحمد؛ واقتادته من يده وجاءت به إلى أمها الجالسة في السيارة.

غيد:

هذا أحمد يا أمي .

ابتسمت نضال في وجه أحمد؛ وقالت تمازحها معا:

لم أكن أتصور أنه بهذه الوسامة .

ضحك أحمد وغيد، ورد أحمد:

ولم أتصورك سيدتي بكل خفة الدم هذه.

تدخلت غيد وقالت:

أعتقد أني جذع الشجرة اليباس بينكما .

انفجر الاثنان ضاحكين .

أنهت نضال الحوار اللطيف وقالت:

سيكون لنا لقاء آخر يا أحمد؛ لكن الآن عليّ المغادرة فقد تأخرت على عملي .

أقدس الأوطان هو قلبه (عبيد)
وكيفه يحونو القلبه وطنه؟؟؟

بعد أن غادرت المكان قال أحمد ممازحا غيد:

أمتأكدة أن هذه هي أمك؟

ولأن غيد تعرف خبث أحمد قالت:

هي أمي؛ فقل ما تريد فأنا جاهزة.

ضحك أحمد وقال:

هي لا تشبهك.

غيد:

أتقصد أنني لست جميلة.

أحمد:

أنت جميلة؛ لكن أعترف لك أن جمال أمك أخاذ.

ابتسمت غيد وسألته:

كم تعطي أمي تقيما من عشر درجات؟

أحمد:

عشرة من عشرة.

وأنا؟

صفر من عشرة.

ضربته وقالتك الذنب ذنبي، أنا الحمقاء التي أكلمك وأنت الغائب وبلا أسباب،

ولا تكلف نفسك ولا حتى باتصال هاتفي، والآن ها أنت تتغزل بأمي على حسابي.

أحمد:

ولم ألتصلي أنت؟؟؟؟؟

غيد: أعتقد أن الهاتف شاهد على عدد اتصالاتي.

أحمد:

علينا الإسراع فالمحاضرة على وشك البدء.

توقفت غيد وأمسكت به من يده وقالت له:

لن أبرح مكاني حتى تخبرني أين كنت طوال اليومين الماضيين؟

نظر أحمد في وجهها ملياً، وراح يتأمله وهو الحامل لكل طيبة الدنيا وتلك

الابتسامة الطفولية التي ترسم ببراءة؛ راح يتخيل ملامحها وهو يخبرها بما جرى،

يا ترى هل ستنجو من وقع الخبر؟

راحت غيد تهز يده وتقول:

ها، أجنبي ولا تسكت.

كان أحمد قد قرر ألا يخبرها أبداً بما جرى، لكن وجهها كان عامل ضغط برقته

أكبر من احتمال روجه الطيبة، والتي لم تألف الكذب ولم تعرف الخداع.

تركت غيد يده وتغيرت ملامحها إلى الغضب ثم استدارت وقالت:

أنت لا تحبني.

أحمد:

أنا أحبك حد كرهني نفسي.

غيد:

ويحك، أكره نفسك لأنك تحبني؟؟؟؟؟

أحمد:

بل لأنني لا أستحقك.

غيد:

منذ فترة وأنت متغير، لكنك اليوم بكلامك يبدو أنك وصلت للذروة؛ أرجوك أخبرني ما بك ولا تقسو على روحي بمماطلتك.

أحمد:

أنا إنسان غير مسؤول ولا أستحق وفاءك لي.

غيد:

بل أنت سيد الرجال وأطيبهم قلبا ولم تكن يوما أنانيا أبدا.

ضحك أحمد ساخرا:

طيب وغير أناني... وتلك هي مصيبتني

غيد:

أرجوك عن أي مصيبة تتحدث؟؟؟ أنت تقتل فرحتي برؤيتك بحديثك

السخيف هذا.

أخفض أحمد رأسه وقال:

لقد تزوجت أحلام.

قلبي توقف لحظاتي غيابه

في الواحدة ظهرا وصل الحاج إلى مدرسة رامى فوجدها مغلقة و لا يوجد أي أحدٍ فيها، فاستغرب كثيرا إذ إنه يعرف أن المدرسة لا تغلق أبوابها إلا بعد تسلم آخر طالب فيها من قبل أهله؛ فراح يطرق الباب بقوة وهو يصرخ على من في المدرسة من حراس، فخرج له رجل عجوز وهو يهرول ويقول:

صبرك يا حاج علينا.

لم يستطع الحاج أن ينتظر وصول الرجل العجوز إليه فراح يسأله حتى قبل أن يصل:

هل حفيدي موجود؟

الحارس:

قل السلام عليكم يا رجل أولا.

الحاج عبد الرزاق:

السلام عليكم... هل حفيدي موجود في مكان ما من المدرسة؟

الحارس:

لا يوجد أحد في المدرسة إلا المدير.

الحاج:

ولكن أين حفيدي؟ أنا لم أخذه.

أشار الرجل بيديه وشفتيه وكأنه يقول: الله أعلم.

سارع الحاج بالاتصال بأحمد وسأله:

هل أنت من أخذ رامى من المدرسة؟

فأجابه عبر الخط بأنه لم يصل البيت أو المدرسة.
في هذه الأثناء رأى المدير وهو يهيم بالخروج؛ فأسرع إليه الحاج وسلم عليه،
فترجل المدير من سيارته ورحب بالحاج ترحيباً حاراً، وحمد الله على سلامته؛
لأنه قد سمع بما أصابه من أمور الجلطة؛ فرد عليه الحاج:

المدير:

ولم الخوف؟ هو مع أمه.

استغرب الحاج جدا وقال للمدير:

لكن أمه لا تغادر البيت مطلقاً؛ فهي لا تذهب إلى السوق إلا بصحبة واحد

منا.

رد عليه المدير فزعا:

أرجوك يا حاج تأكد من أهل بيتك فقد أفلقتني.

فتح الحاج هاتفه الخليوي؛ واتصل بالحاجة وسألها عن رامي فردت عليه

تخبره بأنه في البيت وهو يلعب مع إخوته.

الحاج:

وكيف استطاع الوصول إلى البيت والمسافة شاسعة؟؟؟؟؟؟؟؟

الحاجة:

أحلام هي من أحضرتة إلى البيت بنفسها.

الحاج:

وهل أخذت سيارة الأجرة وحدها؟ أم كنت أنت من يرافقتها؟

الحاجة:

بل أخذت سيارة هشام المركونة في المرآب السفلي للمنزل.
استرد الحاج حمّارَ وجهه المألوف بعد أن تحول إلى الاصفرار بسبب خوفه
على رامي، وبعد أن طمأن المدير توجه إلى البيت مباشرة؛ وما إن وصل إلى البيت
حتى استقبلته أحلام معتذرة:
أعتذر جدا يا عم؛ فقد كان علي أن أخبرك بأني سأحضر رامي بنفسني.
الحاج عبد الرزاق:
أي اعتذار يا ابنتي؟؟؟ أنا في غاية السعادة والفرح لأنك تمكنت من قيادة
السيارة كل هذه المسافة، حقا أنت مدهشة.

مؤلم أنه نكتشفه أنه الرمز الذي نقره هو مجرد (كذب)

دخلت غيد وهي بالكاد تستطيع المشي على أقدامها واتجهت إلى الأريكة
الموجودة قريبا من باب الدخول وارتمت عليها.

انتبهت إليها نضال وحالتها المزرية؛ فتوجهت إليها مباشرة بعد أن وضعت
أحد الصحون والذي كانت تحمله بيدها:

مالك يا ابنتي؟

غيد وهي بالكاد تتكلم:

لا شيء.

اندفعت نضال وجلست بجانب ابنتها التي أعطتها ظهرها لكي لا ترى
وجهها وقالت:

كل هذا الذي ألم بك من مكروهه وتقولين لا شيء؟؟؟؟؟؟!!!!!!

التفتت غيد إلى أمها فانفجر بركان من الدمع من عينيها واحتضنتها وهي
تقول:

خائن... خائن؟

نضال:

هدئي من روعك؛ وكل شيء سيتم إصلاحه بالتأكيد؛ أحمد شاب طيب
ومؤدب.

غيد:

لحد هذه اللحظة لا أصدق ما حصل.

نضال:

وما الذي حصل بالضبط؟

غيد:

قد تزوج من أرملة أخيه.

نضال:

مستحيل، هذا تصرف غبي ومجنون.

خرجت غيد من حضن أمها وراحت تمسح دمعها وتقول:

ادعى أنه أجبر على ذلك تحت وطئة معانات تلك المرأة؛ وأنه أراد إنقاذها

مما تعاني.

نضال وهي تعود لشخصيتها الصلبة:

أحق هذا أم يتحاقق؟ ينقذ أرملة أخيه ويقتل حبيبته؟؟؟ لم أكن أتوقعه

بهذه الخسة!!!!!!!

غيد:

ربما يكون أحقح ولكنه ليس خسيسا.

نهضت نضال عن الأريكة وقالت بعصبية:

بل هو كاذب وحقير ودنيء نفس؛ كيف يسمح لنفسه أن يخون إنسانة

وثقت به واحترمته؟؟؟؟؟؟؟؟

غيد:

هدئي من روعك يا أمي، وعدني أن يصلح الأمر.

فتحت نضال عينيها وقد اختلط فيها شعورا الغضب والتعجب:

هل ستغفرين له فعلته القبيحة تلك؟

غيد:

لأني أحبه .

نضال:

أنت حمقاء ومجنونة، ومن مثله يستحقون الإعدام على قتله لقلبك
ومشاعرك.

نهضت غيد وواجهت عيني أمها التي كانت أطول منها وقالت بتحد:
تعتبرين زواجه من غيري خيانة؟ وكل ما يربطنا علاقة حب، فما بالك لو
كنا متزوجين؟

عضت نضال على شفتيها وقالت بحرقه:

عندها سيستحق الحرق وهو حي .

غيد:

وأين كانت أحكامك هذه عندما كنت على علاقة برجل غير أبي؟؟؟
تغيرت ملامح نضال للارتباك ولم تجد ما ترد به؛ فأكملت غيد كلامها:
ومع ذلك أنا لم أحرقك ولم أبلغ أبي، بل ساحتك .
أعطت نضال ظهرها لابنتها متهربة من نظراتها القاتلة، وقالت:
لا تخلطي بين الحاليتين؛ فلكل منا ظرفه .
غيد وهي تصر بتوجيه الاتهام إلى أمها وبعصية:
وأي ظرف يسمح لامرأة في الأربعين أن تخون زوجها الطيب جدا مع
رجل آخر .

استدارت نضال واقتربت من ابنتها جدا ولامح وجهها تنذر بالانفجار وقالت:
ذلك الرجل الطيب في نظرك هو من قام بفعلة السافلة وسلب من
صاحبه حبيته وأودعه السجن، تَبَّكم أكرهكم جميعا!!!!!!!!!!!!!!

يستطيع المرء أن يحفر ما بداخله؛ إلا عند الثمالة
فهو يعمل ويقول ما يرغب وشتهيه

عند الحادية عشرة وصل أحمد إلى المنزل وفتح الباب؛ واتجه إلى السلم
مباشرة؛ لكنه سمع أحلام تهمس له:

أين كنت؟؟؟؟ كان الحاج والحاجة في غاية القلق عليك، وقد اتصلت بك
كثيرا لكنك لم تجب قط.

ابتسم أحمد في وجه أحلام بتعب وقال:

لا شيء؛ فقد تأخرت في الشركة.

أحلام:

كيف والعمل في الشركة ينتهي الرابعة عصرًا؟؟؟؟؟؟

أحمد:

أنا المدير وأفعل ما يحلوي.

وما إن صعد درجتين من السلم حتى خاطبته أحلام:

يبدو أنك لم تأكل شيئًا؟

أحمد:

لا شهية عندي لطعام.

صعدت أحلام درجتين وكأنها فريق يتبع منافسه في دوري الأبطال وردت:

لكنك لم تأكل منذ الصباح.

توقف أحمد واستدار لأحلام وبينهما درجتا السلم:

وكيف تعرفين أنني لم أكل شيئًا؟

تقدمت أحلام درجة من السلم لينخفض الفارق إلى واحدة:
ملامح وجهك وحركتك البطيئة.

أحمد:

نادرا ما تجتمع الطيبة والذكاء معا؛ وأنت من تلك النواذر.
تقدمت أحلام درجة أخرى لتصطف بقربه محققة التعادل في ترتيب
الدرجات:

من يجب شخصا يهتم بكل تفاصيله؛ وليهتم بتفاصيله عليه أن يدرس
شخصيته.

اقتربت أحلام أكثر وراحت تشم أنفاسه؛ وكأنها تبحث عن شيء أو
تكتشف شيئا ما، وقالت:
في أنفاسك رائحة غريبة.

ضحك أحمد وصعد السلم تاركا إياها بعد أن تقدم بترتيب الدرجات
للقمة.

دخل أحمد غرفته وارتمى على سريره دون حتى أن يضيء غرفته؛ بعد
لحظات طُرق الباب فردب: (ادخل)؛ فدخلت أحلام تحمل صينية فيها الطعام؛
فأضاءت الغرفة وجلست على سريره وقالت لأحمد:

متى ستكبر أيها الطفل الصغير؛ حتى رامى كبر، وما عاد يدخل سريره
حتى يغير ملابسه.

أحمد:

احملي الطعام واتركيني، أرجوك.

أحلام:

لست في الشركة لتعطي الأوامر لموظفيك؛ أنت هنا من عليه استلام الأوامر وتنفيذها، هيا قم وكل شيئاً.

أحمد :

لن أكل شيئاً.

أحلام:

أيرضيك أني أعددت كل هذا ويذهب عملي هباء؟؟؟؟؟؟؟؟

أحمد: لا تحاولي.

اقتربت أحلام منه أكثر وراحت تقلبه لترى وجهه وهو لا يتحرك، فاضطرت أن تصعد على سريره بركبتيها لتسيطر عليه أكثر وأخذت تقلبه فتمكنت من قلبه؛ لكنها فقدت التوازن لتقع فوقه دون قصد منها.

حاولت أحلام النهوض لكنها فوجئت بيدي أحمد تمسكها وكأنها تحول الجسدين لجسد واحد رافض للانفصال،

أخذ أحمد بتقبلها وهي تتمتع وتتوسل له وتقول:

أحمد...أحمد عيب عليك اتركني.

أحمد:

أنت زوجتي ولي الحق أن أنال منك ما أريد.

أحلام:

إن لم تتركني الآن سأصرخ وأستنجد بعلمي.

أحمد:

اصرخي إذن وامنحي السعادة لوالدي الذي ينتظر أن أتم إرادته بالزواج

منك.

أحلام:

أنت لست طبيعياً، أرجوك اتركني.

انقلب أحمد بجسده لتصبح أحلام تحته وهو يعتليها، وهي تحاول التملص منه دون أن تكون لها القدرة على ذلك.

وسط تمنعها مد يده فمزق ثوبها من مكان الصدر، وأحلام بين نارين: أن تصرخ فتوقظ أطفالها؛ وبين هذا الرجل الذي تغير فجأة.

هناك من يملأها ثيابا فاخرة ويسكن فيها أماكن فاخرة،
لكن أرواحهم (رثاء) ولا ينفع معهم كل ترقيع للمشاعر

طُرق باب غرفة غيد أكثر من مرة لكن دون إجابة، مما دعا بالسيدة نضال
إلى دخول الغرفة دون إذن منها.

كانت الغرفة معتممة تماما لكن فُتِح الباب سمح للضوء بالدخول إليها؛ فلم
تحمّل عينا غيد الممثلات دمعا والمتفجرتان بركانا أحمر ذلك الضوء..

وضعت السيدة نضال ما بيديها على المنضدة وعادت لتضيء الغرفة؛ بعدها
اتجهت إلى ابنتها وجلست بجانبها وقالت:

نرسم صورة لرمز من نحبههم بألوان القداسة ونعلقها على جدار الذاكرة؛
متناسين أن من نحبههم ونؤمن بهم هم بشر مثلنا يخطئون ويصيبون ولديهم ما
لدينا من رغبات خلقتها الله بنا.

كانت غيد تنام على بطنها ووجهها إلى أمها وبعد سماعها الكلام أدارت
وجهها نحو الحائط.

عضت نضال على شفتيها ألما وحرقة وقالت:

مؤلم أن تصاب الفتاة بخيبة وخصوصا إن كان مصدر تلك الخيبة هو
أبوها؛ فهو أول الرجال وأقدسهم في حياتها، أحسُّ وأشعر بما تشعرين يا ابنتي
فقد مررت به.

أجابت غيد بصوت منخفض ويكاد أن يكون همسا يحمل الكثير من

الحزن:

لا، لم تعيشي ولم تشعري بما أعاني.

نضال:

عندما كان أبي يحتضر أرسل إليّ يطلبني؛ فلم أذهب إلا بعد أن رجتني أمي أكثر من مرة؛ كان بالكاد يتكلم وتسقط منه دمعة صغيرة جدا كل دقيقة؛ وكان مؤقتا للدمع رُكْب في عينيه، سألتني أن أسامحه على ما أقدم عليه من حرمانني ممن أحببت؛ وأقسم أنه كان يريد بكل ذلك مصلحة العائلة ومصلحتي.

لم أشعر به كأب، بل كان يتكلم وكأنه نخاس يبيع الجوارى ويشترى البشر وعواطفهم؛ فقلت له:

إن كان ما فعلته صحيحا فلم أرسلت إلي تطلب مني أن أسامحك؟؟؟ أم أنك تمارس الأعبك حتى وأنت تموت؟؟؟؟؟

أصيب الجميع بالدهشة؛ فلم يتصور أحد أن أتجرأ وأكلمه بهذا الشكل؛ لدرجة أن أمي لم تتكلم معي كعادتها وتؤنّبني؛ فقد كانت منقادة لأبي لدرجة أنها كانت بلا هوية.

كسرتُ حاجز الصمت، وقلتُ له بعد أن أخفضت رأسي قليلا:

عليك أن تعترف لمرة أنك كنت مخطئا.

لم يستطع الاستمرار بالنظر في عيني، وأشاح عني بوجهه؛ لكنه تكلم بعد

تردد وبصوت خفيض جدا:

أعترف لك أي كنت مخطئا بحقك.

رفعت رأسي واستقمت بظهري وقلت:

أتظلمني بالعلن؛ وتعترف بخطئك بالسر؟؟؟؟؟ أيعقل أن من بقوة شخصيتك وتأثيره على الناس يخاف من الاعتذار عن خطأ بسيط و لمرأة بسيطة

مثلي؟؟؟؟؟؟؟؟

فقال وهو يعتصر الكلمات:

أعترف لك يا ابنتي أي أخطأت في حقك.

شعرتُ بالزهو حينها وراحت أمدح التشفي به تسقي روعي المهترئة بسبب خيالي المتلاحقة؛ فهذه أول مرة يعترف والدي بما ارتكبت يداه، وعلى مسمع من أصهاره ونساء إخوتي؛ قبل إخوتي وأخواتي أنفسهم؛ وأنا أعرف الناس بما يعني ذلك له من تعذيب.

سألته حينها:

والآن بعد اعترافك بأنك أذنبت بحقي ماذا تريد؟؟؟؟؟؟

قال:

أن تسامحيني حتى أقابل الله خاليا من ذنوبي بحقك.

كنت حينها أتمشى في غرفة والدي الكبيرة، وأمر من خلال الحضور بالمصارع الإسباني الذي سقط الثور الذي يحاربه، ويتنظر أن يريجه بطعنة سيف؛ فقلت له:

بعد عشرة أعوام من الاغتصاب من زوج خائن، وذكر لا يعرف من الرجولة شيئا؛ قَبِلَ على نفسه أن يمتلك جسد امرأة وهو يعلم جيدا أن روحها لغيره؟؟؟ وأنها تحلم يوميا بحبيبتها الذي أودعتموه السجن وتفكر فيه، تطلب مني أن أسامحك هكذا ببساطة؟؟؟؟؟؟

أتعرف أنك أناني جدا؛ فحتى اعترافك بخطئك جاء في الوقت الضائع من المباراة بعد أن لعبت شوطين وفق ما وضعت من أحكام وقوانين تتلاءم مع أهوائك، وأجبرت الكل على قبولها.

بعد الصمت رحت أقرأ عيون الحضور فوجدتهم صامتين من الدهشة
فأكملت:

عندما تدمع العين فهذا يعني أن جهنم في داخل أحدنا تستعر؛ ومن عجيب
خلقة الإنسان أنه بدل أن تظهر ألسنة اللهب، يطفح ماء من العين؛ وعندما أراك
اليوم تبكي أعرف أن سعيرا يأكل داخلك؛ لذلك أنت تشعر الآن بمعنى الدمع.
عندها بكيت أنا أيضا وبحرقه وعلا صوتي وأكملت:

كم بكيت حينها وكم توصلت!!!!!!... أتذكر أم أنك نسيت؟ كنت
الوحيدة من أخواتي التي رَفَضْتُ ابن شريكك، وطالبتُ بأن أكون لحبيبي؛
فاتهمتني حينها أي أنصرف كفتيات الشوارع، وأن أخواتي هن النموذج
الصحيح، وها أنت تراهن أجسادا بلا أرواح، تحولن لوحداث إنتاجية تُدخل
إلى جييك الأرباح من صفقات مع رجال لا يعرفون معنى المشاعر.

هنا انتفض أحد أخوتي وقال:

أنت تنطقين هراءح عليك تنفيذ ما أمر به أبي فقط.

نظرت في عينيه بقوة وقلت له:

أنا نفذت أوامره، وها أنا أعاني ما أعاني، والآن عليه أن يعرف تقييم ما ترك
من عائلة تعيش ازدواجية مقبته؛ ترتدي ملابس فاخرة، وتسكن أماكن فاخرة،
لكنها تملك أرواحاً رثة.

صمت أخي فبادر الآخر، وهو كان الأطيب، ومعاناته أشبه بمعاناتي

وقال:

علينا نسيان الماضي ونحن أبناء اليوم فساحي واغفري يا أختي،

فأجبتة وأنا أنظر في عينيه ولكن بنظرة الحب:

إن غفرت له؛ فهل سيغفر ذلك الذي أودعوه السجن وحرموه من مستقبله الجامعي وأخذوا منه حبيبته؟؟؟ أم هل ستسامحه تلك الأم التي قبلت حذاء شريكه فقط كي يعفو عن ابنها الذي ضرب مَن خانه وأخذ منه حبيبته؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

تركت أخي واستدرت أخاطب أبي العاجز عن الكلام بصوت عالٍ ودموع متساقطة:

ويحكم، كيف كانت لكم هذه القدرة على الظلم؟؟؟؟ كيف تمكثتم أن تضعوا المجني عليه في السجن؟؟ والخائن والسارق خارجه يستمتع بالغنائم.

أسرعت أهم بمغادرة المكان فتشبثت بي أمي وقالت:

أرجوك يا ابنتي، اغفري فهو أبوك.

توقفت ونظرت إليها وقلت:

لم أشعر به يوماً أنه أبي أو الحامي لي؛ بسببك أنتِ.

قالت مستغربة:

أنا!!!!!!؟؟؟؟؟؟

فأجبتها:

نعم أنت؛ كنا نخافه ونرتعب منه؛ لأنك كنت تخافينه حد الرعب، فأورثتنا رعبك منه.

خرجت من الغرفة تاركة الجميع وبعد ثلاثة أمتار من باب الغرفة سمعت صراخ الجميع معلنين وفاة أبي.

حينها عرفت أني الوحيدة من كل إخوتي التي ورثت جينات القسوة التي فيه؛ لأنني لم أذرف عليه ولو دمعة واحدة، وكان عمرك حينها تسع سنوات وكنت تسأليني:

من الذي مات يا أمي؟

وكنت أجيبك:

هو الوحش.

فتعودي لتسأليني: وكيف مات؟

فأجبتك حينها:

لم يمّت، بل قُتل، وأنا من قتله.

ومن يومها لم أعرف الحبّ قط، وأنزلت غضبي بعدنان، ورحت أنتقم منه

بكل ما أعرف من وسائل التحقير والإذلال؛ فقد هجرته وحرّمته من جسدي

الذي يعشقه حد الجنون.

استدارت غيد ونهضت بنصف جسدها و اتكأت على ظهر السرير وقالت:

وكي تنتقمي منه أكثر رح تمارسين العلاقات الغرامية مع غيره!!!!!!

نضال:

لم أمارس أي علاقة مع غيره في حياتي.

غيد:

وذلك (السخيف) الذي سمعتك تتكلمين معه عبر الهاتف؟

ضحكت نضال ضحكة ساخرة وقالت:

كان من المؤمل أن يكون أول عشيق لي؛ لكن تعرفين حظي النحس؛

جعلك تكتشفين علاقتي به من أول لقاء بيننا.

ضحكت غيد رغم حجم الحزن الذي يعتريها لأن طريقة نضال الساخرة

أجبرتها على ذلك.

بعد لحظات تأوّهت غيد وقالت بحزن:

تبقى محتتي أكبر يا () فقد أصابتنى الخيبة بأحب اثنين إلى قلبي:
حبيبي وأبي.

نضال:

وكان الخيبة ضريبة علينا دفعه دائما.

احتضنت غيد أمها وراحت تبكي بصوت عال؛ بينما احتضنت نضال ابنتها
بقوة وأغمضت عينيها حبا وقالت:

ابكي يا بنيتي؛ وإياك أن تسمحى للحزن أن يخنق قلبك كما فعل بي؛ وكوني
ضعيفة وذات إحساس خير من أن تكوني قوية ومتحجرة المشاعر.

أشد أنواع الظلم؟؟؟ أنه ظلم وأنت لا تعرفه أنلظ ظالم.

استفاق أحمد، وأول ما نظر فيه هو ساعته اليدوية؛ ففوجئ بأنها بلغت العاشرة والنصف صباحاً؛ فقفز من فراشه وراح يرتدي ملابسه ويلعن الوقت، ونزل وهو يرتدي ملابسه؛ فوجد أحلام والحاج والحاجة جالسين على الطاولة وهم يتناولون طعام الإفطار فقال لأحلام معاتبا:

لم لم توقظيني يا أحلام مثل كل يوم؟

لم تجبه أحلام؛ بل أشاحت بوجهها عنه؛ مما أثار استغراب الحاج والحاجة معا. جلس أحمد وطلب من أحلام أن تسكب له الشاي بسرعة؛ فقامت أحلام متراخية لتسكب الشاي له على عكس عاداتها اليومية.

رفع أحمد نظره في وجهها وقال:

مالك يا أحلام؟؟؟ يبدو أنك مريضة أو أنك قضيت الليل في البكاء.

لم تجبه بكلمة بل أكملت سكب الشاي وغادرت إلى المطبخ.

فسألت الحاجة سعاد أحمد:

يبدو أنك أغضببتها ليلة أمس؟

استغرب أحمد من كلام الحاجة لدرجة أنه توقف عن الطعام مع أن لقمة

كبيرة كانت تجعل الحروف الخارجة من فمه تبدو غير مفهومة:

أنا؟ مستحيل.

الحاج عبد الرزاق:

كانت طبيعية لغاية نزولك .

أحمد:

أنا لا أذكر شيئاً من ليلة أمس.

الحاج عبد الرزاق:

وكيف لا تذكر ما حدث ليلة أمس... لم أفهم قصدك؟

تلعثم أحمد لدرجة أنه غصّ بالطعام؛ فأخذت الحاجة تصرخ بأحلام:
أحضري ماء بسرعة؛ فجاءت أحلام تركض حاملة كأس الماء بينما نهضت
الحاجة وراحت تضرب ظهر ابنها علّ تلك اللقمة تعتق أنفاسه.

وضعت أحلام الكأس أمامه وغادرت ثانية ولكن هذه المرة باتجاه غرفة
أطفالها في الطابق العلوي وكأنها تتهرب من النظر في وجهه.

قال الحاج عبد الرزاق:

عليك أن تصالح زوجتك.

رد أحمد بعد أن أخذ رشفتين من الماء أو أكثر:

أفعل... مع أي أقسم بأني لم أفعل ما يغضبها.

الحاج عبد الرزاق:

إذن عليك أن تسألها بنفسك؛ فأنا أعرف أحلام وأعرف قلبها الطيب.

نهض أحمد من مكانه واتجه إلى غرفتها؛ فطرق الباب؛ فقالت أحلام:

تفضل.

دخل أحمد وسلم على أحلام التي كانت تجلس على سريرها وقد وضعت
شمس الصغيرة في حضنها والتي راحت تلعب بشعر أمها الأسود الطويل
والناعم كأنه شلال عتمة أو ليل شتوي حالك الظلمة.

جلس على السرير أمامها مباشرة فأشاحت بنظرها عنه؛ فقال:

أعترف لك أن حجم غضبك مني فاق خيالي بأشواط.
كان الصمت رد أحلام.

أكمل أحمد حديثه:

أعدك أني لن أكررها وسألتزم بما اتفقنا عليه.
لم تجب أحلام أيضا وآثرت الصمت.

أحمد:

لا تضخمي الأمر أرجوك؛ خطأ بسيط وسأعوضك عنه هذه الليلة.
نهض أحمد من السرير واتجه إلى الباب وقبل خروجه استدار إليها فوجدها
قد نظرت خلفه فغمز إليها بعينه وقال لها:

سأحاول العودة مبكرا كي أعوض ما فاتنا ليلة أمس.

انعتق لسانها من عبودية الخصام وردت عليه:

على ما يبدو أنك لست نادما على فعلتك المشينة ليلة أمس.

أحمد:

أما التوبة فأنا أعلنها وأعلن تقصيري معك، أما أنها مشينة فأنا أعترض
عليها جدا.

نهضت أحلام ووضعت عينيها في عينيه وقالت:

مشينة حد التقزز منها.

أحمد:

لم أعهدك بهذه القساوة يا أختي.

ضربت أحلام وجهها بقوة وقالت:

أختي...أختي....بعد ما فعلت ليلة أمس؛ أقسم أن هذا الرجل سيصيبني بالجنون.

أحمد:

أنت من سيصيني بالجنون؛ اعترفت بخطئي وانتهى الأمر، ومن ناحية أخرى الأمر لا يستحق كل هذا الخصام.

دفعت أحلام أحمد من الغرفة وأغلقت الباب وكله استغراب؛ فنزل السلم وهو يهز بيده متعجبا فسأله الحاج عبد الرزاق:

أرضيت تلك المسكينة؟ أم كعادتك بدل الإصلاح خربت الدنيا؟؟؟؟؟
ضحكت الحاجة سعاد وقالت:

أكد خرب الدنيا، أما تراه يهز بيديه؟؟؟؟؟

أجابها الحاج:

هل اقتنعت الآن أي أفضل الرجال على الأرض وأكثرهم التزاما ورومانسية.

الحاجة سعاد:

أقسم أن تصرفاتك صارت ترعيني يا رجل؛ فأنت تستخدم مصطلحات لم تستخدمها قبلاً (حب ... رومانسية) عيب يا رجل أن تتحدث بمثل هذا وأنت شيخ كبير.

انتفض الحاج وقال:

تكلمي عن نفسك يا سيدتي، أنا في عز شبابي.

ترك أحمد الاثنين يتمازحان وكأنه في عالم آخر، وغادر المنزل وهو لا يعرف إلى أين يذهب.

أهملنا أرواحنا كثيرا تعالج نعيد الدفء، لتلئق الأرواح بالعناق.

عاد أحمد في الرابعة عصرا من الشركة وأخذ يصرخ:
أحلام... أحلام..... أكاد أموت جوعا.
نزلت أحلام السلم ببطء؛ فأسرع إليها وجذبها من يدها وراح يجرها إلى
المطبخ ويقول:

لم أكل شيئا من الصباح.
راحت تغرف الطعام ببطء أيضا وتضعه أمامه؛ وبعد أول لقمة صاح بها:
الطعام بارد!!
أحلام:
أنت الذي قال: أسرع.
أحمد:

أين لمساتك الجميلة التي تجعل الطاولة لوحة، لا مكانا لتقديم الطعام؛
لدرجة أنني أترك أفخر المطاعم فقط لأنعم بطعامك المميز وتقديمك الذي يفوق
التميز نفسه.

أعطته ظهرها دون أن ترد عليه بحرف؛
نهض أحمد وقال لها:
تغيرت عليّ فجأة وبسبب تقصير بسيط.
استدارت أحلام ووضعت وجهها بوجهه وقالت:

بسيط... لا أصدق أنك أحمد الذي أعرف.

تغيرت ملامح أحمد فأمسك أحلام من يدها وراح يجرها كما المرة الأولى وهي تجري وراءه تحاول الإفلات منه، لكن دون جدوى، وفتح باب المنزل المطل على الحديقة والمرآب واتجه مباشرة إلى السيارة وقال: اصعدي الآن وقودي وسأعلمك.

ظهرت ملامح الاستغراب على وجه أحلام رغم أنها كانت تلهث من الجري والممانعة وقالت:

ومن قال لك إني أريد منك أن تعلمني القيادة بعد الآن؟؟؟؟

صرخ أحمد بوجهها:

كل هذا لأني تأخرت عليك يوماً واحداً؟؟؟؟

أحلام:

لا... بل لأني لا آمن على نفسي منك.

دهش أحمد من كلامها؛ وكأنه رأى أو سمع شيئاً عجبياً:

لا تأمنين على نفسك مني؟ وأنا من فعل كل ما فعل من أجلك.

أحلام:

بعد فعلتك الأخيرة لم تعد أحمد الذي أعرف.

أحمد:

ألا لعنة السماء على السيارات ومن صنعها.

أحلام:

لم تترك الموضوع المهم وتمسك بأمر تافه هو تعلمي لقيادة السيارة؟

أحمد:

أليس هذا الأمر التافه هو ما أغضبك مني؟؟؟؟؟؟؟؟

ردت أحلام وباستغراب شديد:

ألا تعلم ما فعلت بي ليلة أمس؟

أحمد ساخرا:

أنا لا أذكر حتى كيف وصلت للبيت.

لطمت أحلام على وجهها وقالت:

كيف لا تعلم أيها المجنون؟؟؟؟؟؟؟؟

أحمد:

قولي فقط ما فعلت ولا تقلقيني أكثر.

تركته أحلام وأسرعت إلى المنزل وراحت تتسابق مع درجات السلم إلى أن

وصلت غرفتها وأغلقت الباب؛ متجاهلة الحاجة سعاد وهي تقول لها:

مالك يا ابنتي؟

وبعد دقيقتين أو أكثر حاول أحمد فيها أن يتذكر ما فعل لها، لكن ذاكرته

المتعبة لم تسعفه؛ فاضطر إلى اللحاق بها مازًا بالحاجة سعاد فسألته نفس السؤال:

مالك يا ولدي؟؟؟؟؟؟؟؟

وكما فعلت أحلام فعل أحمد وصعد السلم متجاهلا المرأة المسكينة وتاركا

إياها نهشا للاحتimalات، فلم تجد بدا من التوجه إلى الحاج في الغرفة.

كان الحاج عبد الرزاق متمددا على سريره يقرأ أحد الكتب؛ فدخلت عليه

الحاجة بقوة وقالت له:

إلحق يا حاج؛ فقد تشاجرا.

الحاج عبد الرزاق وبخوف مرعب:

ومن هما؟

الحاجة سعاد وقد غيرت ملامحها للسخرية:

وهل أنت تهتم بغيرهما؟؟؟؟؟؟

الحاج عبد الرزاق وبعصية:

تكلمي ولا تختبري صبري أكثر.

الحاجة سعاد:

يا رجل، (أحمد وأحلام).

ضحك الحاج عبد الرزاق من كل قلبه:

أرعبتني يا حبيتي.

فتحت الحاجة سعاد عينيهما وقالت باندهاش تام:

أيمكن لك أن تعيد تلك الكلمة ثانية؟؟؟؟!!!!!!!

عاد الحاج عبد الرزاق إلى وضعه السابق واتكأ على ظهر السرير وقال:

أيها؟... (أرعبتني) أم (حبيتي)؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

الحاجة سعاد وقد غلبها الخجل:

لك أن تعيدهما معاً لو أحببت.

الحاج عبد الرزاق وبكل حب يغني بصوته الخشن والرجولي:

(هل عندك شك أنك أحلى وأغلى امرأة في الدنيا)

الحاجة سعاد وقد احمرت وجنتاها البيضاويتان:

عيب يا رجل؛ أنت غيرت جداً بعد أن أصبت بتلك الجلطة، ليتك أصبت

بها قبل سنوات.

قطب الحاج عبد الرزاق حاجبيه وقال:

ما تقولين يا امرأة؟

الحاجة سعاد وبارتباك شديد:

أعتذرو ولا أقصد، لكنك الآن أجمل بكثير من الحاج عبد الرزاق السابق.

فعاد الحاج عبد الرزاق إلى أسلوبه الرومانسي ومد يده وأمسك بيد الحاجة

سعاد وقال:

أعتقد أن علينا أن نحاول فعل أمرٍ ما قد أهملناه منذ شهور.

الحاجة سعاد:

لكن أحمد وأحلام يتشاجران.

فوضع يده الأخرى على فمها وقال:

دعي الأطفال يحلون مشاكلهم بطريقتهم الخاصة ولننشغل نحن بما تحتاج

أرواحنا من حب فقد أهملناها كثيرا.

الأرواح الطيبة لا تتقرن الخصام

وقف أحمد بباب أحلام وراح يستعطفها أن تفتح الباب، فما كان منها إلا أن فتحت الباب، وعادت لتجلس على سريرها بنفس السرعة التي قامت بها لفتح الباب.

دخل أحمد بهدوء ووقف فوق رأسها وقال:

لم أعهدك حمقاء كما اليوم.

رفعت رأسها باتجاهه ورمقته بنظرة غاضبة وعادت لتخفض رأسها ثانية.

جلس أمامها مباشرة ومد يده إلى ذقنها ورفع وجهها وقال:

ما كل هذا الغضب؟ أنا أخوك فاخبريني فقط ما فعلت لأنال منك كل هذا

الجفاء.

أحلام:

ولأنك أخي لا أستطيع أن أقول لك ما فعلت.

أحمد:

أقسمت عليك بروح هشام وأنا أعرفُ الناس بحبك له.

أحلام:

أيقنت الآن أنك لم تكن بوعيك حينها.

أحمد:

اعتذر عن أي كلام صدر مني حينها سامحيني أرجوك.

أحلام:

صعب جدا.

أحمد أخبريني أرجوك فقد مُلئتُ شوقاً لمعرفة درجة جنوبي.

أحلام:

ستندم.

أحمد:

ذنبى على جنبي، أخبريني فقط.

أحلام:

بعد أن أتيتك بالطعام لغرفتك مزقت ثوبي حاولت أن تنال من جسدي و....

أحمد:

أنا؟

أحلام:

وعندما خارت قواي عن ممانعتك رحمت أصرخ لا يا أخي أرجوك اتركني؛

عندها فقط يبدو أنك صحوت فتركتني لأهرب منك في اللحظة الأخيرة.

راح أحمد يضرب وجهه مرة بعد مرة وأحلام تمنعه فقال أحمد:

أول مرة أشرب بها خمرًا؛ فلم أعرف ما أفعل.

أحلام:

إياك أن يعرف عمي بشربك للخمر.

أحمد:

أنتِ الوحيدة التي تعرف بذلك.

أحلام:

ولم شربت خمرًا؟

أحمد:

أخبرت يومها غيد أني تزوجت من غيرها؛ فجنت وأغمي عليها، وبعد ذلك نقلناها للمستشفى، وأخبرتها أني لن أتركها أبداً، لكنها قالت لي إن علي نسيانها للأبد.

أحلام:

ما كان عليك أن تقدم على الزواج مني.

أحمد:

وهل أتركك بيد الزمن يتلاعب بك أو أترك ذلك العجوز المتصابي الذي يُدعى ابن عمك أن يجرمك أنت وأطفالك من بعض.

قبّلت أحلام يد أحمد، وقالت:

لن أنسى فضلك أبداً ما حييت.

عصّ أحمد أصبعه وقال:

أقسم بروح هشام لم أكن بوعبي فاعذريني.

أحلام:

إن شربت ثانية فضع علامة تحذير كي أبتعد عنك.

أحمد:

أعدك أني لن أشرب الخمر ثانية.

وبينما هما صامتان في موقف جادّ إذ سمع الاثنان صوتاً غريباً؛ فسألت

أحلام أحمد بملامح وجهها ما هذا؟؟؟ فرد أحمد:

صوت بطني يا ظالمة، وارتمى بظهره على السرير وفتح يديه وقال:

لقد متُّ الآن.

ضحكت أحلام من قلبها وقالت وقد ملأها السعادة:

ثواني وتكون عندك أطيب المأكولات وأشهاها.

نهض أحمد بسرعة وقال:

هذا ما تشتهي أذني سماعه.

نزل الاثنان وهما يضحكان؛ فصادفهما خروج الحاج عبد الرزاق والحاجة سعاد من الغرفة وهما يضحكان أيضا؛ فصار الأربعة ينظرون إلى بعضهم، والكل يضحك، فقال الحاج للحاجة:

لم أقل لك إن الأطفال قادرون على إيجاد حل لخلافاتهم..

عرف أحمد وأحلام ما يقصد الحاج عبد الرزاق، فانفجرا ضاحكين ولم يعقبا على مقاله، بل اتجها إلى المطبخ مباشرة.

بعد أن أنهى أحمد غداءه قدمت له أحلام الشاي الساخن المطعم بالهيل؛ فراح يرتشف رشفة بعد رشفه وهو سارح وقد مد رجله على أحد الكراسي المقابلة له، وانزلق في كرسيه من شدة التعب؛ بينما راحت هي تراقبه وتتأمل وجهه وشكله وبعد دقيقتين قالت له:

تغيرت كثيرا.

ابتسم أحمد دون أن يلتفت إليها وقال:

دائما ما تكرر ذلك غيد، والمفارقة أنها قلقه من ذلك التغير.

فعلت أحلام ما فعل، فوضعت رجلها على الكرسي الذي أمامها واسترخت على كرسيها وصارت تفصل بينهما الطاولة الكبيرة في المطبخ؛ وبعد أن أغمضت عينها وقالت:

لا ألومها؛... فقد أحببت النموذج الأول قبل التغير، وتغيرك يقلقها.

أحمد:

حتى أنا لا أعرف نفسي.

أحلام:

عليك الاتصال بها والاطمئنان عليها.

تأوه أحمد وقال:

لا أملك الجرأة على ذلك.

أحلام:

اكتب لها قصيدة تسترضيها.

ضحك أحمد من كل قلبه لدرجة أنه وضع كوب الشاي على الطاولة وأنزل

رجليه والتفت إليها وقال:

أنا....أكتب الشعر؟

أحلام:

لم لا؟؟؟؟!!!!!!

أحمد:

لم أكتب الشعر في حياتي.

ردت أحلام بأسلوب فكاهي:

وما المشكلة؟؟؟؟ أنت في طور التغير، ربما أصبحت شاعرا وأنت لا

تعرف.

انفجر الاثنان من الضحك؛ بينما كان يراقبهما الحاج عبد الرزاق والحاجة

سعاد وهما على تلك الحال من باب المطبخ المفتوح إذ كان كل منهما يعطيها

ظهره؛ فهمس في أذن الحاجة سعاد:

أتمنى لهما السعادة من كل قلبي.

أنزلت أحلام رجليها والتفتت إليه وقالت:
أريد العمل يا أحمد؛ فجد لي مكانا عند أحد أصحابك أو معارفك.
أحمد:

والبيت؟ ... لن تسمح لك الحاجة سعاد بذلك.
أحلام:

دع الخالة لي، فقط أنت جد العمل.
أحمد:

العمل موجود وجاهز.
صفقت أحلام بيديها وقالت:
وبهذه السرعة.
أحمد:

ألم تكملتي الإعدادية بفرعها التجاري؟ ونحن نمتلك إحدى أكبر شركات
الاستيراد في البلد. من الطبيعي أن تعلمي معنا وخصوصا أنني أحتاج أن أترك
الشركة أوقات ذهابي للجامعة.
أحلام:

أخيرا سأتمكن من العمل.
أحمد:

لم أعرف أنك ترغبين بالعمل من قبل.
أحلام:

كنتُ تحت ظل رجل يمنحني الحماية والأمان، واليوم صار عليّ الاعتماد
على نفسي في كل شيء من تربيتهم ورعايتهم.

أحمد:

ولكن من يعتني بشمس الصغيرة في غيابك، وأنت تعلمين أن الحاجة لا
تحتمل الأطفال.

أحلام:

هناك حضانة أطفال قريبة؛ سأضعها فيها وعند عودتي آخذها.

أحمد:

لم يبقَ إذن إلا موافقة رب العمل الحاج عبد الرزاق على أمر التعيين مديرة
مكتب لمدير الشركة.

أحلام:

إذن قل له أنت.

ضحك أحمد وقال:

نحن من نتوسط عند الحاج بك؛ على كل حال تأكدي أن الأمر منتهٍ.

أحلام:

شكرا يا أحمد، وأتمنى أن تتصل بغيد؛ فألم الخيبة بمن نحب لا يُحتمل.

أخذ هاتفه وراح يتصل بغيد، لكن لا محجب لاتصالاته فأعاده إلى مكانه

ونظر إلى أحلام وقال:

انتهى كل شيء، ولا ألومها أبدا على ما فعلت وما ستفعل.

أحلام:

دعني أتصل بها وأنا أوضح لها الأمر.

سقطت دمعة من أحمد وقال:

أعرف أم غيد جيدا، كانت تضغط على غيد طوال فترة علاقتنا، والآن أصبح لديها ما يدعم شكوكها بي، وأعرف غيد أيضا؛ فهي رغم طيبتها، لكنها صاحبة قرار، وما إن تقرر فلن تتراجع أبداً.

أحلام:

لكنها تظلمك وتظلم نفسها أكثر بهذا القرار الغبي.

نهض أحمد من مكانه وقال:

لا تفكري بأمرى كثيرا فقد قرر القدر مصيرى.

ابتسمت وكأنه الشمس كانت تشرق من شروق وجهها

وقفت أحلام أمام دولابها وهي تحاول إيجاد ثوب يليق بها كموظفة في الشركة الكبيرة؛ وحيث إن كل ملابسها السوداء كانت تصلح للاستعمال المنزلي فقط، فلم تجد غير ثوب واحد وبالكاد يصلح للعمل؛ فكل ثيابها السابقة ملونة. كان النشاط واضحا عليها وهي تعد الفطور فسألها رامي:

كأنك خارجة يا أمي؟

أحلام:

نعم فقد أصبحت موظفة في شركة جدك.

ابتسم رامي وقال: سأرافقك في العطلة إلى مكان عمك.

ابتسمت وكأن الشمس كانت تشرق من مغرب وجهها، فقالت:

بالتأكيد يا روح ماما.

نزل أحمد يحمل حقيبة العمل ومجموعة أوراق الدراسة في الكلية وبعد أن رأى أحلام وقد رفعت شعرها الأسود؛ ورغم أن ملابسها كانت عادية، إلا أن جمالها الفطري وحضور شخصيتها وطولها ورشاقتها كانا طاغيين قال:

ما أجملك اليوم يا أم رامي!!!! ما كان عليك أن تخفي كل هذا الجمال.

صمتت أحلام، لكن الخجل نطق بدلا عنها وصاح بصوت عالٍ:

(شكرا على جرعة الثقة التي منحتني إياها)

تناول أحمد إفطاره بسرعة وقال:

هيا بسرعة؛ فعلينا إيصال رامي أولا والتوجه للشركة ثانيا.

تدخل الحاج عبد الرزاق:

أذهب أنت وزوجتك وأنا سأقوم بإيصال رامي للمدرسة.

توجه أحمد لحمل الحقيبة والأوراق فأسرعت قبله أحلام وحملت الحقيبة والأوراق بدلا عنه وقالت له:

أنت السيد المدير، وأنا سكرتيرتك؛ فمن واجبي حمل حقيبتك سيدي.

نظر أحمد نظرة إعجاب إليها وقال:

أنت أكثر من أدهشني طوال حياتي.

علينا إكمال الحديث في السيارة سيدي.

عند الباب توقف واستدار نحوها وقال:

وأين شمس؟ ألا نودعها في الحضانة.

فبادرت الحاجة سعاد قائلة:

أنا من سيقوم بتجربة رعايتها؛ وإن لم أستطع أودعوها الحضانة.

أشارت أحلام بوجهها المشرق وكأنها تقول: (هيا بنا).

كان دخول أحلام للشركة يعد الأول في حياتها؛ فرغم أنها تعيش معهم

منذ سبع سنوات أو أكثر؛ إلا أنها لم تطأ أرض الشركة نهائيا.

بعد ساعتين كان هناك مكتب رائع يُعد لأحلام بجانب السكرتيرة القديمة؛

بينما راح أحمد يوصي تلك السكرتيرة بأن تُعلم أحلام كل صغيرة وكبيرة.

في الثانية عشرة دخلت إلى مكتب رئيس الشركة؛ فوجدت أحمد مشغولا

ببعض الأوراق فقالت:

سيدي، جئت أستفسر منك، متى ستذهب إلى الجامعة؛ فقد دقت الساعة

معلنة أن الوقت الآن العاشرة صباحا.

نهض أحمد من مكتبه واقترب منها؛ فأمسك بيديها، وأجلسها على كرسي الضيوف وقال:

أولاً: أنا أحمد وليس سيدك؛ وثانياً: أعلم بالوقت، ولكن عندي مشواراً اليوم هو أهم من الذهاب إلى الجامعة.

أحلام وهي تبسم:

اهاه، أنت على موعد مع غيد... ألم أقل لك إنها لن تقاوم الشوق.

نهض أحمد وأخذ مفاتيح السيارة وراح يجمع أوراقه في الحقيبة وجاء إلى أحلام وأخذ بيدها وهي جالسة وقال لها:

ألا تريدان أن تعرفي أين المشوار؟

أحلام:

بالطبع أريد ذلك.

أحمد:

أحضري حقبتك وتعالى معي.

توقفت السيارة عند باب أحد دور التصميم للملابس النسائية في بغداد، ونزل أحمد وفتح الباب لها، وأمسك بيدها وراح يقودها إلى الداخل وأحلام البسيطة في قمة الاندهاش.

نهضت المصممة وسلمت عليه بحرارة، فقال أحمد معرفاً للثنتين:

أحلام زوجتي والآنسة نور زميلة سابقة لي.

ردت أحلام وكلها استغراب وارتباك:

كيف زميلة لك؟؟؟

ضحك الاثنان بينما اكتفت أحلام بالابتسامة الجميلة فقال أحمد:

تعرفين أني بقيت ست سنوات في الجامعة؛ مما يعني أن أجيالا تعاقبت معي.
الآنسة نور:

ما زلت أنت كما عرفتك، لا تمل من الضحك.
قاطع أحمد زميلته وقال:

اسمعي، أريد أن تلبس هذه الجميلة أجمل ما عندك ومن كل الأنواع،
(وظيفة، سهرة، سفرات، منزل)، ولديك من الوقت حتى الرابعة عصرا.

ضحكت نور وقالت:

تحت أمرك أستاذ أحمد.

راحت المصممة تعرض عليها كل أنواع الملابس، س وأحلام تتمتع وتقول:

(عيب، لا يجوز، أخجل)؛ فتدخل أحمد مخاطبا نور:

ألبسيها أنت ولا تأخذي برأيها.

سألت نور أحمد:

حتى لو كان غير الأسود؟

هنا صمت الجميع إلا عيني أحلام؛ فقد قالت الدموع ما قالت؛ فجلس

أحمد يراقبها، أما هي فردت بعد ذلك وقالت:

إلا الأسود فهو رفيقي ولن أخلعه أبدا إلا يوم موتي، فأستبدل به الكفن

فرحا بلقائي بمن أحب.

دخلت نور في نوبة من الاستغراب وقالت:

لم أفهم شيئا.

نهض أحمد من مكانه وقال:

لك الحرية بالتصميم ولكن ضمن الأسود.

همست نور بأذن أحمد:

ومن حبيبها غيرك أيها الغبي؟؟؟؟؟

أحمد:

سأخبرك فيما بعد، عليك إنهاء عملك بسرعة؛ فالأطفال يتظرون أمهم.

نور:

كنت أعتقد أنك مجنون، ولكن بعد زيارتك أنت وزوجتك يبدو أني أنا من

سيجن بسبيك.

في الرابعة مساء دخل الاثنان المنزل وهما يحملان كمية هائلة من الملابس

والأحذية والحقائب؛ فقالت الحاجة:

ما كل هذا؟

أحمد:

على مديرة مكنتي أن تكون أنيقة بأناقة الشركة وأهميتها.

نزل أحمد ورامي واحتضنا أمهما، وقالا: ما هذا يا أمي؟ نريد حصتنا من

هذه الأشياء.

تدخل أحمد وقال:

هذه الأشياء لأمكما وعلى حساب الشركة؛ أما أنتما فمعودكما غداً مساءً.

سحب رامي علبة متوسطة وقال:

والاو، هاتف جديد؟

تدخلت الحاجة وكأنها غير راضية:

وهل الهاتف من ضمن مستوى الشركة أيضاً، يبدو

أنكم تبالغون بدلال موظفيكم.

لا يستطيع الكون كله أن
يسرق قلبا منعه رطل لأنتاه

فتحت الباب السيدة نضال فوجدت أمامها امرأة تماثلها بالطول لكن
تصغرها بالعمر؛ يبدو عليها الخجل؛ فقالت:

تفضلي هل أخدمك بشيء؟

قالت المرأة الشابة: هل من الممكن أن أقابل الأنسة غيد؟

فتحت السيدة نضال الباب على مصراعيه وأشارت بيدها وقالت:

مؤكد... تفضلي أنستي.

اتجهت السيدة نضال إلى ابنتها وأخبرتها أن امرأة شابة تريد رؤيتها في

الأسفل.

سألت غيد أمها:

ألم تسألها من هي وماذا تريد؟

نضال:

يبدو أنها إحدى زميلاتك رغم أنها تبدو أكبر منك في العمر.

نزلت الاثنتان معا وعندما وصلتا باب الصلاة قالت غيد وكأنها صعقت:

(أحلام).

نهضت أحلام وقالت مرحبة بغيد:

مرحبا غيد أتمنى أن تكوني الآن أفضل.

ابتسمت غيد ساخرة وردت:

أفضل؟... كيف وأنت قد سلبتيني أعز ما أملك؟؟؟؟؟؟

هنا تدخلت نضال بشخصيتها القوية ووجهت كلامها للاثنتين معا:

أريد تفسيراً لما يدور بينكما من كلام؟

التفتت غيد ونظرت إلى أمها التي تقف خلفها وقالت:

هذه أحلام أرملة هشام أخو أحمد وزوجته الآن.

أزاحت نضال ابنتها وتقدمت إليها وقالت:

بأي وجه أنت هنا؟ لم أرى أقبح منك ومن تصرفاتك.

غيد:

كم كنت أتعاطف معك ومع مأساتك!!!!!!وقد جئت إليك مواسية عندما

استشهد زوجك، وكان جزاء رد الجميل منك أن تزوجت حبيبي الذي حاربت

أهلي من أجل التمسك به.

أكملت نضال كلام ابنتها:

كيف لضميرك الصديق أن يتقبل ما فعلت؟

ردت أحلام بارتباك واضح:

يبدو أن أحمد لم يشرح ملابسات ما حصل وكيف تم ذلك الزواج.

نضال:

أي ذريعة تريدان استخدامها لا تشفع لتصرفك غير المحترم.

غيد:

بسببك أنا لم أذهب لجامعتي منذ أسبوع؛ وسأخسر مستقبلي.

اقتربت أحلام من غيد وهي تحاول أن تمسك بيدها وهي تقول:

أعتذر عن كل ما حصل بسببي.

سحبت غيد يدها وقالت:

لا تمسكي بيدي؛ فأنت امرأة غير شريفة.

هنا انتفضت أحلام وردت بصوت عال:

جئت إليك وإلى بيتك لأوضح لك ما حدث وأعيد كل شيء إلى مكانه، وبدل أن تستقبليني لتفهمي سبب الزيارة، أخذت توجهين إلي الشتائم والألفاظ البذيئة؛ وقبلت بها لأني أتفهم حجم أن تفقد امرأة من تحب لأني جربت ذلك الفقد، لكن أن تهمني بشرفي فذلك أمر مرفوض تماما، ولا أقبل به لا خوفا على احترامي أنا؛ بل لأن هناك رجلا ضحوا بأنفسهم وحياتهم وأسرههم من أجل أن تحافظ العراقية على شرفها، ومن أولئك الرجال زوجي وحبيبي هشام، ولن أسمح لك ولا لغيرك أن يصف زوجته وأم أطفاله بغير الشريفة فتذهب تضحيته هباء.

أصاب غيد الخرس؛ لكن السيدة نضال المحامية والمتمرسمة بالحوارات ردت:

ودليل وفائك أنك تزوجت في أول يوم من انتهاء العدة.

جلست أحلام والدموع تملأ عينيها والألم يأكل روحها:

وما تفعل امرأة بسيطة وسط موروث قاس لا يختلف عن إحدى قبائل الهند إذ تحرق المرأة مع جثة زوجها؟؟ أما هنا فتتحول لسبعة وفريسة لكل طامع؛ يتقاسم أهل الزوج وأهل الزوجة الظلم والغنائم؛ حتى الموت رفض أن يتقبل أرملة، وكأنني رجس من عمل الشيطان؛ لتغلق فجأة كل الطرق في وجهي، وتختزل الحلول بحل فقط هو ورقة من رجل دين يعلنني زوجة لأحمد.

نضال:

وأحمد فرصة لا تعوض طبعاً، وستكونين حمقاء إن لم تستثمريها.

ردت أحلام وما زال شلال الدمع لا يتوقف:

لم يكن لي رأي حتى في ذلك؛ في لحظة أيقنت أن زواجي من ابن عمي
سيحرمني رؤية أطفالي، وسأباع كالجواري وحتى بدون ثمن، سوى أن عائلي
تريد أن تتخلص من لقب أرملة، وكأن الصفة هي من تحدّد نوع الخلق.

ساد الصمت بعد كلامها وسكتت الإناث الثلاث؛ كل تعيد تقييم موقفها،
لكن نضال أرادت أن تديم زخم المقاومة فقالت:

هذا لا يعفيك من المسؤولية.

بدأت أحلام تستعيد الثقة بنفسها وبقوة حجتها:

أي مسؤولية تقصدين يا سيدتي؟

نضال:

أنك سرقت حبيب ابنتي.

نهضت أحلام واقتربت منها وقالت بصوت دافئ:

لا يستطيع الكون كله أن يسرق قلباً منحه رجل لأنثاه؛ فكيف تتوقعين أن

أسرق رجلها يا سيدتي؟

شعرت غيد أن أحلام قد انتصرت عليها في جولة النقاش؛ فأرادت أن

تنهي المسألة بالهرب:

على كل حال انتهى ما كان بيننا ولن ينجبر قلب انكسر.

أحلام:

أرجوك لا تعاقبي ذلك الرجل النبيل على تصرفه الشهم.

نضال وبعصية:

أنت عجيبة يا امرأة؛ أتعرضين عليها زوجك؟

أحلام:

إن كان ما يربطني به ورقة فقط؛ فهو حبيبها وتربطهما كل عواطف الحب
وأحاسيسه.

جلست غيد وهي تبكي همدوء:

وما نفع كل ذلك الحب إن لم يتوج بالزواج ويكون بيننا أطفالا نشهد كبرهم
كل يوم؟؟؟

جلست أحلام بجانبها وكلها حماس:

ما زال الأمر بيدك أنت.

غيد:

كيف؟

أحلام:

أن يتقدم أحمد لخطبتك وأن توافقني على الزواج منه.

تدخلت نضال وبقوة:

هل أنت مجنونة؟؟؟ اخرجي من بيتي الآن، لن أزوج ابنتي لرجل متزوج.

نهضت أحلام وهمت بالمغادرة، وقبيل وصولها إلى الباب استدارت وقالت

لغيد ومتجاهلة أمها:

لا تتوقعي أن أقاسمك أحمد، فما يربطنا شعور الأخوة فقط؛ وجميل في

عنقي لن أنساه ما حييت.

يلفيني فقرأ... أنه أرسلت شهيد.

أكمل الجميع العشاء وقبل أن يطلب الحاج شايه أحضرته أحلام؛ فقد كانت من عادات الحاج أن يتبع الشاي طعامه مباشرة؛ فنظر إليها وقال:
حفظك الرحمن لي يا ابنتي.
راحت تدور بأقداح الشاي على أحمد وخالتها ووضعت الأخير أمامها
وقالت:

يا عم أريد أن أطلعك على أمر ما.
رد الحاج بكل حماس:
توقعت ذلك... الحمد لله على ما رزق وأعطى.
استغرب الجميع، ولكن أحلام لم تمنحهم الكثير من الوقت للاستغراب
فقالت له:

علام تحمد الله يا عم؟
الحاج:
لقد راقبتك يا بنتي في الأيام الأخيرة وكنت تعبة على غير عادتك فعرفت
أن هناك أمرا ما تخفينه عليّ.
أحلام:

كل ما ذكرته صحيح ولكن عجبني على فرحتك به؟
الحاج:
كيف لا أفرح ونحن على وشك أن يزيد أفراد العائلة طفل صغير؟؟؟

شعرت أحلام بالخجل الشديد من عمها وقالت:
لم أتوقع أن أخيب ظنك يا عماء لهذه الدرجة يوماً: (أنا لست بحامل)
تغيرت ملامح الحاج فوراً وعاد جلسة الوقار وقال:
أعتذر يبدو أنني بدأت أدخل مرحلة الخرف، قولي يا ابنتي واعذري
مقاطعتي لك.

أحلام وبقوة وشخصية حازمة:
أطالب بالطلاق من أحمد.
نهض الحاج من كرسية وقال بعصبية يخاطب أحمد:
ما فعلت لهذه المسكينة كي تطلب الطلاق منك؟ إياك وإياك،،،، ها أنا
أحذرك من أن تمسها بسوء.

فتح أحمد يديه وكأنه يعلن البراءة مما هو منسوب له وقال:
نحن على انسجام تام يا حاج سواء في البيت أو في العمل.
الحاج:

لقد أرعبتِ الفرح بعدما استوطن أرواحنا؛ فما سر طلبك أيتها الطيبة؟
أحلام:

أريد استئجار بيت قريب منكم أيضاً والاعتماد على نفسي في كل شيء.
عاد الحاج إلى كرسية وقال:

أرجوك يا ابنتي أوضحي؛ فعقلي صار يتعثر قبل أن يصل إلى استنتاج معني
ما تقولين.

أحلام:

لم يبق على الامتحانات النهائية إلا أسبوعين؛ وهناك فتاة يعدم مستقبلها الآن
بسبب زواج أحمد مني؛ فقط لأنها أحبته بصدق، وأعلم يقيناً أن أحمد يبادلها الشعور

نفسه والحاجة نفسها؛ كما أن لهذا الرجل فضلا عليّ بإنقاذي من زواج كان
سيجعلني جارية ويحرمني من أطفالي طوال عمري.

توجهت بكلامها إلى أحمد:

كنتُ قبل يومين في بيت غيد وعرضتُ عليها أن تتزوجا؛ لكنها رفضت
ذلك وأكدت والدتها أن غيد لن تتزوج من رجل متزوج.

أحمد وكله دهشة:

وكيف تفعلين ذلك؟ ومن أرشدك إلى بيتهم؟

أحلام:

ذهبت إلى كليتيكم لأعرض عليها الزواج فأخبرتني إحدى صديقاتها
المقربات أنها تعاني أزمة نفسية حادة أجلستها في البيت؛ فأخذت العنوان وزرتهم
في نفس اليوم.

أحمد:

كان عليك استشارتي يا أحلام.

تدخلت الحاجة بقوة وقالت:

هذا عبث وقلة أدب، تتصرفين وكأنك مستقلة ولا مرجع لديك، إن كان
أحمد لم ينل احترامك، على الأقل احترمي وجود عمك، يبدو أن الوظيفة
جعلتك ترين نفسك كبيرة.

ردت أحلام بثقة وهدوء:

صدقني يا خالة، الوظيفة جعلتني أرى نفسي كبيرة كفاية لأتخذ قرارات
مصيرية.

وجهت نظرها إلى عمها وقالت بكل احترام:

لكن لا أتكبر على عمي الذي هو بمقام والدي، وهو من ساندي دائما
ومنحني دمه الكريم، ولن أنسى أنه ضحى بنفسه من أجل حياتي، لكن آن
الأوان لإصلاح كل شيء.

أعادت النظر إلى أحمد وقالت:

لا تعاند قلبك، واستعد حبيبك؛ فقد قاربت الامتحانات، وبعدها سنفرح
جميعا بحفلة زفافكما؛ وأعد إليّ حريتي يا أخي؛ لأنعم بشعور الفخر بأني أرملة
شهيد.

ساد الصمت الجلسة؛ فنهضت أحلام وراحت تنقل الصحون وكأنها
استخلصت الموافقة من الجميع.

ليتنبي أنعم كيف يكون المصام؟
لكنه خاصمتك عمرينه بدله الواحد.

دخلت نضال غرفة غيد وقالت لها:

هناك ضيف عزيز عليك يود رؤيتك.

ردت غيد بتثاقل:

لا أعزاء عندي وأنت تعرفين ذلك جيدا.

نضال:

ما أعرفه أن أعز الناس في حياتك كان طائر حب وغادر عشه.

ضحكت غيد ساخرة:

ها أنت تعرفين كل شيء، فلم تتصنعين التجاهل؟

لكن طائر الحب الآن ينتظر في الصالة يطلب الإذن كي يعود إلى عشه.

تغيرت ملامح غيد من البرود إلى الاشتعال وقالت:

لا... أبدا لا أريد رؤيته.

نضال:

لا تتوقعي مني التوسل إليك؛ سأذهب وأخبره أنك ترفضين لقاءه

ولنسترح من كل هذه السخافات.

وما إن استدارت حتى قفزت غيد من سريرها وأمسكت بأمها وقالت:

وما رأيك أنت يا أمي؟

تذمرت نضال وقالت:

اطرديه.

غيد وبإصرار:

نعم سأطرده وأسفي غليلي منه.

سأهيب نفسي وآتي بعدك.

هزت نضال يدها وقالت ساخرة:

متأكدة أنك تريدن طرده؟

غيد:

طبعاً... طبعاً.

بعد ربع ساعة نزلت غيد فوجدت أحمد جالسا وقد أخفض رأسه للأسفل
فراحت تتأمله؛ لأن العشرين يوما كانت رقما قياسيا لابتعاد هذين العاشقين عن
بعضهما.

ما إن شعر أحمد بتقدم غيد باتجاهه حتى نهض ومد يديه معا وقال:

مشتاق بحجم قطرات المطر.

ردت غيد ساخرة:

يعني ذلك أنك لا تشتاق إليّ بتاتا.

أحمد:

لم يا غالية؟

غيد:

لأننا في أواخر شهر أيار، وفي هذا الوقت ينعدم المطر في العراق.

انفجر أحمد ضاحكا، وتقدم إليها وقبلها على جبينها وقال:

الآن ردت إليّ روجي.

غيد:

ليتني أتعلم كيف يكون الخصام؟ لكنك خاصمتك عمرين بدل الواحد.
اقترب أحمد من غيد يريد تقبلها فتدخلت السيدة نضال بعصبية وقالت:
أهذا ما اتفقنا عليه في غرفتك يا ساذجة؟؟؟؟؟؟؟؟
نهض الاثنان وقبل أن يرد أحدهما ظهرت من خلفها أحلام وتأبطت ذراع
السيدة نضال التي كانت تماثلها بالطول والجمال وقالت:
كفانا تمثيلا ودعيهما يستمتعان بهذه اللحظات الجميلة.
انفجرت نضال ضاحكة وقالت لها:
كنت أنوي أن أعصرهما عصرا.
أحلام:
أتجيبين القهوة؟
نضال:
فنجان قهوة وسيجارة لذة لا أفوتها قط.
أحلام:
إذن ستذوقين أجمل قهوة في العالم من إعدادي أنا.
نضال:
لا تأمني شري... إن كانت القهوة غير مضبوطة سأنقلب عليك.
جرتها أحلام من يدها وقالت:
تعالى فقط، ألا تميلين من لعب دور العذول؟؟؟؟؟؟؟؟
عاد الجميع للضحك حتى نضال التي لم يعرف أحد قبل الآن صوت
وطريقة ضحكها.

السيجارة... رفقتي التي أشكو لها همومي حين تحترق مع احتراق روحي

بدأت أحلام بإعداد القهوة، بينما أشعلت نضال سيجارتها وراحت تسحب
أنفاسها بهدوء ونشوة، في حين راحت أحلام تنظر إليها، فقالت:

ألهذه الدرجة تستمتعين بالتدخين؟

ردت نضال:

أدخن منذ عشرين عاما تقريبا، كانت السيجارة رفقتي التي أشكو لها هممي
حيث كانت تحترق مع احتراقي، لكن اليوم أول مرة أدخن وأنا سعيدة لأكتشف
أن للتدخين عند السعادة طعما آخر غير طعم الاحتراق.

ردت أحلام باستغراب وهي تضع فنجاني القهوة على الطاولة:

لأول مرة؟... كل هذا النجاح ولست سعيدة؟

قدمت نضال سيجارة لأحلام لكنها رفضتها ورددت عليها:

أنا لم أدخن في حياتي.

هزت نضال رأسها مشجعة:

جربها إذن.

وبعد أن أشعلتها وسحبت أول نفس راحت تسعل وبشدة واحمرت عيناها

بينما راحت نضال تضحك من قلبها على الموقف.

قالت أحلام بعد دقائق من الاختناق:

أي متعة يا نضال في التدخين؟

استغربت نضال جدا من أحلام فقد نطقت اسمها دون لقب سيدة، بينما

أكملت هي كلامها:

احكي لي قصتك يا صديقتي .

نضال:

أتعرفين يا أحلام أي أملك أية صديقة .

أحلام:

أنا مثلك تماما لا صديقة لي أيضا .

نضال:

سنكون صديقتين إذن، على الأقل سأستمتع بقهوتك الرائعة .
عادت الاثنتان للضحك ثانية عندها دخل أحمد وغيد مستغربين .

غيد:

ما هذا الاندماج والضحك؟؟؟؟؟؟

قالت أحلام تخاطب نضال:

أيعقل أنهما ملاً من بعضهما بهذه السرعة؟؟؟؟؟؟

نضال:

صرت أشك بحبهما الخارق .

نهضت أحلام وقبلت نضال وغيد، وقالت هيا يا أخي، غدا لديّ عمل

شاقّ في منزلي الجديد .

رد أحمد:

أنا أدعوكم للعشاء في أحد المطاعم؛ وغدا سأرسل طاقما كاملا يصبغون

البيت مثل ما تحبين .

أحلام:

سأعمل كل شيء في البيت بيدي .

غيد:

سألتحق بك غدا لأساعدك.

أحمد:

وأنا أيضا ما دامت غيد ستكون هناك.

أطفأت نضال سيجارتها وقالت:

وأنا سأكون أيضا.

فتحت غيد عينيها وقالت:

لا أصدق ما أرى وما أسمع.

نضال:

وما الغريب يا أيتها العاشقة؟

غيد:

لم أرك تترعين يوما بفلس واحد طول حياتك، واليوم أنت تترعين بالعمل من أجل امرأة قبل عدة أيام طردها من منزلك.

نضال:

أرى فيها تكرارا لحالي بوصفي امرأة يفرض عليها المجتمع الذي يتحكم به الكبار بأفكار بالية وقديمة، إذ لا زالوا ينظرون إلى المرأة على أنها عورة، ولا تستطيع أن تقود نفسها؛ بينما صارت المرأة تقود أئما ودولا عظمى.

نهضت نضال من مكانها واتجهت إلى أحلام وأمسكت ذراعها وقالت:

كنت أتمنى أن أكون بقوتك يوما؛ لما خسرت كل الفرح في حياتي، سأقف معك دائما وسأكون لك سنداً يا صديقتي.

دون شعور نزلت دمعة من عين أحلام وراحت تسير عبر ذلك الخد

الطويل نسبياً إلى أن وصلت إلى ذقنها؛ فضمته نضال وقالت:

أردت إسعادك ومنحك بعض القوة لا إيكائك.
ردت أحلام الحُصن بحُصن أكبر وأقوى وقالت هامة:
لم أبكِ يا صديقتي تأثراً بكلامك الجميل؛ بل بسبب تأثير نفس السيجارة
عليّ.

فضحكت الاثنتان دون أن يعرف أحمد وغيد السبب فقالت غيد:
وما دورنا في كل ذلك الضحك؟ أن نتفرج فقط؟
رد عليها أحمد:

بل عليك تغيير ملابسك لأنني سأصحبك إلى عشاء يليق بأجل الفتيات.
نظرت إليه غيد بحزم وأشارت إليه بعينها وعضت على شفتها؛ بمعنى
عيب من أحلام.

فهتمت أحلام المغزى وقالت لها:
غازلي مثلما تريدين يا حبيبتي فقد طلقته بالثلاث.
ردت نضال بفكاهة:

يا غبية كيف تفرطين بشاب بوسامته؟؟ لو كنت مكانك لما تركته لحظة.
غيد منفعلة:

يا أمي أنت معي أم معها؟
نضال:

أنا مع صديقتي أحلام طبعاً، على كل حال سأغير ملابسني وأدعو نفسي
وصديقتي للعشاء معكما.

أحلام:

تتقنين دور العذول و الحماة دائماً.

نضال:

بل علينا استلام أجرنا، أم حسبوا أن الصلح بدون أتعاب.

أحلام:

دعينا نخرج وحدثنا فصحتها مملة لأنهما يتهامسان أغلب الوقت.

نضال:

أتفق معك جدا.

سأدعوك أنا لمطعم تحفة.

أحلام:

بل دعينا نزور مدينة الملاهي ففي داخلي طفلة تحتاج أن تتحرر.

صرخت غيد وراحت تصفق بيديها كالأطفال:

ونحن معكما ولن نترككما.

أعوام وأنا وعيدة؛
لم أكن أعرفه أنى الصداقة لها طعم السعادة.

في التاسعة توقفت السيارة رباعية الدفع من الفئة المتوسطة ونزلت منها السيدة نضال وهي ترتدي بنطلون جنز وبلوزة قميص أبيض، وقد رفعت شعرها بطريقة البنات الصغيرات (ذيل الحصان)، ومعها غيد التي ارتدت نسخة مكررة من أمها.

دخلت الاثنتان فوجدتا أحمد وأحلام وفتاتين أخريين قد استدارا بظهريهما إلى الحائط وهما يحملان الفرشاة ويصبغن الحائط.

اندفعت غيد إلى أحمد تستفسر بملامح وجهها عن تلك الفتاتين؟

فرد عليها أحمد بصوت عال:

اذهبي وتعرفي عليها بنفسك.

وقبل أن تتحرك خطوة واحدة التفتتا نحوها وصاحتا بصوت عال يصل

إلى حد الصراخ:

(مفاجئة)

اندفعت غيد باتجاههما وراحت تقبلهما مع الحضن وهي تقول كنت بشوق

لكما.

بعد السلام التفتت غيد وراحت تعرف صديقتها إلى نضال:

المحامية نضال (أمي) وهؤلاء أعز صديقاتي: ميار وشهد.

ثم عادت تسأل الاثنتين:

ما تفعلان هنا؟

ضربتها شهد على رأسها وقالت:

أما رأيت أن بيدنا فرشاتين؟؟؟؟؟؟؟؟

غيد:

وكيف جئتما ومن أبلغكما؟

ردت ميار:

يا ذكية، وكيف وصلتك أحلام؟؟؟ وعرفت عنوان منزلك، أليس نحن

من دلها عليك؟؟؟؟؟؟؟؟

ثم تحركت وتأبطت ذراع أحلام وقالت:

هي صديقتنا الآن ونحن هنا كي نقدم لها المساعدة.

صاحت نضال وكأنها استولت على زمام القيادة في المكان:

أتركوا الثرثرة، أماننا عمل علينا إنجازه اليوم.

تحرك الجميع دون نقاش في حين أخذت نضال تقسم الأعمال رغم عدم

خبرتها بطلاء الجدران؛ إلا أنها عوضت ذلك بخبرتها في القيادة.

في تمام الساعة الواحدة حضر الحاج عبد الرزاق والحاجة سعاد إلى بيت

أحلام الجديد مصطحبين معهم الأطفال وطعام الغداء؛ فبهر الحاج بالسيدة

نضال؛ بينما راحت الحاجة سعاد توجه له الضربات بخفية أو تستخدم القرص

أحيانا كلما أطل النظر إليها أو اندمج الاثنان في حديث.

كان طعام الغداء الأجهل والأطيب في حياة الجميع، لكن أكثر الموجودين

سعادة كانت أحلام التي صارت تشعر أنها طائر يخلق في السماء ولم تعد تستطيع

ذئاب الأرض أن تنال منها بعد الآن.

ألا تعرف معنى الحياة؟
أم أنك عينيك البغيضتين لا تبصران إلا الحقد.

قُطِعَتْ ألوان الحياة والفرح على صوت مجيد ومعه اثنان من أبناء عمومته
وهو يتهجم على أحلام بالسبِّ والشتيم.

دون شعور منها اختبأت خلف الحاج عبد الرزاق الذي صاح به:
ألا تعرف معنى الحياء يا مجنون؟ أما ترى أن هناك ضيوفا عليك احترام
وجودهم؟ أم أن عينيك البغيضتين لا تبصران إلا الحقد؟؟؟؟؟؟
مجيد:

سيكون لنا معك حساب أيها الرجل العجوز، كيف ترتضي على شيبتك
وعمرك أن تكون مخادعا؟؟؟ لكن الآن عليّ أخذ أختي، وحسابنا سيكون معكم
عسيرا.

هنا انبرت السيدة نضال وقالت:
أحلام امرأة راشدة ولا وصاية لك عليها.
كعادته مجيد الأرعن صرخ بها وقال:
لا تتدخل فيها لا يخلصك وإلا نالك مني ما لا ترضينه.
مر تهديد مجيد كالهواء في الشبك على نضال فاقتربت منه وقالت بطريقة
صارمة:

لو تصرفت معي أي تصرف سأقاضيك في المحكمة، وأجعلك تقضي ما
تبقى من عمرك خلف قضبان السجن.

أبعدها مجيد من أمامه بذراعه القوية وأمسك بيد أحلام المختبئة خلف
الحاج عبد الرزاق وراح يسحبها من خلفه دون أن يجمل للحاج أي احترام؛
فتدخل أحمد وأمسك يده بقوة حتى كاد أن يصل الأمر للضرب بينهما، حينها
صرخت أحلام:

توقفوا جميعا.

وخرجت من خلف الحاج وتوجهت إلى مجيد بعد أن أبعدت أحمد عنه وقالت:

الأمر بيني وبينك، أخبرني بما تريد.

مجيد:

أنت جلبت لنا العار.

أحلام:

العار؟ ...

- أن أحفظ ذكرى زوجي الشهيد في نظركم عار؟
- أن أكمل مشواري مع عائلتي وأربي أبنائي... عار؟
- أن أمتلك منزلي الخاص وعالمي الخاص... عار؟
- أن أعمل وأتقاضى راتبا أُعيل به بيتي وأطفالي... عار؟
- أن اشعر بأنني حرة وليست جارية تحت أرجل أحد الرجال... عار؟
- أن أمتلك قراري بيدي وأكون سيدة أمري... عار؟

رد مجيد بارتباك:

أنا لا أفهم ما قلتِ، عليك الذهاب الآن معي إلى بيتنا، وهناك سأعرف

كيفية التعامل مع استهتارك بنا وبأعرافنا.

وضعت أحلام عينيها بعيني أخيها الأكبر بنظرة تحدٍ وردت عليه:

لن أعادر منزلي، أمامك خياران لا ثالث لهما: أما أن تمسك فرشاة وتساعدنا في طلاء الجدران، أو أن تغادر دون رجعة أنت وأبناء عمومك.

ساد الصمت المكان وأخفض مجيد رأسه وكأنه يفكر بما قالته أخته؛ فعرفت أنها أثرت به فمدت يديها وأمسكت بيديه برقة وقالت:

انظر يا أخي كيف يساعدني الناس الأعراب؟ كنت أتمنى أن تكون الأول بينهم لأحكي يوماً لأولادي عن أفضل خالهم عليهم وكيف ساندنا لبناء بيتنا وكان نعم السند لي.

انبرى أحد أبناء عمومته وقال ساخراً:

من يسمع جمعجتك هناك عند عمك يصدق أنك رجل، ومن يرك الآن يعرف أنك لست سوى فأر صغير عرفت تلك المخادعة كيفية ترويضه.

التفت إليه وقد احمرت عيناه؛ فأكمل ابن عمه الثاني وقال:

خيرتك أختك بين خيارين، إما أن تعمل عندها صباغاً أو أن تهرب كجرذ، وعمك الكبير قد منحك خياراً ثالثاً؛ لأنه كان يراك رجلاً، ترى ما سيكون منظركم أمام العشيرة وأنت تخضع لامرأة خرجت عن إرادتك وتمردت على طاعتكم؟

سألت أحلام أختها قائلة:

أي خيار يا أخي؟

التفت إليها مجيد وكله ألم وعيناه تبيكان لأول مرة، وأبعد يده اليمنى من يد أخته التي كانت تمسك بها وأخرج مسدساً وقال:

خيارى الثالث أن أقتلك.

ساد الرعب المكان وعلا الصراخ من الكل، فغيد حضنت أمها، والحاجة سعاد احتضنت شمس، بينما تمسك رامي وسامر بثوب جدهم، أما أحمد الذي

راح يصرخ على مجيد:

إياك أن تفعل يا مجنون.

أسرع إليه أبناء عمومة مجيد ليمنعه من الوصول إليه.

كانت أحلام تنظر في وجه أخيها الباكي فهي لم تره قبل اليوم إلا قاسيا
أرعن لا يعرف الشفقة، أما اليوم فهي ترى الدموع تقطر من عينه، وكأنه يريد أن
يقول لها إن في داخلي إنسان.

دون شعور احتضنت أحلام أباها بقوة وراحت تضمه أقوى ووضعت
خدها الناصع على صدره الصلب حتى إنها شعرت بعظام قفصه الصدري،
وقالت:

كانت أمنيته أن أضمك ولو مرة واحدة في حياتي؛ ودموعك تعلمني أنك
ستقدم على قتلي، قد لا تكون تلك الدموع تنزل خوفا عليّ، وربما هي تبكيك
أنت، وكيف ستفارق أطفالك ومن سيعيلهم بعدك؟ لكن ما يهمني هو أنك
إنسان في داخلك.

احتار مجيد فقد انقسم إلى اثنين في شخص واحد؛ فيده اليسرى احتضنت
أخته ويده اليمنى تحمل مسدسا؛ نصفه يصرخ إياك أن تفعل، ونصفه الآخر
يصرخ افعلها وإياك أن تجبن.

ساد الصمت على صوت طلقة خرجت من مسدس مجيد، (طلقة) وحيدة
لا أكثر كانت كافية أن تحبر الجميع أن أنثى قتلتها الحرب بموت زوجها وقتلها
المجتمع بوأده لكي نونتها.

كلم منهن امرأة رآها الناس رجلا.
وكلم منهن ذكر لم يعرفه الرجولة يوما
فالرجولة موقفه لا تختصه بذكر أو أنثى

صرخ السجان باسم مجيد حازم بطريقته المرعبة؛ فأصاب الكل بالذعر إلا مجيدا نفسه؛ فقد عانى في السجن الكثير، واليوم حان وقت محاكمته، وقد ضاق ذرعا بانتظار هذا اليوم ليعرف مصير ما ارتكبت يده.

كان الطريق طويلا ليتذكر كل حماقاته السابقة وما فعل بأخته لدرجة أنه صار مع البكاء يلطم على خده كالنساء؛ كانت الحرائق تخرج من داخله على شكل أنفاس حارقة وشهقات مع البكاء.

أدخل مجيد قفص المحكمة وراح يتفحص الحضور فكان الكل موجودا؛ الذين ضده والذين معه: الحاج عبد الرزاق وعائلته والسيدة نضال تجلس بجانب غيد وأحمد ومعهم شهد وميار وحتى الأطفال كانوا موجودين بمن فيهم شمس الصغيرة، التي راحت تتململ من جو الصمت في المحكمة فتضطر الحاجة للخروج بها قليلا والعودة بانتظار القاضي.

وعلى الطرف الآخر كان والداه وأعمامه وأولاد أعمامه أيضا. رغم اختلاف الطرفين إلا أنها اتفقا بنظرهم الشزرة إلى مجيد؛ فقد كان الاثنان غير راضيين عليه.

دخل القاضي فأصبح الصمت فرضا؛ وبعدها تبارى محامي الدفاع والمدعي العام؛ كل يحاول إقناع القاضي ومعاونيه أنه الأصدق والأقوى حجة؛ حيث ادعى محامي الدفاع أن الرصاصة قد خرجت دون علم المتهم؛ بينما أكد

المدعي العام أن الرصاصة خرجت بإرادة المتهم ورغبته في قتل المجني عليها؛ وقد استشهد بشهادة الشهود الموجودين وقت حدوث الجريمة.

وقبل أن يقرر القاضي قراره طلب من الحرس أن يدخل الشاهد الأخير.

دخل أحد الحرس يدفع كرسيًا ذا عجلات تجلس فيه امرأة؛ حتى استقر

تحت منصة القاضي، وبعد أن أدت قسم المحكمة سألها القاضي السؤال التالي:

هل الرصاصة خرجت من المسدس بإرادة المتهم أم أنها عن طريق الخطأ؟

نظرت المرأة إلى مجيد الذي خفض رأسه؛ لأنه لم يكن يحتمل النظر إليها،

وأرجعت نظرها إلى القاضي وقالت:

يا سيدي تلك الرصاصة أطلقها الجميع وليس مجيد فقط؛ حتى أنت لو

كنت مكانه كنت ستطلقها؛ نحن في بيئة لا تحترم المرأة، وما زالت ترى حتى

صوتها عورة، كيف تتحول امرأة في يوم واحد من سيدة محترمة إلى أرملة ينظر

الكل إليها بطمع وكأنها فريسة سهلة ولقمة سائغة؟ يا سيدي المجتمع كله متهم

بتلك الرصاصة، لا ذلك القابع خلف القضبان.

ساد الصمت القاعة وبعد لحظات قال القاضي:

أريد جوابًا محددًا يا ابنتي: هل كان إطلاق الرصاصة عن عمد أم قضاء وقدرًا؟

سحبت المرأة نفسًا عميقًا وقالت:

قضاء وقدرًا يا سيدي.

القاضي:

لكن من كان في الغرفة قال إنه أطلق الرصاصة بعد التهديد والوعيد؟

المرأة:

كنت أحضن أخي وكان يحضنني بقوة.

استدارت أحلام إلى أخيها وقالت تخاطب القاضي:
أهناك في الكون أخا يقتل أخته و من المفروض أن يكون الحامي لها
والمدافع عنها.

عرف القاضي أن أحلام تريد أن تحمي أخاها؛ فأشار إليها أن اقتربي أكثر،
وما إن أصبحت قريبة منه قال لها:

أذا تعرضت لأي ضغوط بإمكان المحكمة حمايتك يا ابنتي.

ردت أحلام وهي تبكي:

وهل هناك أكبر من ضغط الحب يا سيدي؛ هو أخي وأنا أحبه، ومن
المستحيل أن أتسبب بإيذائه وإن تسبب هو بذلك.

أرجع القاضي ظهره إلى الخلف وزفر نفسا بقوة وقال:

أنت إنسانة عظيمة يا أحلام؛ أتمنى لك الشفاء العاجل قريباً.

صاح القاضي بحماس:

الحكم في الجلسة القادمة.

نهض مجيد من مكانه وأخذ يصرخ:

أحلام ..أختي أحلام.... فأسرع أحمد إليها يدفعها إليه قبل أن يتم إخراجه
من القفص.

وما إن اقتربت منه أحلام بكرسيها ذي العجلات؛ حتى جثا على ركبتيه
وقال لها والدموع تنهمر من عينه:

أنتِ أكرم من عرفت.

أحلام:

لم أكذب يا أخي، وما قلته هو الحقيقة فقط، لم تطلق أنت الرصاصة، بل
أطلقتها الرؤية الضيقة لمجتمع يحتقر المرأة.
هنا جاء المحامي يخبر مجيدا أن الحكم لن يتجاوز الستة أشهر، وهي تقريبا
المدة التي قضاها في التوقيف، وأنه سيكون حرا قريبا.

أعدك...أنه تكونه فورا بيه وأنته ترايه منه السماء

طُرق الباب بقوة فأسرع فتى في العاشرة يفتحه فإذا به مجيد وعائلته جميعا
فارتمى الفتى بحضنه وهو يقول:

تأخرتم كثيرا يا خال.

استقبلتهم أحلام بوجهها الفرح الجميل وكان أول الداخلين مجيد الذي قال لها:
ألف مبارك يا أختي الحبيبة أمتنى لك الموفقية دائما لقد رفعت رؤوسنا
وبيضت وجوهنا.

بعد أن قبلته ردت عليه :

شكرا من القلب يا أطيب أخ بالدنيا.

دخلت فجأة السيدة نضال فتركت أحلام الجميع واتجهت إليها تحضنها
بقوة فقالت:

خنقتني يا مجنونة، من يرك لا يصدق أني كنت معك الصبح ونحن نستلم
شهادة تخرجك من الجامعة.

دخل أحمد فاحتضن الاثنتين وقال:

مساء السعادة على أحلى صديقتين في العالم.

بعدها دخلت غيد تحمل طفلا ذا سنتين ونصف؛ فأسرعت أحلام لتلتقطه
منها وراحت تقبله وتقول سبحان الله: هشام الصغير، نسخة من هشام الكبير، و
كأنني أراه الآن، ثم عادت لتقبله ثانية.

ردت نضال ساخرة:

أبعدوا الطفل عنها فهذه السيدة متحرشة.

صار الجميع يضحك دون توقف.

